

T
124A
pt. 1

"THESIS RELEASE FORM"

American University of Beirut

I, Izzuddin Ahmad-Musa:

authorize the American University of Beirut
to supply copies of my thesis to libraries
or individuals

do not authorize the American University of
Beirut to supply copies of my thesis to
libraries or individuals.

Izzuddin Ahmad-Musa

Signature

February 14, 1969

Date

تنظيمات الموحدين ونظمهم
في المغرب

عز الدين عمر احمد موسى

رسالة مقدمة الى دائرة التاريخ في الجامعة الاميركية في بيروت
لاتمام المطلوب للحصول على درجة استاذ في الآداب

بيروت - لبنان
فبراير ١٩٦٩

تنظيمات الموحدين ونظمهم
في المغرب

عز الدين عمراحمده موسى

كان المغاربة في العصر الوسيط يعيبن على المشاركة جهلهم بأخبار المغرب .
ولكن وجد المشاركة عذرا في بعد المسافات وقلة الأخبار ، فانهم اليوم لا يجدون عذرا
بعد ان ترابطت اطراف الارض وزالت المسافات أو كادت بفضل وسائل الاتصال الحديثة
وتوفرت ادوات البحث . وتاريخ المغرب بحاجة لمجهود كثير من الدارسين لأن فترات
كثيرة ومسائل متعددة من تاريخه لم تدرس دراسة علمية على الرغم من جهود بعض المغاربة
المحدثين ، وقلة من ابناء المشرق الذين اهتموا بالدراسات المغربية والاندلسية قبل وقت
قصير . والتاريخ العربي في حاجة ملحة لمثل هذه الدراسات لان البحث التاريخي في هذا
القرن اتجه الى معرفة الماضي من خلال وحداته الحضارية . ولن يتيسر لنا دراسة شاملة
ومتعمقة للحضارة الاسلامية الا بعد بحث جوانبها المتعددة ومظاهرها المختلفة ، واستجلاء
غوامض التاريخ المغربي جانب من تلك الجوانب ، وتوضيح النظم فيه مظهر من تلك المظاهر .
ولهذا اخترت دراسة تنظيمات الموحدين ونظمهم في المغرب موضوعا لرسالتي هذه .

وفضلا عن كون ان هذا الموضوع لم يدرس ولا زال الغموض يكتنف كثيرا من جوانبه ، والبحث
فيه قد يسهم بشيء جديد ، فان دراسته تسعف في تفهم النظم التي سادت في المغرب
الكبير لخمسة قرون تلت عهد الموحدين ، لان النظم الادارية الموحدية ظل العمل بها في
المغرب خلال هذه الفترة . فالدول التي جاءت بعد الموحدين استمرت في تقليد رسومهم ،
مثل الحفصية في تونس والمرينية في المغرب الاقصى ودولة بني عبد الواد في تلمسان والنصرية في
غرناطة وتسربت نظم الموحدين الى من خلف هذه الدول .

هذا بالإضافة الى ان الفترة الموحدية كانت فترة تزاوج بين المجتمعين المغربي والاندلسي . وعلى الرغم من غلبة المغرب السياسية في الفترة التي ندرسها الا انه تأثر الى درجة كبيرة بالنظم التي كانت سائدة في الاندلس .

واخيرا ان الفترة الموحدية تنطق بتجربتين هامتين نعيش ما يشبههما في الوقت الحاضر؛
اولا : حاول الموحدون صيغ المجتمع بفكرة واحدة وارادوا ان تسيطر الطلائع التي آمنت بهذه الفكرة على ذلك المجتمع .

ثانيا : قامت الحركة الموحدية لتبني في القرن السادس الهجري : / الثاني عشر الميلادي دولة تحتذى خطي فترة الرسالة حذو القدة بالقدة .

وكللتا القضيتين من القضايا التي يحسن بنا التعرف على نتائجهما لاسيما وان امتنا في معركة لتحقيق ذاتها واكتشاف شخصيتها وتحديد هويتها ولن تقوى على هذا الا بدراسة ماضيها الذي يحتوي جذور حاضرها حتى تنطلق الى مستقبلها المرتجى .

وتتكون هذه الدراسة من ثمانية فصول عالجت في الفصل الاول منها مصادر موضوعنا والدراسات عنه . وبيننا قيمة كل بالنسبة لموضوعنا . ولما كانت النظم وسيلة من وسائل السياسة التنفيذية ونتيجة لها ، فقد جعلنا موضوع الفصل الثاني هو التطور التاريخي للدولة الموحدية . وبحثنا فيه بصورة مجملية في ثلاث مراحل : دور التأسيس وعصر الازدهار ثم فترة الانحلال والسقوط . وحاولنا ان نستجلي خصائص كل دور منها .

وفي الفصل الثالث عرضنا لتنظيمات الموحدين الحزبية اذ كان منها الرجال الذين يشرفون على ادارة النظم . ففي هذا الفصل حاولنا ان نستقصي بالدراسة مفهوم الموحدين للحزب وتاريخ تكوين تنظيماته والدور الذي قامت به . وركزنا على التربية التي كان الموحدون ينالونها

وحرصنا على استكشاف الروافد التي تأثر بها الموحدون في تنظيماتهم • ثم ختمنا الفصل بالبحث في التغييرات التي طرأت على تلك التنظيمات بعد قيام الدولة •

وفي الفصل الرابع ناقشنا النظام السياسي الذي يرسم سياسة الدولة فدرسنا نظام الخلافة الموحدى فبيننا الادوار التي مرت بها مؤسسة الخلافة ووضحنا نظرة الموحدين الخاصة للخلافة والقاب خلفائهم وشاراتهم والشروط التي توخوها فيهم وطريقة اختيارهم ومراسيم بيعتهم والسلطات التي كانت لهم والدور الذي لعبته حاشيتهم • ثم تطرقنا الى المجالس التي تعين الخلفاء في اتخاذ القرارات فاستقصينا هيئاتهم الاستشارية وتاريخ ظهورها وتطورها وسلطاتها ومصيرها •

ثم بحثنا في النظم التي نفذت تلك السياسة بعد اقرارها فكان هذا هو موضوع الفصول الاربعة الاخيرة ففي الفصل الخامس بسطنا القول في الادارة المركزية ونظرنا اليها من خلال شعبتين : ادارة مركزية وادارة اقليمية ففي الاولى درسنا الوزارة والكتابة والبريد والادارة العسكرية والمالية • وفي الثانية بيننا عدد الولايات والتغييرات التي ظهرت وشرحنا حال الولاة ومن اية صنف من الموحدين كانوا يعينون وما هي سلطاتهم •

وكانت الخطط الدينية موضوع الفصل السادس فافتتحناه بدراسة مصادر الاحكام عند الموحدين فالنظم التي كانت تصدر الاحكام او تباشر تنفيذها او تشرف عليه من قضاء وشورى وعدالة ونظر في المظالم وحسبة وشرطة وصلاة وما يتعلق بها من امامة وخطبة وآذان •

وفي الفصل السابع فصلنا القول في النظام العسكرى من جيش واسطول • فدرسنا عناصر الجيش وعدده واقسامه ووحداته وقيادته وعدته ومسلكه في الحرب مع توضيح لاشراالدين في حروب الموحدين • وفي مسلك الجيش في الحرب شرحنا طريقة استعداده وسيره ونظام ضبطه وربطه وخططه

والطريقة التي يقاتل بها • ثم بيّنا ما آل إليه حال الجيش في دور الانحلال •
 واخيرا درسنا تكوين الاسطول ودور صناعته وعدته والدور الذي قام به في عصر الازدهار والمصير
 الذي انتهى اليه في عهد الانحلال •

وعالجنا النظم المالية في الفصل الثامن والاخير فدرسنا اوجه الدخل وبيّنا التغيير الذي
 طرأ عليها وكيف ان الموحدين لجأوا الى ضرائب انتقدوها على اسلافهم المرابطين ثم شرحنا
 اوجه الصرف وختمنا الفصل بدراسة للسكة الموحدية •

وسيالاحظ القارئ اننا لم نجعل لدراستنا هذه خاتمة نجمل فيها النتائج التي توصلنا
 اليها والسبب في ذلك اننا ذيلنا كل فصل بخاتمة ضمت النتائج المستخلصة منه ونستطيع ان
 نجمل النتائج التي توصلنا اليها في الآتي :

١- تبين الموحدون منذ ان قامت دولتهم ان ظروف الدعوة تختلف عن ظروف الدولة فلهذا

بدلوا مفهوم " التوحيد " من ديني الى سياسي ويعني الخضوع للدولة فشمّل
 كل من خضع للدولة وأقر ظاهرا بمبادئها. فعدلت التنظيمات لتضم كافة العناصر
 الجديدة فبرزت هيئات جديدة شاركت التنظيمات الاولى في اعمالها تحصى منها
 " طلبة الحضر " و " اشياخ العرب " ، و " اشياخ الاندلس " •

٢- الدولة الموحدية كانت تدار بسلطة مطلقة فكل شيء كان تحت اشراف الخليفة

المباشر. ومنذ اعلان الحكم الوراثي كان يختار كبار اعوانه في الوظائف الكبرى من " السادة "
 بني عبد المؤمن او من ارتبط بهم بأصرة قرى او نسب •

٣- بدأت النظم الموحدية قليلة وبسيطة ومنذ خلافة عبد المؤمن تكاثرت وتعقدت حتى بلغت

غايتها في خلافة المنصور • وقد اقتبس الموحدون كثيرا من نظمهم عن الاندلس • وقد بدأت

عملية اقتباس المغرب لنظم الاندلس منذ ايام المرابطين ولكن في صورة بسيطة
غير انها تكاملت في خلافة الموحدين. ومن هذه الوجهة فان دولة الموحدين هي
امتداد لدولة المرابطين •

٤- رافق التحول التدريجي من البساطة الى التعقيد في نظم الدولة ضعف تدريجي
في الروح التي بعثت الحركة واقامت الدولة ، فالتشدد في تطبيق النصوص
الدينية والافكار المهدوية الذي بدأ الموحدون به حكمهم ضعف تدريجيا، الامر
الذي يدل على أنه من غير الميسور ضبط شؤون الحياة بنصوص ثابتة وقوالب
جامدة لان النصوص متناهية والاحداث غير متناهية •

=====

- -

فهرس المحتويات

صفحة	
٢٩ - ١	١- الفصل الاول : تقييم المصادر والمراجع والدراسات
٥	أ- المصادر:
٥	(١) التاريخ
١٦	(٢) التراجم
١٩	(٣) الجغرافية والرحلات
٢٠	(٤) الموسوعات والنظم
٢٢	ب- المراجع:
٢٣	ج- الدراسات:
٢٣	(١) العربية
٢٨	(٢) الاجنبية
٢٩	د- خلاصة
٦٨ - ٣٠	٢- الفصل الثاني : مدخل تاريخي
٣٠	أ- الاحوال السياسية قبل الموحدين
٣٢	ب- تأسيس الدولة الموحدية
٤٧	ج- عصر الازدهار
٤٧	(١) التوسع
٥٤	(٢) التفوق على الدول المعاصرة
٥٧	(٣) التصدى للثورات الداخلية
٥٨	(٤) التقدم الاقتصادى
٦٠	(٥) ازدهار العمران

صفحة	
٦١	(٦) النهضة العلمية
٦٤	د - طور الانحلال والسقوط
٦٩ - ١٢٧	٣- الفصل الثالث: التنظيم الحزبي
٦٩	أ- مفهوم الحزب
٧٠	ب- أولية التنظيمات :
٧٠	(١) اضطراب المادة
٧٢	(٢) تاريخ تكوين التنظيمات
٧٦	(٣) التنظيمات ودورها :
٧٦	(أ) اهل الجماعة
٨٠	(ب) الهيئة الاستشارية
٨٩	(ج) الطلبة
٩١	(د) الكافة
٩٢	(٤) التريية :
٩٢	(أ) افكار ابن تومرت
٩٧	(ب) منابع التلقي
٩٩	(ج) منهج التلقي
١٠١	(٥) الروافد التي تثر بها الموحدون في تنظيماتهم
١٠٤	ح - التغييرات التي طرأت بعد قيام الدولة :
١٠٤	(١) هيئة اشياخ الموحدين
١١٠	(٢) الطلبة

صفحة	
١١٤	(٣) الحفاظ
١١٨	(٤) طلبه الحضر
١٢٢	(٥) الموقف من غير الموحدين
١٢٥	(٦) التربية
١٢٨ - ١٧٨	٤- الفصل الرابع - ع : النظام السياسي
١٢٨	أ- الخلافة :
١٢٩	(١) نشوء الخلافة الموحدية :
١٢٩	(أ) دور المهدي
١٣١	(ب) دور الشورى في الخلافة
١٣٧	(ح) التحول الى الوراثية
١٤١	(٢) نظرة الموحدين الى الخلافة
١٤٤	(٣) القاب الخلفاء
١٤٧	(٤) شارات الخلافة
١٤٩	(٥) شروط الخلافة
١٥٢	(٦) اختيار الخلفاء
١٥٦	(٧) نظام البيعة
١٦٠	(٨) سلطات الخلفاء
١٦٤	(٩) أهل الدار (الحاشية الخاصة)
١٧١	ب- المجالس الاستشارية :
١٧١	(١) تكوينها ودورها
١٧١	(أ) هيئات غير دائمة :

	(أ) اشياخ العرب
صفحة	(أ) اشياخ الاندلس
١٧٢	(ب) هيئات دائمة
١٧٢	(أ) اشياخ الموحدين
١٧٤	(أ) "السادة"
١٧٥	(أ) مجلس الخاصة
١٧٥	(٢) اثرها
١٧٩ - ٢١٩	٥ - الفصل الخامس: الجهاز الادارى
١٧٩	أ - الادارة الاسمركية :
١٧٩	(١) الوزارة
١٨٨	(٢) الكتابة
١٩٤	(٣) البريد
١٩٤	(٤) استقبال رسل الملوك
١٩٥	(٥) ديوان "التميز" (العسكرية)
١٩٦	(٦) الادارة المالية
٢٠٤	ب - ادارة الولايات :
٢٠٤	(١) الولايات
٢١٠	(٢) الولاة
٢١٧	(٣) حكم الولايات

٢٢٠ - ٢٤٩	٦ - الفصل السادس : الخطط الدينية
٢٢١	أ- مصادر الاحكام
٢٢٨	ب- القضاء : -
٢٢٨	(١) القضاء
٢٣٥	(٢) الشورى
٢٣٦	(٣) العدالة
٢٣٧	(٤) النظر في المظالم
٢٣٨	(٥) الخسبة
٢٤٢	(٦) الشرطة
٢٤٣	ج- الصلاة :
٢٤٣	(١) صاحب الصلاة
٢٤٤	(٢) الخطيب
٢٤٦	(٣) المؤذنون
	(٤) =
٢٤٧	د - خطط اخرى :
٢٤٧	(١) اهل الحزب
٢٤٨	(٢) الخزانة العلمية
٢٥٠ - ٣١٩	٧ - الفصل السابع : النظام العسكرى
٢٥٠	أ- الجيش :
٢٥٠	(١) عناصره :
٢٥٠	(أ) قبائل الموحدين
٢٥١	(ب) القبائل البربرية الاخرى

٢٥٥	(ج) الاندلسيون
٢٥٦	(د) العرب
٢٥٩	(هـ) الاغزاز
٢٦٢	(و) الروم
٢٦٦	(ز) السودان
٢٦٦	(٢) عدد هـ
٢٧٠	(٣) اقسامه
٢٧٤	(٤) الواحدات العسكرية
٢٧٦	(٥) القيادة
٢٨١	(٦) العدة
٢٨٨	(٧) الجيش والحرب :
٢٨٩	(أ) الدين والحرب
٢٩١	(ب) الاستعداد
٢٩٤	(ج) السير
٢٩٦	(د) الضبط والربط
٢٩٨	(هـ) الخطط الحربية
٣٠١	(و) طريقة القتال
٣٠٢	(٨) الجيش في دور الانحلال
٣٠٦	ب - الاسطول :
٣٠٦	(١) التكوين
٣٠٨	(٢) دور الصناعة

٣٠٩	(٣) العدة
٣١١	(٤) القيادة
٣١٥	(٥) دوره في عصر الازدهار
٣١٧	(٦) حالة في عهد الانحلال
٣٢٠ - ٣٤١	٨ - الفصل الثامن : النظم المالية
٣٢٠	أ - الدخل :
٣٢٠	(١) عصر الازدهار :
٣٢٢	(أ) الزكاة
٣٢٢	(ب) العشور
٣٢٣	(ح) اخماس المعادن
٣٢٣	(د) الغنائم
٣٢٥	(هـ) الخراج
٣٢٨	(و) مصادر اخرى :
٣٢٨	(أ) الاستثمار
٣٢٨	(أ) المصادرة
٣٢٩	(٢) عصر الانحلال
٣٢٩	ب - الانفاق :
٣٣٠	(١) الجيش
٣٣٣	(٢) الموظفون
٣٣٣	(٣) الهيئات
٣٣٤	(٤) المنشآت العمرانية
٣٣٦	(٥) الاعمال الاجتماعية

٣٣٧	ح - السكينة •
٣٧٥ - ٣٤٢	٩ - الملاحق :
٣٤٣	أ - الملحق (١) جدول الخلفاء الموحدين
٣٤٤	ب - الملحق (٢) العشرة اهل الجماعة
٣٤٥	ج - الملحق (٣) ثبت الوزراء
٣٤٨	د - الملحق (٤) جدول كتاب الرسائل •
٣٥٢	هـ - الملحق (٥) جدول الولاة •
٣٧٤	و - الملحق (٦) قضاة الجماعة
٣٨٧ - ٣٧٦	١٠ - ثبت المصادر والمراجع والدراسات

فهرس الجد واول والرسم البيانىة

صفحة

- ٨٧ -١ جدول باعداد ممثلى القبائل الموحدىة فى " آىة خمسىن "
- ٢١١ -٢ جدول باعداد الولاة واصنافهم
- ٢٦٩ -٣ رسم بىانى باعداد الجىش فى خلافة عبد المؤمن
- ٢٧٨ -٤ رسم بىانى لاعداد قادة الجىش واصنافهم
- ٣١١ -٥ جدول باعداد قادة الاسطول واصنافهم

فهرس الخرائط

الصفحة

٢٠٥

١- خريطة ولايات الدولة الموحدية في عصر الازدهار

الفصل الأول

تقييم المصادر والدراسات والمراجع

الفصل الأول

تقييم المصادر والمراجع والدراسات (١)

تواجه المدارس للنظم في التاريخ الاسلامي صعوبات جمة لان المصادر العربية قلما تشير الى موضوع دراسته . ومن ثم فان المادة التي يجمعها بعد عناء بالغ لا توازي الجهد الذي يبذله . وان صح هذا بالنسبة للتاريخ الاسلامي عامة فان مهمة المدارس لفترة تاريخية قصيرة ستكون اشقء لاسيما اذا لم تحظ فترته بمصدر عن نظمها ولم يكن امامه الا كتب التاريخ العام والادب والجغرافية . وتزداد صعوباته وتتضاعف اذا كانت المصادر التي كتبت في الفترة التي يدرسها قد فقدت او هي دفينية المكتبات ولم تر النور بعد ولم يجد اليها سبيلا . وهذا هو حال الفترة الموحديية التي ندرسها وحال كاتب هذه السطور معها . ولعله من المفيد

(١) اطلقنا كلمة مرجع على كتب المعاجم والفهارس

تميزا لها عن المصادر والدراسات .

ان نستعرض طرفا من التراث الذي كتب في الفترة الموحدية وفقد حتى نتبين قيمة المصادر التي وصلتنا .
لقد فقدت كتب كثيرة صفت عن الفترة الموحدية باقلام رجال عاصروا الدولة الموحدية وعاشوا
في ظلها واشتركوا في احداثها . ومن امثلة ذلك المجموع في تاريخ الموحدين لمؤلف مجهول ، وقد
نقل عنه البيذق ، ولهذا يبدو انه عاش في منتصف القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي (١) ،
وفضائل المهدي لابي القاسم المؤمن ، وكتاب لابن الراعي نجهل اسمه ونقل
عنه كثير من المتأخرين ، وتاريخ الدولة الموحدية لابي القاسم السهيلي ، والاكتفاء
في تاريخ الخلفاء لابي القاسم الكردبوسي وقد صنفه في خلافة المنصور الموحدي ،
وتاريخ في دولة عبد المؤمن وحزبه لابي العباس احمد بن محمد
الفهري الاشبيلي المعروف بابن سميرة (توفي في حدود
القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي) (٢) ، وتاريخ عن الموحدين لابي

(١) انظر البيذق : كتاب اخبار المهدي وابتداء دولة الموحدين (تحقيق

ليثي بروثنسال باريس ، ١٩٢٨ م) ص ٨١ وما بعدها . وشنشير الى هذا

المصدر بـ أخبار المهدي .

(٢) انظر عنهم ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب الاقصى (الدار الاقصى ، دار الكتاب

١٩٦٠ م) ج ١ ص ١٣٣ - ١٣٦ وشنشير الى هذا المرجع بـ دليل .

الحجاج يوسف بن عمر^(١) ، ونظم اللآلي في فتوح الامرالعالي لابي علي حسن بن عبد الله
الاشيري^(٢) ، وكتاب شجرة انساب الخلفاء والامراء وكتاب ميزان العمل لابي علي
الحسن بن عتيق بن الحسين بن رشييق^(٣) . وكتاب الانوار الجليلة في اخبار الدولة
المرابطية لابن الصيرفي (ت ١١٧٤ / ٥٧٠) وقد وصله الى قريب وفاته^(٤) ، وتاريخ
المرابطين والموحدين لابي عبيد المراكشي ، والمقباس في اخبار المغرب
وفاس لابن الرواق^(٥) .

-
- (١) ابن ابي زرع : الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب
وتاريخ مدينة فاس (باعثنا) كارل بوجن تورنبرغ ، اوبسالمة ، ١٨٤٣ -
١٨٤٦ م) ص ١٣٧ ويسمى ابن ابي زرع ابا الحجاج يوسف مؤرخ
دولتهم " . وشنشير الى الانيس المطرب ب روض القرطاس .
- (٢) ابن الأبار : الحلة السيرا (تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٦٣)
ج ٢ ص ٩٢ .
- (٣) دليل ج ١ ص ١٦٦ .
- (٤) ابن الزبير : القسم الاخير من صلة الصلة (تحقيق ليثي برؤنسال
الرباط ، ١٩٣٧ م) ص ١٨٢ وشنشير الى هذا المصدر ب صلة الصلة .
- (٥) انظر دليل ج ١ ص ١٣٣ - ١٣٦ .

وقد ضاعت كتب بعض المؤرخين الذين عاصروا الموحدين وصنفوا وهم في المشرق

• مثل المغرب في اخبار محاسن اهل المغرب لابي يحيى اليسع (ت ٥٧٥ / ١١٧٩) (١)

• وتاريخ المغرب ومن تولاه من اتباع ابن تومرت لابي الحسن بن يوسف القفطي (ت ٦٢٤ / ١٢٢٧) (٢)

ولم يصلنا عدد من كتب التراجم والبرامج التي جمعت خلال الفترة الموحدية مثل

• كتب ابن فرتوت وبرايم ابن الملجوم وابن القطان وابي عبدالله الاسدي وابن عيسى الصنهاجي (٣)

وكثير غيرها (٤)

وكثير من المؤلفات التي وصلتنا لم تصلنا كاملة كما سيتضح من عرضنا لها في هذا

الفصل • ومن الطبيعي هذا يتبين ان المادة التي استفدنا منها حصيلتها مصادر

قليلة من تراث كبير لم يسعفنا الزمن على الاستفادة منه وان جـــــاءت

(١) دليل ج ١ ص ١٦٤

(٢) المرجع ذاته ج ١ ص ١٣٦

(٣) راجع صلة الصلة ص ١٤٩ ، ٣٥٨ ، الكتاني : فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم
والمشيخات والاثبات والمسلسلات (فاس ، المطبعة الجديدة ، ١٣٣٧هـ) ج ٢ ،

ص ١١٤

(٤) راجع عنها المنوني : العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين (تطوان ، المطبعة

المهدية ، ١٩٥٠ م) ص ٦٨ ونشير الى هذه الدراسة ب العلوم والآداب

• مادة الكتب المفقودة في نقول الكتب المتأخرة فالمقتبس قد لا يختار كل شيء .
وفي تقييم مصادر دراستنا ومراجعتها والدراسات عنها بدأنا بالمصادر فاستعرضنا
كتب التاريخ مبتدئين منها بما اوقف على الدولة الموحدية دون سواها ، فالمغرب
ثم التاريخ الاسلامي عامة . ثم عرجنا على كتب التراجم فبدأنا بالعامه فالبلدان
فالاجناس والانساب فالاصناف من ادباء وفقهاء وصوفية ثم كتب برامج الشيوخ .
وفي كتب التاريخ والتراجم قدمنا المؤلفات المغربية على الشرقية لان المغاربة
اما عاصروا الاحداث او عاشوا في ارضها فتيسر لهم الاستفادة من مادة من سبقوهم
بصورة افضل من المشاركة .

ثم قيمنا كتب الجغرافية والرحلات فالموسوعات والنظم ثم المراجع . واخيرا اتبعنا
ذلك بدراسة الدراسات وابتدأنا بالعربية ثم الاجنبية . واضفنا ما ترجم من المؤلفات
الاجنبية الى العربية لان اساس التقسيم عندنا يقوم على اساس لغوي .
وجاء تقييمنا للدراسات الاجنبية ضعيفا ما عدا الانجليزية منها لان البقية
كتبت بلغات لاحظ لنا فيها من المعرفة . ولهذا جاء تقييمها مبتسرا اعتمادا اعتمادا
على المقاطع القليلة التي سمحت مواردنا المحدودة بترجمتها .

المصادر :

التاريخ :

ان الكتب التي اوقفت على دولة الموحدين جاءتنا من ثلاثة موارد وهي : الوثائق الرسمية

وتأليف ابن تومرت ثم ما كتبه المؤرخون . وقد نشر ليثي بروفنسال سبعا وثلاثين رسالة موحدية صادرة عن الخلفاء ومن انشاء كتابهم (١) . وقد ^{أخذ} هذه الرسائل عن مخطوط بخزانة الاسكوريال ما عدا الرسالة العاشرة فقد أضافها عن صبح الاعشى (٢) . وهذه الرسائل صادرة عن الخلفاء الى اهل مدينة او الوالي فيها او الطلبة بها او جميعهم . ويغلب عليها الطابع الاعلامي والتوجيهي التربوي . ولكنها كشفت عن كثير من نظم الموحدية السياسية والادارية والعسكرية والمالية . وقد كانت هي عمدتنا في التثبت من خبر او التحقيق ^{في} مصطلح .

واما المورد الثاني فهو مؤلفات ابن تومرت وقد كتب ابن تومرت رسائل كثيرة اشهرها " اعز ما يطلب " و " القواعد " و " الامامة " و " المرشدة " . وجمع جولد تسهير كل هذه الرسائل مع اخر في كتاب " تعاليق ابن تومرت " (٣) . وقد افدنا من هذه الرسائل في توضيح افكار ابن تومرت الدينيّة

(١) نشر ليثي بروفنسال هذه الرسائل بعنوان : رسائل موحدية من انشاء كتاب الدولة

المؤمنية (رابط الفتح ، المطبعة الاقتصادية ، ١٩٤١ م) وسنشير اليها بـ رسائل موحدية .

(٢) رسائل موحدية ص ب من المقدمة .

(٣) ابن تومرت : تعاليق ابن تومرت (الجزائر ، ١٩٥٣ م) وسنشير الى هذا

المصدر بأهم رسالة فيه وهي اعز ما يطلب . ولابن تومرت كتاب اخر هو الموطأ (نشر

مطبعة فونتاتة الشرقية بالجزائر ، ١٩٥٧ م) . ولم نتمكن من الاطلاع عليه .

والسياسية واثرها في توجيه تربية الموحدين توجيهها اسلس قيادهم • كما انها اسعفتنا في رسم صورة عن مصادر الاحكام عند الموحدين ونظرتهم الى الخلافة •

والمورد الثالث والاخير هو ما كتب من تاريخ عن دولة الموحدين وحدها • ولم يصلنا من هذا النوع الا كتابان واولهما لابي بكر بن علي الصنهاجي المكتي بالبيدق الذي عاش في القرن السادس الهجرى / الثاني عشر الميلادى • وصاحب ابن تومرت منذ بداية حركته وشارك في الاحداث، وقد نشر ليقي بروفنسال ما تبقى من كتابه البيدق مع قطع اخرى بعنوان اخبار المهدي وابتداء دولة الموحدين • وعلى الرغم من مشاركة البيدق في الاحداث فان الجزء الذي وصلنا من كتابه لا يظهر ان الرجل اراد كتابة تاريخ للفترة التي شهدها • فهو اقرب الى المذكرات التي وضعت لتسعف الذاكرة، فمعلوماته قليلة ومقتضبة • هذا فضلا عن ان بعض ما يورده اسطورى الطابع • وقد كان اعتمادنا عليه قليلا •

واما الكتاب الثاني فقد صنفه ابو مروان عبد الملك بن صاحب الصلاة (ت ٥٩٤ / ١١٩٨)

وهو: المن بالامامة على المستضعفين بان جعلهم الله ائمة وجعلهم الوارثين ••••• (١) •

(١) حقق هذا الكتاب عبد الهادى التازى وطبع في بيروت سنة ١٩٦٤م وسنشير اليه بـ

المن بالامامة غير ان هذه الطبعة الوحيدة مليئة بالاططاء •

وقد كان الكتاب في اصله ثلاثة اجزاء تبدأ من فترة المهدي وتنتهي بوفاة المؤلف . وما وصلنا هو الجزء الثاني ، واحداً امتدت عبر سنتي ٥٥٤ - ٥٦٩ هـ . فحُرِّمنا أخبار تطور التأسيس والفترة التي عاصرها المؤلف وشارك في احداثها ، لانه كان ضمن كتاب الوفاة .
وطريقة ابن صاحب الصلاة حولية . وساطة واسلوبه يغلب عليه السجع ولكنه لم يؤثّر على دقته في ايراد الخبر . فمصادرة هي الروايات المباشرة والمشاهدة والوثائق التي اورد منها نصوصا كثيرة . فجاء كتابه فإخرا بالمعلومات عن النظم السياسية والادارية والدينية والعسكرية والمالية وقد اعتمدنا عليه كثيرا جدا .

ونستطيع ان نعتبر الكتب التي صنفت عن الدولة الحفصية ضمن هذه المجموعة لان الدولة الحفصية في تونس ما هي الا امتداد للدولة الموحدية في المغرب الاقصى . وقد عالجت هذه الكتب الفترة الموحدية كمقدمة للدولة الحفصية . فأخبارها - والحالة هذه - مختصرة واستمدتها من كتب سابقة . ومن هذا النوع تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية لابي عبدالله محمد بن ابراهيم اللؤلؤي الزركشي (ت ٨٨٧ / ١٤٨٢) . وعلى الرغم من انه يعتمد على مصادر اغلبها بين ايدينا ^(٢) الا انه اعتمد على كتاب قد فقد لابن نخيل ^(٢) الذي عمل كاتباً للحفصيين

(١) راجع الزركشي : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية (تحقيق محمد ماضور

تونس ، المكتبة العتيقة ، ١٩٦٦ م) ص ٤ وسنشير الى هذا المصدر

بـ تاريخ الدولتين .

(٢) انظر المصدر ذاته ص ٣ .

... / ...

في بداية امرهم • وعن طريق رواية ابن نخيل زودنا الزركشي بمعلومات عن سلطات الولاية والمتنفذين •

وان فقد جل التراث الذي كتب في ظل الموحدين موقوف موقوفا على دولتهم فقد حفظت كثير من مروياته في كتب التاريخ العام • وقد وصلتنا ستة كتب تعالج تاريخ المغرب الكبير •

اولا : المعجب في تلخيص اخبار المغرب لابي محمد عبد الواحد بن علي المراكشي

(الف ٦٢١ / ١٢٢٤) • وقد صنف كتابه بالمشرق مما يسر له قدرا كبيرا من الحيدة فسي رواياته (١) ونقدها (٢) • واتصالاته برجال الدولة الموحدية جعلت كتابه يفيض بالاخبار السياسية • غير ان اهمية المراكشي تظهر في اهتمامه الواسع بالنظم الموحدية • فقد حرص على ذكر وزراء وكتاب وقضاة وولاة كل خليفة • وفصل لنا القول في تنظيمات الموحدين وقبائلهم •

(١) ان المراكشي لا يعظم ابن تومرت ولا ينتقص من قدر المرابطين • راجع المعجب في تلخيص اخبار المغرب (ضبط محمد سعيد العريان ومحمد العلي ، القاهرة ، مطبعة الاستقامة ، ١٩٤٩م) ص ١٧٨ ، ١٨٥ وسنشير الى هذا المصدر

ب المعجب •

(٢) انظر المعجب ص ١٧٨ ، ١٨٨ وما بعدها •

... / ... م ١٠

وذيل كتابه بمعلومات جغرافية هامة ساعدتنا كثيرا في تقدير الحياة الاقتصادية . كما وانه الكاتب الوحيد الذي زودنا باحصاء للولايات الموحدية في المغرب الكبير . غير ان عيب المراكشي انه كتب من ذاكرته وبعيدا عن مصادر مروياته ، فجاءت بعض رواياته مرتبكة وضعيفة ومختلفة عن المصادر المعاصرة الاخرى لاسيما في ذكر تواريخ الاحداث (١) . وكيفا كان الامر فقد امدنا المراكشي برواية ثانية عن الدولة الموحدية اذا ما اعتبرنا روايتي البيذق واين صاحب الصلاة تملان رواية مؤرخي البلاط الموحدى .

ثانيا : نظم الجمان لابي علي الحسين بن القطان الكتامي (القرن السابع

الهجرى / الثالث عشر الميلادى) . ويرجح محققه ان اصل الكتاب سبعة اجزاء تتناول تاريخ المغرب منذ الفتح الاسلامي (٢) . وقد ضاع اكثره والموجود المنشور هو جزء من الجزء السادس وفيه اخبار سنة ٥٠٠ - ٥٣٣ هـ . وقد رتبته على السنين . والراجح انه كتبه للخليفة المرتضى الموحدى وربما كان ابن القطان احد

(١) قابل بين المعجب ص ٢٣٦ ، ٢٤٥ ، والمن بالامامة ص ٧٩ ، ٨٠ .

(٢) كتاب نظم الجمان (تحقيق محمود علي مكى ، تطوان ، المطبعة المهدية ، لا . ت . ٠) صغ من المقدمة وسنشير الى هذا المصدر بـ نظم الجمان .

كتاب ذلك الخليفة (١) . وقد اعتمد على روايات مؤرخين ضاعت كتبهم مثل اليسع وابن الراعي وابن الوراق وابن صاحب الصلاة . وورد كثيرا من الوثائق خاصة رسالة عبد المؤمن التي بعثها عام ١١٤٧/٥٤٣ الى الولايات شارحا طريقة العمل في كافة نظم الدولة . وسيجد القارئ ان هذه الرسالة التي ينفرد ابن القطان بذكرها كانت معتمدا في هذه الدراسة عن اوليات النظم الموحدية .

والى جانب هذا فقد زودنا ابن القطان بمعلومات واسعة عن تنظيمات الموحدين الحزبية .

ثالثا : البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب لابي عبد الله محمد بن عذارى المراكشي المتوفي في اواخر القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي .

واخ ابن عذارى تاريخ المغرب من الفتح الاسلامي الى سنة ٦٦٧ هـ . وقد كان يظن الى وقت قريب ان فترتي المرابطين والموحدين من هذا الكتاب قد فقدت ، حتى عثروا هوسي على فترة الانتقال من المرابطين الى الموحدين ونشرها (٢) ثم وجد القسم الموحدى ونشره كتابا قائما

(١) راجع مقدمة المحقق ل نظم الجمان .

(٢) نشر هوسي هذا الجزء في مجلة Hespéris ثم جعلته دار الثقافة

الجزء الرابع من البيان المغرب ، وقد نيله الدكتور احسان عباس بتعليقات وافية .

وسنذكر طبعة دار الثقافة دائما هكذا : البيان المغرب (ط . د : دار الثقافة) .

...../.....

بذاته (١) . وقد اعتمد ابن عذارى على مؤلفات من سبقوه . وقليل من تلك المصنفات وصل إلينا ولكن أكثرها مفقود . كما اعتمد على الروايات السماعية والمشاهدة في الجزء الأخير من حياة الدولة الموحدية . فإذا اعتبرنا نظم الجمان مكملا للنقص الأول في المن بالامامة فحري بنا ان نعد البيان المغرب متمما لكتاب المن بالامامة . وشفيعنا في هذا الرأي نقوله الكثيرة عن ابن صاحب الصلاة ، وإيراده لكثير من وثائق الموحدين ومكاتباتهم ، ووفرة المعلومات السياسية والإدارية والاقتصادية والعسكرية فيه . فهو إوفى مصدر لدينا .

رابعاً : الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة

فاس . وقد نشر منسوبا الى ابي الحسن علي بن عبدالله ^{أبي} ابن زرع الفاسي (ت ٧٢٦ /

١٣٢٥) . غير ان محمد الفاسي يرى ان الروض روضان : روض ابن ابي زرع وهو كبير

مفقود وروض ابي محمد صالح بن عبد الحلیم الغرناطي (ت ٧٠٨ / ١٣٠٨ او ٧١٠ / ١٣١٠) .

(١) حقق هذا الجزء هوسي بمشاركة محمد بن تاويت ومحمد ابراهيم الكتاني (تطوان ،

سلسلة معهد مولاى الحسن ، ١٩٦٠م) وسنشير الى هذا الجزء دائماً

بـ البيان المغرب ج ٣ .

...../.....م ١٠

وهو مختصر وهو المتداول بين ايدينا وقد نسب خطأ الى ابن ابي زرع^(١) .

والكتاب يسرد اخبار المغرب منذ دولة الادارسة الى ايام المؤلف . وطريقة المؤلف فيه ان يعرض اخبار حكام كل دولة ثم يعقب ذلك باهم الاخبار في عهدا . واهميته تظهر فيما اولاه من عناية للاحوال الاقتصادية والعمرانية . غير ان كثيرا من اخباره السياسية مضطربة وقامضة وتختلف عن المصادر التي عاصرت الموحدين^(٢) .

خامسا : مفاخر البربر صنفه مؤلف مجهول سنة ٧١٢ / ١٣١٢ والموجود

منه نبذ قصيرة^(٣) وفائدته في موضوعنا كانت محدودة .

(١) انظر الفاسي " المؤرخان ابن ابي زرع وابن عبد الحليم " مجلة تطوان ، ١٦٠ م ،

العدد الخامس ، ص ١٥٤ - ١٥٦ .

(٢) والكتاب بصورته المطبوعة يحتاج الى اعادة تحقيق وطباعة نسبة لكثرة الاخطاء في

القراءة ورداءة الطبع .

(٣) نشر هذا الكتاب ليثي برؤفنسال بعنوان : نبذ تاريخية في اخبار البربر في العصور

الوسطى منتخبة من مفاخر البربر (رباط الفتح ، المطبعة الجديدة ، ١٩٣٤ م) وسنشير

اليه بـ مفاخر البربر .

سادسا : الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية^(١) لمؤلف مجهول صنفه سنة ٧٨٣ هـ
١٣٨١ ، وقد عالج تاريخ المغرب منذ تأسيس مراكش الى سنة ٧٨٣ هـ . وعلى الرغم من ان اخباره
مختصرة الا انه ذكر عصر عبد المؤمن في شيء من التفصيل . وقد امدنا بمعلومات هامة عن تنظيمات
الموحدين الحزبية والادارية وهو المصدر الوحيد الذي فصل طريقة القتال عند الموحيدين .
ورجعنا الى كتابين مغربيين من كتب التاريخ الاسلامي العام : اولا كتاب اعمال الاعلام في
من بويغ قبل الاحتلال من ملوك الاسلام للسان الدين محمد بن عبد الله بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ)
١٣٧٥). وقد نشر ليقي بروفسال قسم اسبانيا بعنوان : تاريخ اسبانيا الاسلامية ، وقد نشر احمد
مختار العبادي ومحمد ابراهيم الكتاني قسم المغرب بعنوان : "تاريخ المغرب في العصر الوسيط" .
ففي القسم الاندلسي اوجز ابن الخطيب تاريخ الموحيدين ايجازا شديدا ووعد ان يوفيه حقه فيما
بعد^(٢) . واما في القسم المغربي فلم يتجاوز الكتاب بداية خلافة عبد المؤمن . ومن هنا فلم تكن
افادتنا من هذا المصدر الا قليلة في تحقيق بعض الاخبار المتعلقة برجال الاندلس الذين عملوا
في نظم الموحيدين في بداية الدولة .

ثانيا : العبر وديوان المبتدأ والخبر لابي زيد عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨ / ١٤٠٦)
فالمقدمة التي تشكل الجزء الاول من هذا الكتاب^(٣) اولت النظم الموحدية عناية خاصة الا ان بعض
النتائج التي توصل اليها وجدنا ما يخالفها في المصادر الاخرى . وتعرض ابن خلدون لتاريخ الموحيدين
بشكل تفصيلي وافى نسبيا في تاريخه العام و امدنا بمعلومات قيمة عن قبائل الموحيدين التي لعبت دورا
كبيرا في اعمال الدولة الموحدية . كما وجدنا فيه اشارات هامة عن الولاة والقادة العسكريين .

-
- (١) طبعة علوش (رباط الفتح ، ١٩٣٦ م) .
(٢) انظر تاريخ اسبانيا الاسلامية (تحقيق ليقي بروفسال ، بيروت ، دار المكشوف ، ١٩٥٦ م) ص ٢٦٥
وسنشير الى هذا المصدر بـ اعمال الاعلام (ليقي) .
(٣) رجعنا الى طبعة دار الكتاب اللبناني (بيروت ١٩٥٦ - ١٩٥٩ م) وسنشير اليها بـ العبر .

واخيرا لم نجد شيئا يتعلق بالنظم الموحدية في الكتب التي اختصت بدولة جاءت بعد الموحدين فلم نرجع اليها الا في تحقيق خبر يتعلق بالقضية التي تؤرخ لها . ومن هذا النوع اللمحة البدرية في الدولة النصرية^(١) لابن الخطيب و الذخيرة العينية في تاريخ الدولة المرينية^(٢) . لمؤلف مجهول ، والمؤنس في اخبار افريقية وتونس^(٣) ل عبدالله محمد بن ابي القاسم بن ابي دينار الرعيني (ت ١١١٠ / ١٦٩٨) .

اما كتب المشاركة التاريخية فانها قلما تتعرض ل اخبار المغرب . غير ان ابا الحسن علي بن محمد بن الاثير الشيباني (ت ١٢٣٣ / ٦٣٠) سرد اخبارا غير يسيرة عن الموحدين في كتابه الكامل في التاريخ^(٤) . فامدنا بمعلومات عن تنظيمات الموحدين الحزبية ونظمهم السياسية . ومن الملاحظ ان ابن الاثير كان كلفا باخبار افريقية (تونس) . وجل ما استفدناه هنا عن هذه الولاية الموحدية كان راجعا اليه .

ومن الكتب المشرقية التي اختصت بدولة افدنا من الوثائق التي اوردها ابو القاسم عبد الرحمن بن اسماعيل ابو شامة (ت ١٢٦٧ / ٦٦٥) في مؤلفه الروضتين في اخبار الدولتين^(٥) عن سفارة ابن منقذ من صلاح الدين الايوبي الى المنصور الموحدى عن طريقة استقبال رسل الدول الاجنبية . كما امدنا بمعلومات قيمة عن دخول الاغزاز المصريين الى المغرب . وقد نقل معلوماته هذه جمال الدين محمد بن سالم بن واصل (ت ١٢٩٨ / ٦٩٧) في مفرج الكروب في اخبار بني ايوب^(٦) .

-
- (١) رجعنا الى طبعة محب الدين الخطيب (القاهرة ، المطبعة السلفية ، ١٣٤٧ هـ) و سنشير اليه ب الللمحة البدرية .
 - (٢) رجعنا الى طبعة الجزائر ، ١٩٢٠ م و سنشير اليه ب الذخيرة السنية .
 - (٣) رجعنا الى طبعة مطبعة الدولة التونسية ، ١٢٨٦ هـ و سنشير اليه ب المؤنس .
 - (٤) نظرنا في طبعة دار صادر و دار بيروت (بيروت ، ١٩٦٧ م) و سنشير اليه ب الكامل .
 - (٥) رجعنا الى طبعة مطبعة وادى النيل (القاهرة ، ١٢٨٧ - ١٢٨٨ هـ) و سنشير اليه ب الروضتين .
 - (٦) رجعنا الى طبعة المطبعة الاميرية (القاهرة ، ١٩٥٣ - ١٩٥٧ م) و سنشير اليه ب مفرج الكروب .

التراجيم :

لقد اتبعت كتب التراجيم العامة منهاجا واحدا فهي تذكر اسم المترجم له كاملا وكنيته ونسبته وبلده الذى ولد فيه او الذى منه اصله والبلد الذى نزل ان رحل الى اخر ثم تبيين شيوخه وعلومه ومن عنه اخذ وتختتم الترجمة بتاريخ الوفاة والمولد والمكان ما تيسر ذلك . وعليه فان قيمتها في دراستنا هذه قليلة . ومن هذا القبيل التكملة للكتاب الصلة^(١) لابي عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر القاضي ابن الآبار (ت ١٢٦٠ / ٦٥٨) صلة الصلة لابي جعفر احمد بن ابراهيم بن الزبير (ت ١٣٠٨ / ٧٠٨) . غير ان بعض المصنفين كان يستطرو فيورد اخبارا تاريخية هامة مثل ابن الآبار في الحلة السيرة وابي عبد الله محمد بن عبد الملك المراكشي (ت ١٣٠٣ / ٧٠٣) في الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة^(٢) وابي العباس احمد بن محمد المقرئ التلمساني (ت ١٠٤١ / ١٦٣١) في نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب^(٣) .

(١) رجعنا طبعة كوديرا (مدريد : ١٨٨٨ - ١٨٨٩ م) وسنشير اليه بـ التكملة .

(٢) رجعنا الى الجزئين اللذين حققهما احسان عباس (بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٤ -

١٩٦٥ م) . وسنشير الى هذا المصدر بـ الذيل والتكملة .

(٣) رجعنا الى طبعتين مختلفتين من نفح الطيب هما طبعة احمد فريد الرفاعي (القاهرة، مطبعة

عيسى البابي الحلبي، لا . ت) واشرنا اليها بـ نفح (الرفاعي) وطبعة محمد محي الدين

عبد الحميد (القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٤٩ م) واشرنا اليها بـ نفح (محي الدين) .

وفي استطراداتهم ذكروا اخبارا هامة تتعلق بالنظم الموحدية ، لم نظهر بها في كتب التاريخ العام . مثل الرسالة التي اوردها ابن عبد الملك والتي تؤكد ان لقب قاضي الجماعة اطلقه الموحدون على قاضي العاصمة . ومثل المعلومات السياسية والادارية والمالية التي اوردها المقرئ بنقوله المطولة عن مصادر فقدت اولم نجد سبيلا الى الاطلاع عليها . فمن النوع الاول نقوله عن المغرب لابن سعيد المغربي ورسالة ابي يحيى ابن المعلم الطنجي في تفضيل المغرب على الاندلس . ومن النوع الثاني اقتباساته الطويلة عن رحلة تاج الدين بن حموية السرخسي المغربية التي قام بها في خلافة المنصور الموحدى .

واما كتب التراجم التي اختصت برجال مدينة نظير عنوان الدراية فيمن عرف من علماء

المائة السابعة في بجاية ^(١) لابي العباس احمد بن احمد بن عبد الله الفبريني (ت ٧١٤/

١٣١٥) والاحاطة في اخبار غرناطة لابن الخطيب ، اونسب مثل كتاب الانساب في معرفة

الاصحاب ^(٢) لمؤلف مجهول ، او طبقات المجتمع من ادباء مثل اعتاب الكتاب ^(٣)

لابن الآبار والغصون الياضنة في محاسن شعراء

(١) رجعنا الى طبعة المطبعة الثعالبية (الجزائر ، ١٣٢٨ هـ) واشرنا اليها
ب عنوان الدراية .

(٢) نشره ليفي برؤفنسال ضمن كتاب البيذق : اخبار المهدي

وابتداء دولة الموحدين (باريز ، ١٩٢٨ م) وسنشير اليه ب اخبار المهدي

ايضا .

(٣) رجعنا الى طبعة صالح الاشر (دمشق : ١٩٦١ م) .

- المائة السابعة^(١) وكتاب اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلي^(٢) لابي الحسن بن علي بن موسى بن سعيد المغربي (ت ١٢٨٦/٦٨٥) ، وفقهاء مثل الديباج المذهب في معرفة اعيان المذهب^(٣) لابراهيم بن علي بن فرحون (ت ١٣٩٦/٧٩٩) ونيل الابتهاج بتطريز الديباج^(٤) لاحمد بابا التنبكي (ت ١٠٣٢/٩٦٣) ومتصوفة نظير التشوف الى رجال التصوف^(٥) ليوسف بن يحيى بن الزيات التادلي (ت ١٢٣٠/٦٢٧) او كتب برامج مثل برنامج شيوخ الرعييني^(٦) فان كل هذه المصنفات لم تفدنا الا في فصلي الادارة والخطه الدينية لانها ترجمت لرجال فيهم من تولوا وظائف في تلك النظم .

(١) رجعنا الى طبعة ابراهيم الابيارى (القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٤م) وسنشيراليه

ب الغصون اليانعة .

(٢) رجعنا الى طبعة ابراهيم الابيارى (القاهرة ، ١٩٥٩م) وسنشيراليه ب اختصار

ب القدح .

(٣) انظرنا في طبعة مطبعة المعاهدة (القاهرة ، ١٣٥١ هـ) وسنشيراليه ب الديباج .

(٤) الطبعة التي رجعنا اليها من حاشية الديباج واشرنا الى المصدر ب نيل الابتهاج .

(٥) رجعنا الى طبعة ادولف فور (الرباط ١٩٥٨م) وسنشيراليه ب التشوف .

(٦) حققه ابراهيم شيوخ (دمشق ، ١٩٦٢م) وسنشيراليه ب برنامج الرعييني .

غير ان كتاب التشوف لابن الزيات كان خيبة امل كبرى لنا . فعلى الرغم من ان ابن الزيات
عني بالترجمة لرجال عاشوا في الفترة الموحدية ، الا ان معلوماته كانت عن كرامات الاولياء وقصص
المتوصفة . ولم نظفر فيه الا باشارة واحدة تتعلق بسلطات قاضي الجماعة .

وحرى بنا ان ننوه باحد هذه الكتب ، وهو الانساب في معرفة الاصحاب ، فقد امدنا
المؤلف المجهول بمعلومات هنافية عن تنظيمات الموحدين لم نجدها في مصدر غيره .

واما من كتب التراجم المشرقية فلم نستفد الا من وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ^(١) لابي
العباس احمد بن خلكان (ت ٦٨١ / ١٢٨٢) . وابن خلكان كان معاصرا للدولة الموحدية .
فترجم لخلفائها تراجم طويلة نسبيا مستفيدا من الكتب المشرقية والمغربية وروايات مباشرة
عن الراحلين من المغرب الى المشرق . فاسعفنا في النظم السياسية والعسكرية والمالية بكثير
من الروايات .

الجغرافية والرحلات :

كان ابو عبد الله محمد بن محمد الادريسي (ت ٥٦٢ / ١١٦٦) معاصرا لفترة تاسيس
الدولة الموحدية فاستقينا عن نزهته ^(٢) اخبار العرب الهلالية الذين اصبحوا فيما بعد عنصرا
اساسيا في الجيش الموحدى . ولكن المؤلف المجهول الذى كتب الاستبصار في عجائب
الامصار ^(٣) حوالي سنة ٥٨٧ / ١١٩١ وعمل في دواوين الموحدين امدنا بكثير من

(١) رجعنا الى طبعة محمد محي الدين عبد الحميد (القاهرة ، ١٩٤٨ - ١٩٤٩ م) واشرنا

الى هذا المصدر بـ وفيات الاعيان .

(٢) نظرنا فيما نشر بيريس عن وصف افريقية الثمانية والصحراوية (ط . الجزائر ، ١٩٥٧ م) .
(٣) حقق هذا الكتاب سعد زغلول عبد الحميد (ط . الاسكندرية ، ١٩٥٨) واشرنا اليه بـ الاستبصار .

المعلومات عن اصلاحات الموحدين العمرانية • كما حرص بوجه خاص على ذكر احوال المغرب الاقتصادية •

ومن الكتب المتأخرة استفدنا من رحلة ابي عبدالله محمد بن محمد بن احمد التيجاني (ت ٧١٧ / ١٣١٧ ؟) ^(١) غير ان اخباره كانت مقتصرة على منطقة افريقية (تونس) • ولكن الاستفادة الكبرى كانت من الروض المعطار ^(٢) لابي عبدالله محمد بن عبد المنعم الحميري الذي صنف كتابه سنة ٨٦٦ / ١٤٦٢ فقد اشار الى اثر الصراع بين شيوخ الموحدين على مصير الدولة • كما انه المصدر الوحيد الذي زدونا بمعلومات وافية نسبيا عن الاسطول الموحدى لاسيما عدته وسفنه •

الموسوعات والنظم :

رجعنا الى كتابين من كتب الموسوعات : الاول لشهاب الدين احمد بن عبد الوهاب

(١) حقق هذه الرحلة حسن حسني عبد الوهاب وشرها بعنوان رحلة التيجاني

وقد اشرفنا اليها بالرحلة •

(٢) نشر ليفي بروفنسال وصف الاندلس بعنوان : صفة جزيرة الاندلس منتخبة من

كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار (القاهرة ، ١٩٣٧ م) واشرفنا اليه فسي

في هذه الدراسة بـ الروض المعطار •

النويرى (ت ٧٣٢ / ١٣٣٢) وهو نهاية الارب في فنون الادب . ولكننا لم نجد منه سوى القسم التاريخي المتعلق بالمغرب^(١) . وما جاء فيه عن الموحدين ما هو الا اقتباسات عن ابن الاثير وعبدالواحد المراكشي وابن خلكان ، والكتاب الثاني لشهاب الدين احمد بن علي القلقشندى (ت ٨٢١ / ١٤١٨) وهو وصيح الاعشى في كتابة الانشا^(٢) فقد اورد عددا من الرسائل الموحدية ، كما شرح طريقة الموحدين في كتابة رسائلهم .

واما كتب النظم فقد كانت فائدتنا منها محسوسة فافدنا من كتاب الاحكام السلطانية والولايات الدينية^(٣) لعلي بن محمد بن حبيب الماوردى (ت ٤٥٠ / ١٠٥٨) اذ من خلاله استطعنا ان نقارن بين افكار الموحدين وآراء اهل السنة . وزودنا ابو الحسن علي بن عبد الله بن الحسن النباهي (ت اواخر القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى) بمعلومات قيمة عن القضاء في المغرب والاندلس من خلال كتابه المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا^(٤) . ووجدنا خير عون في دراسة السكة الموحدية في كتاب ابى الحسن علي بن يوسف

(١) نشر هذا القسم جبار ريميرو (غرانا دا ، ١٩١٩ م) .

(٢) طبعة دار الكتب المصرية ، ١٩١٣ - ١٩١٩ م .

(٣) رجعنا الى طبعة مطبعة مصطفى الباي الحلبى (القاهرة ، ١٩٦٦ م) .

(٤) نشر بعنوان تاريخ قضاة الاندلس (بيروت ، المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع ، لا ت)

وقد اشرنا اليه في هذه الدراسة بـ المراقبة العليا .

الحكيم الموسوم بالدوحة المشتبكة في ضوابط دارالسكة ، ولا سيما وان الرجل كان متخصصا
في شئون النقود وصناعتها (١) .

المراجع :

من الطبيعي الا نرجع الى المعاجم الا لتفسير مصطلح او توضيح معنى . واما الفهارس
فقد اعانتنا في معرفة الانتاج الادبي والتاريخي والجغرافي في الفترة الموحدية .
ويجدر بنا ان نقف في المراجع عند معجم واحد الا وهو

Supplement aux Dictionnaires Arabes

لدوزي (٢) . فقد حرص دوزي على شرح المعاني المتداولة للكلمات في الاندلس والمغرب .
ولكننا وجدنا ان بعض شروحه لبعض المصطلحات جنحت الى التعميم فلم تطابق
المعاني التي كانت سائدة في العصر الموحدى ، وقد اشرنا الى ذلك في مواضعه من
هذه الدراسة .

(١) انظر : الدوحة المشتبكة في ضوابط دارالسكة (تحقيق)

حسين مؤنس ، مدريد ، مطبعة معهد الدراسات الاسلامية ، ١٩٩٠م) ص ٣

وسنشير الى هذا المصدر بـ الدوحة المشتبكة .

(٢) وسنشير اليه بعد هذا بـ Dozy

الدراسات :

العربية :

من الدراسات العربية لم تظفر الدولة الموحدية بدارس يبحث في نظمها ولكن وجدت من يقف عند بعض مظاهرها الحضارية، فقد كتب محمد المنوني عن العلوم والآداب والفنون في عهد الموحدين^(١) . وجمع مادة غير يسيرة ولكنها تفتقر للتحليل . وقد استفدنا منها كثيرا لاسيما في بحثنا عن عدة الجيش والاسطول ودراستنا للنظام المالي عند الموحدين .

واما دراسة تاريخ الموحدين فقد ظهرت فيه عدة كتب . فعالجه بعض الدارسين ضمن تاريخ المغرب العام او قرنه مع تاريخ المرابطين او درس فترة منه . ومن خلال الدراسة التاريخية العامة تعرض اولئك الدارسون للنظم بصورة مباشرة او غير مباشرة .

ومن الذين عالجوا التاريخ الموحدى ضمن التاريخ العام للمغرب احمد بن خالد الناصرى في الاستقصا لآخبار دول المغرب الاقصى وما

(١) العلوم والآداب والفنون في عهد الموحديين ،

تطوان ، المطبعة المهدية ، ١٩٥٠ م .

وقد اشرنا اليه بـ العلوم والآداب .

...../.....

اورده عن التاريخ الموحدى مستقى عن مصادر قديمة هي بين ايدينا (١) . وكتب ابراهيم
حركات : المغرب عبر التاريخ (٢) . وعالج فيه نظم الموحدين ، ولكنه يجنح نحو
الاحكام المتسرعة قبل ان يستقصى مادته . والف السيد عبد العزيز سالم
المغرب الكبير (٣) . وجاءت فصوله عن التاريخ السياسي ضعيفة ومرتبكة . وقيمة ماكتب
تظهر في الفصل الذى افرده للعمران الموحدى ، ولقد افدنا منه كثيرا في دراسة الحصون
الموحديّة .

(١) قمنا بدراسة تفصيلية لكتاب الاستقصا في قسمة الموحدى ، فوجدناه يعتمد اساسا
على وفيات الاعيان وروض القرطاس والعبر ، وفي حالتين على الذيل والتكملة لابن عبد
الملك المراكشي ، وفي تسع حالات على رقم الحلل لابن الخطيب . والمطبعة
التي رجعنا اليها في هذه الدراسة هي طبعة جعفر الناصرى ومحمد
الناصرى (الدار البيضاء ، دار الكتاب ، ١٩٥٤ - ١٩٥٦م) وسنشير الى هذا
الكتاب بـ الاستقصا .

(٢) طبعة دار السلمى (الدار البيضاء ، ١٩٦٥م) .

(٣) وهو الجزء الثانى من مجلد المغرب الكبير (القاهرة ، ١٩٦٦م) .

...../.....م ١٠

وأول الكتب التي قرنت بين التاريخين المرابطي والموحدي كتاب تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ليوستف اشباخ (١) . وقد ذيله بفصل عن تنظيمات الموحيدين ونظمهم . ويعتمد في مادته أساساً على روض القرطاس والحلل الموشية ، فلهذا فإن أحكامه تحتاج إلى تعديل بعد ظهور المن بالامامة ونظم الجمان والبيان المغرب في قسمه الموحدي .

والف محمد عبدالله عنان عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس (٢) .

وترسم خطى يوسف اشباخ ، غير انه استفاد من ثلاثة مصادر لم ترد عند اشباخ وهي المن بالامامة والبيان المغرب والاحاطة فتوفرت له مادة كثيرة ، ولكنه عالج النظم بشكل مجمل .

ومن الدراسات التي خصصت لجانب واحد من تاريخ الموحيدين

(١) ترجم هذا الكتاب محمد عبدالله عنان (القاهرة ،

١٩٤٠ - ١٩٤١ م) وسنشير اليه ب اشباخ .

(٢) الكتاب من قسامين (القاهرة ، ١٩٦٤ م) وسنشير اليه

ب عنان .

عن الفترة الحضارة العربية بافريقية التونسية^(١) . فقد وردت فيها
معلومات هامة عن السكة الموحدية من خلال دراسة النقود الحفصية .
و دراسة نقولا زيادة عن الحسبة والمحتسب في الاسلام^(٢) ، حيث وقف المؤلف وقفة
طويلة ودقيقة عند الحسبة في المغرب والاندلس ، لاسيما في العصر المرابطي
مما يسر علينا تتبع نظام الحسبة عند الموحيدين .
و دراسة ابراهيم حركات عن النظم المرابطية^(٣) التي هيأت لنا فرصة عظيمة لتتبع
التطور التاريخي للنظم ، اذ ان الفترة الموحدية ما هي الا امتداد للفترة

(١) عبد الوهاب : ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية

(تونس ، مكتب تونس ، ١٩٦٤ - ١٩٦٦) وسنرمز اليها

بـ ورقات .

(٢) زيادة : الحسبة والمحتسب في الاسلام (بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٦٣ م)

وسنشير الى هذه الدراسة بـ الحسبة والمحتسب .

(٣) حركات : النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين (الدار البيضاء ، لا . ت . ٠)

وسنشير الى هذه الدراسة بـ النظام السياسي .

.../...

المرابطة • وتبدل الدول لا يستوعبي تغيير المؤسسات ولا يعني
الانقطاع التاريخي •

الاجنبية :

ان الدراسة الاجنبية الوحيدة التي عالجت النظم الموحدية واطلعنا عليها
اطلاعا مباشرا هي دراسة هوكنز عن تلك الحكومة الاسلامية الوسيطة في ارض
البربر (١) • وفي هذا الكتاب افرد المؤلف فصلا لتنظيمات الموحديين ،
ودرسها دراسة اجتماعية شاملة • ولكنه لم يميز بين بداياتها والتغييرات التي طرأت
عليها ، وجملة واما النظم الموحدية فلم يهتم بها الا في احيان قليلة •
ودرس هويسبي ميراندا التاريخ السياسي للدولة

(١) Hopkins; J.F.P.; Medieval Muslim
Government In Barbary (London, 1958)

وسنشير الى هذه الدراسة ب Hopkins

الموحدية^(١) . فجاءت دراسته شاملة للمصادر المتوفرة مع تحليل دقيق للروايات . ومن خلال التاريخ السياسي تعرض للنظم الموحدية ادارية وعسكرية ومالية وقد استفدنا كثيرا من النتائج التي خلص اليها . الا ان دراسته لتنظيمات الموحدين لم تأت بمستوى الموضوعات الاخرى فلم يفصل فيها القول .

ونبهنا جوليان^(٢) ، في كتابه عن تاريخ افريقية الشمالية الى شيئين هامين في دراسة افكار ابن تومرت : اولا التنوع في افكار ابن تومرت . وثانيا محاولات ابن تومرت للاقتداء بالرسول في اقواله وافعاله وتنظيماته . ولجانا الى تراس^(٣) في امر واحد هو محاولة معرفة التنظيمات البربرية المعاصرة ، كمحاولة للكشف عن تنظيمات قبائل الموحدين ، حتى نستطيع ان نتبين الى اية درجة تاثر ابن تومرت بها في تكوين تنظيماته .

خ ل ا ص ة :

من تقييمنا للمصادر يتضح ان المادة عن تنظيمات الموحدين ونظمهم قليلة ومبعثرة ويحتاج تفقيشها الى جهد عظيم . كما وان تقييم الدراسات يكشف عن عزوف الدارسين عن تناولها الا في صورة مجملة لا ترسم صورة ولا توضح حقيقة .

1. Huici Miranda, A.; Historia Politica del Imperio Almohade (Tetuan 1956-1957)

Huici و سنشير الى هذه الدراسة بـ

2. Julien, C.A; Histoire de L'Afrique du Nord (Paris, 1956)

Julien و سنشير الى هذه الدراسة بـ

3. Terrasse, H.; Histoire du Maroc (Casablanca, 1949-1950)

Terrasse و سنشير الى هذه الدراسة بـ

الفصل الثاني

مدخل تاريخي

الفصل الثاني

مدخل تاريخي

من المفيد ان نلم بالاحوال السياسية لدولة الموحدين في شكل اجمالي ، فذلك يعين على تفهم نشوء تنظيماتهم وتطورها ، ذلك بان التنظيمات هي اداة السياسة التنفيذية . فلا مندوحة للدارس لاحداهما من تفهم الاخرى ، فكلتاهما وجه لظاهرة حضارية واحدة هي الدولة وكل منهما تفعل في الاخرى وتنفعل فيها .

الاحوال السياسية قبل الموحيدين :

قامت ثورة الموحدين في مطلع القرن السادس / الثاني عشر وقبل ان ينتصف ذلك القرن كان الموحدون قد نجحوا في تأسيس دولتهم . فولدت تلك الدولة في عصر شهد فيه العالم الاسلامي الزحف الاوروبي على دياره . فمنذ مطلع القرن الخامس / الحادي عشر ، اتسع نطاق حملات الاستعادة في اسبانيا ومع ختامه بدأت الحملة الصليبية على المشرق ، وقد اثر الحدثنان في مسيرة التاريخ في المنطقتين لقرون تلت . ففي المشرق فشلت الامارات السلجوقية والخلافة الفاطمية في التصدي للتحدى فأخذ الراية الزنكيون فالايوبيون ثم الماليك . وعاصر الموحدون ضعف الفاطميين وسقوطهم ، وقيام الايبيين وانحلال دولتهم .

ومنذ أن اضمحلت دولة الامويين في قرطبة مطلع القرن الخامس / الحادي عشر
شابهت احوال المغرب العربي اوضاع المشرق تمزقا وانقسامًا . فعصفت النزاعات القبلية
بالمغرب الاقصى والخلافات الشخصية والاقليمية بالاندلس . ومنذ منتصف ذلك القرن
استطاع المرابطون توحيد المغرب الاقصى ، وأسسوا دولتهم . بينما وجد نصارى اسبانيا
المتحفزون في الشمال في اختلاف ملوك الطوائف فرصة اغتنموها ، فزحفوا على اراضي المسلمين
ويلغوا ذروة نجاحهم يوم استولت قشتالة على طليطلة (١٠٨٥ / ٤٧٨) واتخذتها حاضرة ،
وزحفت أرغون على سرقسطة وحصرتها . فأفاقت الزعامات الاسلامية المتناحرة من نفوتها ،
وتبينت الخطر الذي دهمها ، ولم تجد من سبيل سوى الاستغاثة بالمرابطين في المغرب ،
فانجدهم يوسف بن تاشفين ، واحرز نصرا كبيرا على النصارى بهزيمتهم في واقعة الزلاقة
(١٠٨٦ / ٤٧٩) ثم ضم الاندلس الى ملكه . واستطاع المرابطون الحد من الخطر النصراني
وتفوقوا عليه امداء غير يسير حتى خسروا سرقسطة عام (١١١٨ / ٥١٢) التي غدت عاصمة
لأرغون . وتبع ذلك ثورة الموحدين بالمغرب (١١٢١ / ٥١٥) ، فواجه المرابطون وضعا
متأزما في الداخل وخطرا متريسا من الخارج . ففي بداية الامر اولوا الخطر الخارجي
جلّ أمرهم فتفاقم الوضع الداخلي ، ولما توجهوا نحوه بثقلهم خرجت الاندلس من أيديهم
ودخلت في عهد طوائف ثان ، وبعد فترة قصيرة فقدوا المغرب نفسه وخلفهم على حكمه
الموحدون يوم استولوا على عاصمتهم مراكش .

وفي هذا العصر لم يكن حال المغريين الادنى والاوسط باحسن من الاندلس فقد
خلف الصنهاجيون العبيديين على حكمهما : بنو باديس في المهدية وبنو حماد في بجاية .

وفي عهدهم نزحت القبائل الهلالية من مصر الى افريقية بتدبير من الفاطميين لما نقموا على بني باديس قطعهم الخطبة عنهم وتحويلها الى العباسيين (١) . وعاشت تلك القبائل في المنطقة من برقة الى بجاية خرابا ودمارا (٢) ، وتوجته بخراب القيروان عاصمة بني باديس الذين اتخذوا المهدية عاصمة جديدة (٣) . ولكن اضعف قدوم العرب الى المنطقة امارتي الصنهاجيين فقد اطمع ذلك النورمان من صقلية في الساحل الافريقي فشرعوا في احتلال مدنه وحصونه بحيث بلغت سيطرتهم مداها باستيلائهم على المهدية عام (١١٤٨ / ٥٤٣) (٤) .

وسلط الصقليون نفوذهم على المنطقة حتى اخرجهم الموحدون عنها .

وهكذا قامت ثورة الموحدين وتصادت في وقت ضعفت فيه دولة المرابطين بالمغرب واشتد الزحف المسيحي في اسبانيا وتعرضت افريقية للزحف الهلالي وما اعقبه من سيطرة نورماندى صقلية .

تأسيس الدولة الموحدية :

مؤسس لدعوة الموحدين وواضع اساس دولتهم هو محمد بن عبد الله

-
- (١) المعجب ص ٢٠٤ - ٢٠٦ ، البيان المغرب (ط . دار الثقافة) ج ١ ص ٤١٧
- الرحلة ص ١٧ وما بعدها ، العبر ج ٦ ص ٣٠ ، الاستقصا ج ٢ ص ١٦٥ .
- (٢) راجع : نزهة المشتاق ص ٨٩ ، ٩٠ ، ١٠٠ .
- (٣) المعجب ص ٢٢٤ .
- (٤) راجع دراسة دكتور احسان عباس عن هذه الهجرات واثرها في مؤلفه تاريخ ليبيا ص ١٤١ وما بعدها .

.../...

تومت^(١) من هرة احدى احدى قبائل المصامدة في السوس الاقصى^(٢) . على
الارجح انه ولد حوالي عام (٤٧٥ / ١٠٨٢) ^(٣) في رباط ايجيليز من
..... /

١- تكاد ان تجمع المصادر على اسمه واسم ابيه وينفرد المراكش فيقول ان اسمه محمد بن
عبدالله بن تومت (المعجب ص ١٧٨) ولم ترد كلمة تومت اسما لجده في روايات نسبه
المختلفة ويذكر ابن القطان وصاحب الحلل الموشية ان تومت لقب لوالده (نظم الجمان
ص ٣٥ ، الحلل الموشية ص ٨٥) ويرى ليثي بروقتسال انها اسم لاحدى جداته
فغلبت على نسبه ويذهب الى ان اسمي محمد وعبدالله استبدل بهما اسمه واسم
ابيه البربريين في وقت لاحق (الاسلام في المغرب والاندلس ص ٢٦٤ - ٢٦٥) وهذا
امر لا نستبعده .

(٢) تكاد ان تجمع المصادر على ذلك ويضيف بعضها نسبا علويا الى نسبه الامرالذي
شك فيه بعض المؤرخين وانكره آخرون في القديم والحديث ولنا عودة الى ذلك في
شيء من التفصيل في مناقشة نظام الخلافة .

(٣) لا نملك سوى رواية واحدة عن مولده أوردها ابن خلكان وحدد تاريخ ذلك بيوم
عاشورا (١٠٩٢/٤٨٥) ولكن ابن القطان . وعنه يأخذ ابن عذارى - ذكران لله
ابن تومت توفي عام (١١٣٠/٥٢٤) وله خمسون سنة . وعليه يكون مولده عام (١٠٨٢/٤٧٥)
وهذا امر نرجحه لان ابن تومت اعلن مهديته عام (١١٢١/٥١٥) ويكون عمره مقاربا
لسن النبوة والرجل كثيرا ما كان يحتدى خطوات النبي ، راجع : وفيات الاعيان ج ٤ ص ١٤٤
نظم الجمان ص ٧٤ ، البيان المغرب (ط . دار الثقافة) ج ٤ ص ٨٤ .

.../...

هرغة^(١) ، وتعلم في مكتب قريته^(٢) . ومع مختتم القرن الخامس / مطلع القرن الثاني عشر
جاز الى قرطبة ، ولم يستقر بها الا يسيرا فواصل رحلته الى المشرق^(٣) . ولا تسعفنا المصادر
بشيوخه في المغرب أو الاندلس ، وتختلف الروايات في شيوخه بالمشرق^(٤) . ورجع من
المشرق عام (١١١٦/٥١٠)^(٥) " بحرا منفجرا من العلم وشهابا واريا من الدين^(٦) " ،

.../...

(١) اختلفت المصادر في اسم القرية ، راجع : المعجب ص ١٧٨ ، : نظم الجمان

ص ٣٧ ، الدعوة الموحدية بالمغرب ص ٣٥ .

(٢) نظم الجمان ص ٣٧ ، العبر ج ٦ ص ٤٦٥ .

(٣) نظم الجمان ص ٤ ووهم ابن خلدون وجعلها في رأس المائة الخامسة :

العبر ج ٦ ص ٤٦٥ .

(٤) انظر المعجب ص ١٧٨ ، الكامل في التاريخ ج ١٠ ص ٥٦٩ ،

وفيات الاعيان ج ٤ ص ١٣٧ ، الحلل الموشية ص ٨٥ ،

نهاية الارب ص ١٨٩ ،

Terrasse; p.267

(٥) تختلف الروايات في تاريخ رجوع ابن تومرت الى المغرب قارن روايات : الكامل

ج ١٠ ص ٥٧٠ ، وفيات الاعيان ج ٤ ص ١٣٨ ، نظم الجمان ص ٢١ ،

روض القرطاس ص ١١١ .

(٦) العبر ج ٦ ص ٤٦٦ .

.../...

فصيحا في لسان العرب والبربر، عارفا بأصول الدين والفقہ، حافظا للحديث منتصفا بالورع والنسك،^(١) متحمسا للمذهب الأشعري^(٢).

ان رحلة القبول الى المغرب تمثل بداية ثورته. ويبدو ان ابن تومرت عاد الى موطنه وهو يظن نفسه مبعوث العناية الالهية على رأس المائة السادسة تأثرا بالحديث "ان الله تعالى يبعث لهذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها"^(٣)، وحرص على ربط حركته بأبي حامد الغزالي^(٤) ليعتبر وريثة في التجديد ولاسيما وأن المجددين في قرنهم قد يكونون غير

.../...

(١) الكامل، ج ١٠ ص ٥٦٩، و وفيات الاعيان ج ٤ ص ١٣٢، روض القرطاس ص ١١١.

(٢) المعجب ص ١٨٤، العبر ج ١ ص ٤١٢، ج ٦ ص ٤٦٦.

(٣) اتحاف السادة المتقين بشرح اسرار احياء علوم الدين ج ١ ص ٢٦.

(٤) من هذا القبيل قصة لقاء ابن تومرت للغزالي واخذه عنه والتي ارجح انها وضعت

في ايام ابن تومرت وربما كان هو واضع اصولها فمصادر انصار الدعوة تؤكدها (انظر

نظم الجمان ص ١٧ - ١٨، الحلل الموشية ص ٨٥ - ٨٦، البيان المغرب

(ط ٠ دار الثقافة) ج ٤ ص ٥٩، روض القرطاس ص ١١٠ - ١١١ وابن الجوزي

فيما نقله عن الذهبي (انظر: سيرة الغزالي ص ٧١ نقلا عن مخطوط

دار الكتب المصرية) ، ولكن عبد الواحد المراكش يشك فيهل (المعجب ص ١٧٨)

* .../...

.../...

واحد (١) . وحرص عبد المؤمن على تأكيد تلك الصلة بين امامه وخجة الاسلام (٢) . وكان ابن تومرت طوال رحلته راجعا الى المغرب كثير الجلوس للوعظ والارشاد ، عظيم الالتزام بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر بالرغم من كل ضنك اصابه او اذى لحقه . فاشتهر بالعلم والعمل ، واستطاع ان يختار نجباء الطلاب المتصفين بالذكاء المتقدم ، والصبر على

* وكذلك ابن خلدون في العبر (ج ٦ ص ٤٦٦) وابن الاثيرين في الامر نفييا قاطعا (الكامل ج ١٠ ص ٥٦٩) ونكاد نقطع ان الامر كما قال ابن الاثير لثلاثة اسباب :
اولا : اغلب الروايات المثبتة جاءت من انصار الدعوة الموحدية او من اخذ عنهم .
ثانيا : لم يكن الغزالي بالشام او العراق ايام رحلة ابن تومرت ، وقد كان بخرسان منذ ٤٩٣ - ٥٠٥ حيث توفي (سيرة الغزالي ص ١٧ ، ٢٤) ولم يزر ابن تومرت خراسان .

ثالثا : بيد وان عبد المؤمن بن علي خليفة ابن تومرت كان شاكيا في الامر وكان يسأل ليتأكد فقد سأل ابن العربي (الحلل الموشية ص ١٢٢ - ١٢٣ ، روض القرطاس ص ١٢٤) بينما لم يكن ابن العربي بالمشرق ايام كان ابن تومرت فيه (انظر رحلة ابن العربي في وفيات الاعيان ج ٣ ص ٤٢٣ - ٤٢٤) .

(١) انظر مناقشة السيد المرتضى الزبيدي للحديث السابق ورأى الفقهاء في تعدد المجددين في القرن الواحد في كتاب اتحاف السادة المتقين بشرح اسرار احياء علوم الدين ج ١ ص ٢٦ - ٢٧ .

(٢) سبق وذكرنا سؤال عبد المؤمن لابن العربي (من هنا اعلاه ص ٣٥ تعليق رقم ٤) وذكر الذهبي " قال عبد الله بن الاثيري (كذا) سمعت عبد المؤمن بن علي القسي (كذا) سمعت ابا عبد الله بن تومرت يقول : ابو حامد الغزالي قرء الباب وفتح لنا " (سيرة الغزالي ص ٧١) .

.../... م ٢٠٠٠ .

.../...

المكارة ، من أمثال عبد الواحد الشرقي واهي محمد البشير الوائشريسي وعبد المؤمن بن علي ، وكلهم لعب دورا بارزا في تأسيس الدولة . ولهذا اعتبرنا عودته من المشرق الى المغرب بداية حركته ولاسيما وان ابن تومرت كان يسأل عن اخبار جبل درن موطن المصامدة (١) .

ولما وصل مراكش عام (١١٢٠ / ٥١٤) (٢) دخلت دعوته في طور جديد فاتخذ مما اعتبره مفاسد الطبقة العليا مادة لوعظه ، وهدفا لامره ونهيه ، فكثرت اتباعه . وبعد وقت قصير اضطره المرابطون الى الخروج من مراكش (٣) ، فسار الى اغمات . وفيها تبلى صور التحول في اسلوبه فخلع بيعة علي بن يوسف من أعناق تابعيه (٤) . وعندها دخل .../...

-
- (١) اخبار المهدي ابن تومرت ص ٥٧ .
(٢) الحلل الموشية ص ٨٢ ، روض القرطاس ص ١١٠ .
(٣) اختلفت المصادر في صورة احداث مراكش وكيفية اخراجه منها راجع في ذلك : اخبار المهدي ص ٦٧ - ٧٠ ، الكامل ج ١٠ ص ٥٧١ و فيات الاعيان ج ٤ ص ١٤٠ - ١٤١ ، الحلل الموشية ص ٨٢ ، روض القرطاس ص ١١٢ - ١١٣ .
(٤) انظر رواية ابن البواعي في نظم الجمالان ، ص ٢٩ .

.../...

م — مرحلة الثورة ثم سار الى موطن قبيلته ونزل رباط ايجيليز سنة (٥١٤ / ١١٢٠) (١)
وقد وفق في اختيار موضع ثورته . فالمصامدة هم عصبته والمغرب " اذ ذاك وفي كل وقت هو القبائل " (٢)

(١) اخبار المهدي ص ٧٢ ، الكامل ، ج ١٠ ص ٥٧١ ، نهاية
الارب ص ١٩٠ - ١٩١ ، وذكر صاحب الحلل ذلك في سنة ٥١٠ / ١١١٦ وهو
مناقض لما ذكره من قبل عن قدمه مراکش من المشرق في سنة
١١٢٠ / ٥١٤ (انظر اعلاه من هنا ص ٣٧ تعليق رقم ٣ وقابله
بالحلل الموشية ص ٨٥) . وابن القطان لا يورد الا رواية ابن الراعي
الذي يقول بسنة ٥١٥ / ١١٢١ ، وفي النظم سقط ارجح ان روايات
اخرى ذهبت فيه (انظر نظم الجمان ص ٢٩) وابن خلدون يتفق مع رواية
ابن الراعي (العبر ج ٦ ص ٤٦٩) . وهنا تجدر الاشارة الى
ان المراكشي وابن خلكان وصاحب الروض في احدى رواياته يغفلون امر ايجيليز
وينسبون احداثها لفترة تينملل (المعجب ص ١٨٧ ، وفيات الاعيان ج ٤ ص ١٤١ -
١٤٢ ، روض القرطاس ص ١١٣) ويبدو ان الامر اختلط عليهم لان
ابن تومرت ذهب الى تينملل في طريقه الى ايجيليز (اخبار المهدي
ص ٧٢) فظنوا ذهابه الاول ذهاب استقرار .

(٢) كنون ، عبدالله ، النبوغ المغربي ج ١ ص ١٠٣ .

٠٠٠ / ٠٠٠

والمصامدة بوجه خاص لم يكونوا على وئام مع المرابطين الذين بنوا عاصمتهم مراكش بالقرب منهم ليدللوا من صعابهم^(١) . وفي ايجيليز بدا في تنظيم اتباعهم . وظل عاما يعظ ويذكر بايام الله ، ويهاجم الحكام لما استحدثوا من باطل ، وافشوا من ظلم ، ويحض على الخروج عليهم ويوجب قتالهم لكفرهم ، فتسامع به اهل الجبل فجاؤه افواجا^(٢) . ويذكر بالمهدى الذي اخبر عنه النبي وتلوا الاحسا ديث في شانہ ويشوقهم لظهوره وميقاته^(٣) . فلما اسلسوا له القيادة واستوثق من قبيلته ومنعة موضعه ، اعلن مهاديته^(٤) في رمضان ١١٢١ / ٥١٥^(٥) فبايعه

-
- (١) العبر ج ٦ ص ٤٦٤ .
 - (٢) الكامل ج ١٠ ص ٥٧١ .
 - (٣) المعجب ص ١٨٧ .
 - (٤) نظم الجمان ص ٧٥ ، الحلل الموشية ص ٨٣ ، البيان المغرب (ط . دار الثقافة) ج ٤ ص ٦٨ واخطأ البيدق وجعلها في تينمل انظر اخبار المهدى ص ٧٣ .
 - (٥) نظم الجمان ص ٧٤ ، البيان المغرب (ط . دار الثقافة) ج ٤ ص ٦٨ ، الحلل الموشية ص ٨٧ ، العبر ج ٦ ص ٤٦٩ ، وذكر ابن القطان في احدى رواياته سنة ١١٢٠ / ٥١٤ (نظم الجمان ص ٧٤) ، وهذه رواية لا تتفق مع ما سبق ان بيناه من امر هجرته الى ايجيليز في سنة ١١٢٠ / ٥١٤ ومقائه عاما يعظ وينظم نفسه واتباعه ، وذكرت بعض الروايات في سنة ١١٢٢ / ٥١٦ مراجع سنة ١١٢٤ / ٥١٨ (راجع: نظم الجمان ص ٣٣ ، البيان المغرب (ط . دار الثقافة) ج ٤ ص ٦٨ و مفاخر البربر ص ٥٩) ويبدو لي ان الامر اختلط في الرواية الاولى مع بداية حملات المرابطين على الموحدية التي لم تكن الا من سنة ١١٢٢ / ٥١٦ وفي الثانية مع تاريخ الهجرة الى تينمل . اذ ان هذا ان البيعات كانت كثيرة في المناسبات وخاصة مع دخول قبائل جديدة .

أصحابه^(١)، فدخلت دعوته في طور ثالث، هو مقارعة المرابطين بحد السلاح لاجتثاث حكمهم الباطل حسب رأيه، ولقائمة الدولة الرشيدة على هدى التعاليم التي بشر بها أتباعه. ونستطيع ان نفرق بين مرحلتين في تطور ثورة الموحدين في هذا الدور : مرحلة ايجيليز ومرحلة تينملل .

ان فترة ايجيليز امتدت منذ بويغ الى سنة (١١٢٤ / ٥١٨)^(٢) عام هاجر الى تينملل . وفي هذه المرحلة عمل على بسط نفوذه على مصادمة جبل درن ، ووقف من المرابطين موقفا دفاعيا واتبع مع المصادمة أسلوبين :

فقد ارسل طلبته دعاة^(٣) ، ومن كابر وغدر ارسل عليه جنده غزاة . فطاعته هرغمة وكدميوة وكنفيسة وهنتاته وقبائل اهل تينملل^(٤) . وهزم الجيوش التي وجهها المرابطون اليه من السوس ثم مراكش ، فغنم اموالا واسلحة وهيأت له انتصاراته الاولية دعاية واسعة بين البربر فجاءه وه أفواجا^(٥) . ولما سى المرابطون الموحدين خوارج شن المهدي دعاية

(١) الحلل الموشية ص ٨٥ - ٨٦ ، ٨٨ .

(٢) نظم الجمان ص ٢٣ ، البيان المغرب (ط . دار الثقافة) ج ٤ ص ٦٨ ، العبر ج ٦ ص ٤٧٠

وصاحب روض القرطاس كعادته في عدم الدقة في ذكر التواريخ ذكر ١١٦٣ / ٥١٦ انظر ص ١١٥

(٣) نظم الجمان ص ٨٤ - ٨٥ ، اخبار المهدي ص ١٣٢ ويخطي في تاريخ ذلك .

(٤) نظم الجمان ص ٩٢ - ٩٣ .

(٥) الكامل ج ١٠ ص ٥٧٢ ، نظم الجمان ص ٨١ - ٨٢ ، ٨٣ - ٨٤ ، ٨٥ - ٨٦ ، ٨٧ - ٨٨ ، ٨٩ - ٩٠ ، ٩١ .

الحلل الموشية ص ٨٤ ، ٩٠ ، العبر ج ٦ ص ٤٦٩ - ٤٧٠ .

عظيمة عليهم فساهم الحشم والزراجنة والمجسمة^(١) ، ولما اشتدت عليه هجمات المرابطين طلب مكانا حصينا ، فهاجر الى تينملل^(٢) لان هزيمة الجبل قد وجدت^(٣) . وفي هذه المرحلة من ثورته ، طهر صفوفه من العناصر الرخوة او المشاغبة التي يصعب قيادها^(٤) وآخى بين الموحدين^(٥) ، وركز على تربيتهم^(٦) ، ويبدو ان خطته العسكرية تحولت في عام ١١٢٥ / ٥١٩ من الدفاع الى الهجوم المجهوم ، فاغار جنده على احواز مراکش ووصلوا اغمات^(٧) . وفي عام ١١٣٠ / ٥٢٤ ركر هجومها على مراکش نفسها ، لكنه مني بهزيمة كبرى ، ففقد فيها جندا كثيرا وقادة عظام هم نصف مستشاريه العشرة ، ولم يلبث بعدها الا قليلا حتى توفي^(٨) . ومنذ ان تحولت خطته الى الهجوم كانت قائمة على التحصن

-
- (١) نظم الجمان ص ٨٥ ، الحلل الموشية ص ٩٠ - ٩١ .
 - (٢) عن حصانة تينملل انظر نظم الجمان ص ٩٥ ، الحلل الموشية ص ٩٢ .
 - (٣) نظم الجمان ص ٩٤ .
 - (٤) الكامل ج ١٠ ص ٥٧٢ - ٥٧٦ ، نظم الجمان ص ٩٤ ، ٩٧ ، ١٠٢ - ١٠٤ ، ١١٤ .
 - (٥) ١٢٣ ، البيان المغرب (ط . دار الثقافة) ج ٤ ص ٦٨ - ٦٩ ، نهاية الارب ص ١٩١ - ١٩٤ .
 - (٦) اخبار المهدي ص ٣٧ - ٤٠ ، نظم الجمان ص ٩٧ .
 - (٧) الكامل ج ١٠ ص ٥٧٢ ، نظم الجمان ص ٩٤ .
 - (٨) البيان المغرب (ط . دار الثقافة) ج ٤ ص ٧٥ .
 - (٨) انظر نظم الجمان ص ١١٥ وما بعدها ، الحلل الموشية ص ٩٢ ، المعجب ص ١٩٢ ، ١٩٣ ، البيان المغرب (ط . دار الثقافة) ج ٤ ص ٧٥ - ٧٦ .

في الجبال دون النزول الى السهول الا للغارات السريعة الخاطفة^(١) ، فازعجت غارات الموحدون المرابطين ، فبنى المرابطون المراصد قرب مراكش لسد الطرق التي ينزل منها الموحدون الى الاوطية وقد قام الفلاكي الاندلسي بدور كبير في ذلك^(٢) ، وبلغت خشية المرابطين من الموحدون درجة عظيمة فسوروا مراكش^(٣) .

وبوفاة المهدي تولى عبد المؤمن بن علي القيادة ، وقد ورث تركة ثقيلة . فهزيمة البحرية ثم وفاة المهدي اثرتا على الروح المعنوية ، فارتدت بعض القبائل ، فاقام عبد المؤمن بتينمائل يتالف القلوب ويحسن الى الناس^(٤) . واعاد الثقة الى النفوس فباشروا الموحدون حروبهم ، ومع اول انتصار اخذ الناس يفدون عليه ،^(٥) فاضح المرتدين ،

-
- (١) الكامل ج ١٠ ص ٥٧٦ ، نهاية الارب ص ١٩٤ .
- (٢) البيان المغرب (ط . دار الثقافة) ج ٤ ص ٧٥ ، الحلل الموشية ص ٩٣ ، غيران ابن القطان يجعل التحصينات في فترة ايجيليز وهذا ما نستبعد ، لان هجمات الموحدون بدأت في تينمائل .
- (نظم الجمان ص ٨٦) .
- (٣) بدا تسويرها في سنة (١١٢٦ / ٥٢٠) بنصيحة ابن رشد الجد سنة (١١٢٥ / ٥١٩)
- انظر البيان المغرب (ط . دار الثقافة) ج ٤ ص ٧٢ - ٧٣ ، الحلل الموشية ص ٧٤ - ٧٥ ، ويخطي ابن الوراق وابن القطان فيجعله سنة ١١٢٨ / ٥٢٢
- (مفاخر البربر ص ٥٣ ، نظم الجمان ص ١٠٦ - ١٠٧) بينما توفي ابن رشد سنة ٥١٩ / ١١٢٥ (انظر : البيان المغرب (ط . دار الثقافة) ج ٤ ص ٧٤) .
- (٤) الكامل ج ١٠ ص ٥٧٨ .
- (٥) انظر هزيمة الموحدون لابن تاعيش المرابطي سنة ١٣١ / ٥٢٥ في البيان المغرب (ط . دار الثقافة) ج ٤ ص ٨٥ .
- وراجع نظم الجمان ص ١٩٥ - ١٩٦ .

وبانضمام الفلاكي الاندلسي بدأ الموحدون يسيطرون على حصون المرابطين حول اغمات ويبسطون نفوذهم على منطقة السوس، على الرغم من بلاء الجند الرومي المرابطي بقيادة البربر (١) . وفي الوقت ذاته كان عبد المؤمن يبعث الطلبة لدعوة القبائل لامره (٢) في محاولة لكسبهم سلميا . ومنذ سنة ١١٣٦ / ٥٣٠ بدأ الموحدون يشن حملاتهم خارج منطقة السوس، فاغاروا على درعة وزناتة وتادلا في جبل غياثة واشتبكوا مع المرابطين في معارك ضارية (٣) . ويبدو ان النجاح الاولي الذي كسبه الموحدون اغرى عبد المؤمن فخرج في سنة ١١٣٩ / ٥٣٤ في حملته " الطويلة الاعوام " (٤) التي انتهت بسقوط دولة المرابطين .

وقد تولى تاشفين بن علي امر المواجهة كقائد اعلى (٥) ، ثم كأمير بعد وفاة والده

(١) نظم الجمان ص ١٩٣ ، ٢١٠ - ٢١٢ ، البيان المغرب (ط . دار الثقافة) ج ٤ ص ٩٤ .

Huici v;1 p. 112

(٢) ابن القطان : نظم الجمان ص ٢١٢ .

(٣) اختلفت الروايات في تاريخ هذه الاحداث اختلافا شديدا راجع : الكامل : ج ١٠ ص ٥٢٨ ، نظم الجمان ص ٢٢٥ - ٢٢٦ ، ٢٢٩ - ٢٣٢ ، روض القرطاس ١٢١ - ١٢٢ ، البيان المغرب (ط . دار الثقافة) ج ٤ ص ٩٦ - ٩٨ وطبعة هوسي ج ٣ ص ١١ ، الحلل الموشية ص ١٨٨ ، واعتمدنا ما روى نقلا عن ابن صاحب الصلاة لقرينه من زمن الاحداث .

(٤) البيان المغرب ، ج ٣ ص ١٣ .

(٥) انظر ابن عذارى : البيان المغرب (ط . دار الثقافة) ج ٤ ص ٩٨ وطبعة هوسي

ج ٣ ص ١٢ .

- في سنة ١١٤٣/٥٣٧^(١) . وفشل بالرغم من حشده عسكر سجلماسة وبجاية والاندلس^(٢) ،
وقتل في خضم الصراع (١١٤٥ / ٥٣٩)^(٣) . وبالرغم عن بلاء الجند الرومي بقيادة
البربر^(٤) اخذ الموحدون وهران^(٥) ، ثم تتابع سقوط المدن المرابطية . فسقطت
تلمسان (١١٤٥ / ٥٣٩)^(٦) ، وسجلماسة^(٧) ، وفاس (١١٤٥ / ٥٤٠)^(٨) .

(١) البيان المغرب ج ٣ ص ١٣ - ١٤ ، الحلل الموشية ص ١٠٦ ، روض القرطاس
ص ١٠٧ ، الاحاطة في اخبار غرناطة ج ١ ص ٤٥٥ .

(٢) البيان المغرب ج ٣ ص ١٥ ، الحلل الموشية ص ١٠٧ - ١٠٨ .

(٣) الكامل ج ١٠ ص ٥٧٩ - ٥٨٠ : البيان المغرب ج ٣ ص ١٦ ، مفاخر البربر ص ٥٨ ،

الاحاطة ج ١ ص ٤٦٢ ، روض القرطاس ص ١٠٨ .

(٤) البيان المغرب (ط . دار الثقافة) ج ٤ ص ٩٨ .

(٥) المصدر ذاته (~~ط . هويبي~~) ج ٣ ص ١٨ .

(٦) الكامل ج ١٠ ص ٥٨١ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٨ ، مفاخر البربر ص ٥٨ - ٥٩ .

(٧) البيان المغرب ج ٣ ص ١٨ .

(٨) المصدر ذاته ج ٣ ص ١٩ - ٢٠ ، الحلل الموشية ص ١١١ - ١١٢ ،

الاستبصار ص ١٨٢ .

..... / ٠٠٠

وسلا (١) ، وسبته (٢) واغامت وطنجة (١١٤٦ / ٥٤١) (٣) ، ومراكش (شوال ٥٤١ / مارس ١١٤٧) (٤) ووفدت جميع قبائل المصامدة طائفة لعبد المؤمن ، ولكن الحكم الجديد لم يستقر من فوره ، فالروح القبلية الكامنة في نفوس المغاربة ، حفزها نصر المصامدة فانبعث في ثورة عاتية عارمة ، فقام محمد بن عبدالله بن هود الماسي بالسوس ، وتلقب بالهادي وسيطر على البلاد ماعدا مراكش وفاس ، واستطاع عبد المؤمن القضاء عليه في ذي الحجة ٥٤١ / ١١٤٧ (٥) ، فغرى نجاح الماسي قبائل في البدايات ^{قبائل} دكالة وبرفواطه

-
- (١) الكامل ج ١٠ ص ٥٨٢ ، الحلل الموشية ص ١١٢ ، مفاخر البربر ص ٥٩ .
- (٢) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٠ ، مفاخر البربر ص ٥٩ .
- (٣) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٣ ، روض القرطاس ص ١٢٣ .
- (٤) اكثر الروايات على ذلك راجع الاستبصار ص ٢٠٢ . البيان المغرب ج ٣ ص ٢٣ ، الحلل الموشية ص ١١٤ ، مفاخر البربر ص ٥٩ ، الاحاطة ج ١ ص ١٩٢ ، ولا يخالف الا المراكشي ويجعل الفتح في سنة ٥٣٧ / ١١٤٣ (المعجب ص ٢٠٢) وقد بينا ان المراكشي كتب في المشرق من ذاكرته ومن الصعوبة بمكان اعتماد ما يورد من تواريخ للاحداث .
- (٥) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٦ ، الحلل الموشية ص ١٢١ ، روض القرطاس ص ١٢٣ .

..... / ٠٠٠ م ١٠

... / ...

فتاروا^(١)، وأرادت الجيوب المرابطية استغلال تلك الثورة لاستعادة سلطتها بمقام القاضي عياض في سبتة، وبايع بني غافية في ميورقة، وتحالفوا جميعا مع دكالسة وبرغواطة. ولكن فتنتهم اخمدت وحركتهم تبددت، وخلص الامر لعبد المؤمن عام ٥٤٣هـ / ١١٤٨. ودخلت دولة الموحيدين في طور جديد هو عصر الازدهار. والعوامل الاساسية التي ادت الى انتصار الموحيدين وسقوط المرابطين تكمن في حالتهما قوة وضعفا. فالمهدى ابن تومرت بذربذرتة الاولى في تربة المصامدة الساخطين والناقمين على المرابطين، وعرف كيف يصهر قبائلهم في وحدة ادارية وعقائدية، يسرت قيادتهم، واسعفت على انكاء روح الحماسة في نفوسهم، فاستهانوا بالصعب واستيسروا العسير^(٣). وقابلهم عدو مفكك الاوصال، ومنهوك القوة، عصف بكيانه أهمال خلفائه لامر دولتهم^(٤)، وانشغال امراءه بملانهم^(٥)، واستبساد كبار الامراء بالامر، واستعلاء الفقهاء على الناس، فانهارت^(٦) الادارة وضعف الجيش

(١) الكامل ج ١٠ ص ٥٨٥ - ٥٨٦، نهاية الارب ص ٢٠٢.

(٢) روض القرطاس ص ١٢٤.

(٣) لقد وجد ابن خلدون خير مثال في الدعوة الموحدية في نظريته عن العصبية والدعوة

الدينية واثرها في قيام الدول انظر العبر ج ١ ص ٣٨٢ / ٣٨٣.

(٤) يقول ابن عذارى عن علي بن يوسف في آخر امره " امتنع الاعطاء لاجناده حتى رجع

اكثرهم يكرون دوابهم " البيان المغرب (ط. دار الثقافة) ج ٤ ص ١٠٢.

(٥) انظر مقتل سير بن علي في نظم الجمان ص ٢٤٥.

(٦) المعجب ص ١٧٧، ١٨٦.

وتخلت قبائل المرابطين عن بعضها في ادق الساعات واحرج الاوقات (١) . فتفوق عليهم جيش الموحدين انضباطا عسكريا ، وتنظيما وخطا حربية (٢) ، وروحا وثابة ، وعزيمة قوية فكان لهم النصر .

عصر الازدهار :

بقضاء عبد المؤمن على الجيوب المرابطية عام ١١٤٨/٥٤٣ دخلت دولته في عهد ازدهارها فاتسعت بالتوسع وال عمران والرفاه المادي والنهوض الفكري ، وشملت هذه الفترة خلافة يوسف ويعقوب المنصور واكثر خلافة الناصر . (٥٥٨ - ٦١٠ / ١١٦٢ - ١٢١٣) .

التوسع :

أثناء حكم علي بن يوسف بدأ حكم المرابطين يضعف في الاندلس ، وضغط النصارى يزداد شدة ، فأخذت أرغون سرقسطة سنة ١١١٨/٥١٢ . وقيام ثورة الموحيدين وتصاعدها شلت حركة المرابطين في الاندلس في بداية الامر ، فاستطاع ابن زهير ان يسخترق الاندلس من شمالها الى جنوبها في سنة ١١٢٥/٥١٩ من غير مقاومة تذكر (٣) .

(١) انظر كيف انحازت مسوفة للموحيدين بعد وفاة علي بن يوسف في البيان المغرب ج ٣ ص ١٣ - ١٤ .

(٢) البيان المغرب (ط . دار الثقافة) ج ٤ ص ٩٩ - ١٠٠ وطبعة هوسي ج ٣ ص ١٤ ،

الحلل الموسية ص ١٠٦ - ١٠٧ .

(٣) الكامل ج ١٠ ص ٦٣١ ، نظم الجمان ص ١٠٩ - ١١١ ، البيان المغرب (ط . دار

الثقافة) ج ٤ ص ٦٩ - ٧٢ ، الحلل الموسية ص ٧٥ - ٧٩ ، الاحاطة ج ١ ص ١١٤ .

- وحصون لاردة^(١) وقامت الاندلس على المرابطين في سنة ٥٣٨ / ١١٤٣^(٢) ،
واستبد اهل كل بلد بناحياتهم ، ولم يظل على طاعتهم سوى غرناطة واشبيلية .
فقام بشرق الاندلس عبد الرحمن بن عياض ، وخلفه محمد بن سعد بن مردنيش ، وفي المرة
ابن الرميحي ، وفي جيان ابن هشك ، وفي غرب الاندلس احمد بن قسي وغيرهم كثير^(٣) .
ويبدو أن عبد المؤمن كان يطمع في الاندلس ، والمغرب لم يخلص له بعد^(٤) ،
ففي أول عام ٥٣٩ / ١١٤٤ بايعه ابن قسي ثم نكث^(٥) . وفي آخر العام دانت له
شريس وطريف والجزيرة الخضراء^(٦) . وانتصاره في المغرب جعل أعيان غرب الاندلس
يتشوفون الى الموحدين ، ويتنافسون في الهجرة اليهم^(٧) . فجاءت بيعة اشبيلية

-
- (١) الكامل ج ١١ ص ١٢١ - ١٢٢ ، ١٣٦ ، نهاية الارب ص ٢٠٣ .
(٢) الحلل الموشية ص ١٠٩ .
(٣) المعجب ص ٢٠٨ - ٢١٢ .
(٤) يروي صاحب القرطاس (ص ١٢٢ - ١٢٣) ان عبد المؤمن سير جيشا الى شريس
وهو يحاصر تلمسان .
(٥) البيان المغرب (ط . دار الثقافة) ج ٤ ص ١٠٥ ويجعله ابن الخطيب سنة ٥٤٠ / ١١٤٥
(أعمال الاعلام (ليقي) ص ٢٥١) .
(٦) انظر روض القرطاس ص ١٢٢ - ١٢٣ .
(٧) المعجب ص ٢١٢ ، اعمال الاعلام (طبعة ليقي) ص ٢٦٥ .

عام ١١٤٧/٥٤١^(١) . ولم يتفرغ عبد المؤمن لأمر الاندلس الا بعد ان خلس له المغرب عام ١١٤٨/٥٤٣ . وكان عليه ان يقضي على بقايا المرابطين في قرطبة وغرناطة وابن مردنيش في شرق الاندلس . فوالى ارسال البعوث اليها بقيادة الشيخ أبي حفص عمر الهسنتاتي^(٢) ، وتتبع سير الاحوال فيها^(٣) ، نفتحت جيان وقرطبة وقرمونة^(٤) وفي ١١٥٣/٥٤٨ أرسل لابن مردنيش معذرا منذرا^(٥) . وفي ١١٥٧/٥٥٢ سلمت غرناطة فانفرض أمر المرابطين في الاندلس وتلتها المرية وسياسة وأبذة^(٦) . واستغل

(١) الكامل ج ١١ ص ١١٥ ، نهاية الارب ص ٢٠٢ .

(٢) رسائل موحدية ص ١١ - ١٣ ، الكامل ج ١١ ص ١٥٠ - ١٥١ ، ١٥٦ - ١٥٧ .

(٣) المن بالامامة ص ٤٤٨ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٢٩ / ٣٠ .

(٤) رسائل موحدية ص ١٣ - ١٧ ، روض القرطاس ص ١٢٥ .

(٥) انظر نص الرسالة في رسائل موحدية ص ٣٥ - ٣٧ ، وصيح الاعشى ج ٦ ص ٤٤٣ -

٤٤٥ وقد اشار يوسف لهذا الخطاب بعد ذلك انظر رسائل موحدية ص ١٤٨ .

(٦) عن هذه الاحداث راجع: رسائل موحدية ص ٧٣ - ٨٠ ، الكامل ج ١١ ص ٢٢٣ -

٢٢٤ ، الاحاطة ج ١ ص ١٧٣ غير انه في ص ٢٧٩ يجعلها في سنة ١١٥٦/٥٥١

بينما يوردها صاحب روض القرطاس في سنة ١١٥١/٥٤٦ (ص ١٢٦) .

ابن مردنيش وصهره ابن همشك وحلفاؤهم النصارى غيبة عبد المؤمن في غزوة افريقية واستردوا مدنا وحصونا^(١) . فأمر عبد المؤمن ببناء مدينة جبل طارق لتكون مركزا للموحدين وأعمالهم في الاندلس^(٢) . ورغم أنه جاز الى الاندلس في ذي القعدة ١١٦٠/٥٥٥ الا انه لم يستطع القضاء عليهم او الحد من فعاليتهم^(٣) . فلما رجع الى المغرب تعاضم خطرهم واشتدت فتنتهم حتى دخل ابن همشك غرناطة سنة ١١٦٢/٥٥٧ فاستعيدت منه^(٤) . فشرع عبد المؤمن في الاستعداد

(١) راجع المن بالامامة ص ١١٥ - ١٢٠ ، ١٢٦ - ١٢٧ ، ١٤٥ - ١٤٦ ، البيان المغرب

ج ٣ ص ٤٠ - ٤١ ، أعمال الاعلام (طبعة ليفي) ص ٣٦١ .

(٢) رسائل موحديّة ص ٩٧ - ٩٨ ، المن بالامامة ص ١٣٦ - ١٣٨ .

(٣) المن بالامامة ص ١٤٧ - ١٧٢ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٤٥ - ٤٨ ،

الحلل الموشية ص ١٢٩ ، والفراشي وصاحب روض القرطاس كما دثرها في عدم الدقة

في ذكر التاريخ الاحداث يجعل الاول الجواز في سنة ١١٤٤ / ٥٣٨ والثاني

بجعله في ١١٦١/٥٥٦ ، المعجب ص ٢٢٦ ، روض القرطاس ص ١٣٠ -

١٣١ .

(٤) المن بالامامة ص ١٨٧ - ٢٠٢ ، البيان المغرب ج ٣ ،

ص ٥٠ - ٥٤ .

لغزوه في اثناء ذلك توفي عام ٥٥٨ / ١١٦٣^(١) ، فتصاعدت اعمال ابن مردنيش وصهره ابن همشك وحلفائه النصاري^(٢) . فاختلف ابن همشك مع ابن مردنيش ووجد ابن همشك سنة ٥٦٤ / ١١٦٩^(٣) فقلب ميزان القوة في شرق الاندلس مما يسر ضمه الى الموحدين عام ٥٦٧ / ١١٧٢^(٤) ، وخضعت اسبانيا الاسلامية كلها لحكم الموحدين ، وبلغ توسعهم مداه في الجبهة الاندلسية في ختام القرن لما ضم الخليفة الناصر منورقة وميورقة ويابسة^(٥) .

ومنذ ان اخضع عبد المؤمن المغرب لسلطانه كان اتجاه توسعه في شعبتين :

(١) المن بالامامة ص ١٨٧ - ٢٠٢ ، المعجب ص ٢٣٥ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٥١ ، ٥٤ -

• ٥٥

(٢) المن بالامامة ص ٣٧٢ - ٣٧٤ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٧٩ - ٨٠

• ٥٤ - ٥٥

(٣) المصدران ذاتهما ص ٣٨٨ - ٣٩٠ ، ج ٣ ص ٨٢ •

(٤) انظر احداث ذلك في المن بالامامة ص ٤٠١ - ٤٠٧ ، ٤٦١ ، ٤٧٠ ، ٤٧٤ ،

المعجب ص ٢٤٨ - ٢٥٠ ، الكامل ج ١١ ص ٣٧٤ ، وفيات الاعيان

ج ٦ ص ١٣١ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٨٥ - ٨٧ ، ٩٣ - ٩٦ ،

اعمال الاعلام (طبعة ليثي) ص ٢٦٢ - ٢٦٣ •

(٥) اختلفت المصادر في سنة ذلك راجع المعجب ص ٣١٥ ، البيان المغرب

ج ٣ ص ٢١٥ ، روض القرطاس ص ١٥٣ ، نهاية الارب ص ٢٣٠ ، الروض المعطار

ص ١٨٩ •

أندلسية وافريقية . وسار الفتح فيهما في وقت واحد . ففي عام ١١٥٢/٥٤٧ فتح مملكة بني حماد الصنهاجيين^(١) ، رغم استجادهم بالعرب الهلالية من افريقية^(٢) ، فدخل عبد المؤمن بجاية عنوة بمساعدة وزير الصنهاجيين ابي محمد ميمون بن علي بن حمدون^(٣) . ومنذ عام ١١٥٦/٥٥١ بدأ حكم الصقليين يضعف في افريقية ، وفقدوا سيطرتهم على كثير من المدن ، ولم يستطيعوا الحفاظ على المهديّة وزويليّة الا ببذل الاموال للعرب الهلالية^(٤) . ففتح عبد المؤمن في حملته عام ٥٥٤ - ٥٥٥ / ١١٥٩ - ١١٦٠ تونس والمهديّة وبلاد الجريد وطرابلس^(٥) فوضع حدا لسيطرة

(١) رسائل موحدية ص ١٧ - ٢٢ ، ٢٦ - ٣٤ ، الكامل ج ١١

ص ١٥٨ ، روض القرطاس ص ١٢٦ ، غير ان المراكشي يخالف ويجعل

كل ذلك عام ١١٤٦/٥٤٠ (المعجب ص ٢٠٦) .

(٢) رسائل موحدية ص ٢٩ - ٣٢ .

(٣) المصدر ذاته ص ٢٠ ، الحلل الموشية ص ١٢٣ / ١٢٤ .

(٤) الكامل ج ١١ ص ٢٠٣ - ٢٠٥ .

(٥) راجع عن هذه الجملة : رسائل موحدية ص ١٠١ - ١١١ ، المعجب ص ٢٢٨ - ٢٣٠ ،

الكامل ج ١١ ص ٢٤١ - ٢٤٥ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٣٩ ، الحلل الموشية

ص ١٢٨ - ١٢٩ ، روض القرطاس ص ١٢٩ - ١٣٠ ، نهاية الارب ص ٢١٠ - ٢١٣ .

النورمان واخضع القبائل العربية الهلالية .
واذن ففي عصر الخلفاء الاربعة الاول بلغت الدولة الموحدية أقصى اتساعها
من طرابلس شرقا الى المحيط غربا ، ومن الصحراء الافريقية جنوبا^(١) الى جبال
الشارت بالاندلس شمالا . فاحتكت الدولة الموحدية بدول معاصرة كثيرة : دول النصارى
في اسبانيا ودولة النورمان في صقلية ودولة الايوبيين في مصر وضمت هذه الارض الشاسعة
عناصر متعددة وقبائل متنافرة فكثرت الثورات والفتن .

التفوق على الدول المعاصرة :

بفضل الجيش المنظم والاسطول القوي كان لخلفاء هذه الفترة النصر الحاسم في
كل صراع مع من عاصروهم من ملوك وأمراء . وكان صراعهم مع دول اسبانيا المسيحية
وصقلية مباشرة ، بينما لم تسنح لهم فرصة للتزاع المباشر مع الايوبيين .
فسي الاندلس أوقفوا زحف الممالك المسيحية . وتجلت قدرتهم في انتصارهم
العظيم في موقعة الارك سنة ١١٩٥ / ٥٩١^(٢) .

(١) يقول صاحب كتاب الاستبصار وهو معاصر لفترة الخليفة المنصور أن "كلمة
التوحيد والهداية في بلاد الصحراء متصلة من طرابلس الى مدينة غانة وكوكو"
(الاستبصار ص ١١١) ويذكر عن منطقة تلمسان أن حدّها هو أول
الصحراء من مدينة تنزل على الطريق الى سجلماسة (الاستبصار
ص ١٢٦) .

(٢) المعجب ص ٢٨٢ ، الحلل الموشية ص ١٢٣ .

وتفوق الموحدين في عصر الازدهار هذا دفع بعض امراء المسيحيين الى ان يتحالفوا معهم ويحاربوا في صفهم^(١) ، ومن ظل على عدائه كان يغتتم فرصة انشغال الخلافة بأحداثها الداخلية - وكانت كثيرا ما تقع في المغرب او افريقية - فيشن حربا شعواء ، ولكن الموحدين كانوا يقفون في وجههم ويجرعونهم من الهزائم كؤوسا ، فيضطرون لطلب السلم والمهادنة^(٢) .
وبالنتيجة استرد الموحدون مدنا وحصونا كان المسيحيون قد استولوا عليها من قبل مثل باجة ، وشلب ، ويابرة وقلعت رباح ، وشلبطرة^(٣) ، وتوغلوا في اراضي المسيحيين غزاة فوصلوا مجريط ووادى الحجاره^(٤) .

تبين الصقليون تفوق الموحدين عليهم عسكريا لا سيما في البحر منذ أن أجلوهم عن افريقية ، فسعوا لمصالحتهم ، وابرموا السلم مع يوسف بن عبد المؤمن (١١٨٠ / ٥٧٦)^(٥) وظلوا على علاقة طيبة معهم حتى انقرض أمر بني عبد المؤمن . ولكنهم كانوا ان وجدوا / الاضعافهم لا يفوتونها ، فلهذا نجدهم يساعدون^(٦) الميورقيين لاستعادة جزيرتهم لما فقدوها في سنة ١١٨٥ / ٥٨١^(٦) .

-
- (١) رسائل موحديه ص ٢٣٨ ، المن بالامامة ص ٣٦٨ - ٣٧٢ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٤٠٠ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٨٠ ، ٨٥ .
 - (٢) راجع رسائل موحديه ص ٢٢١ - ٢٢٢ ، ٢٨٣ ، المن بالامامة ص ٥٢٦ - ٥٢٧ ، المعجب ص ٢٨٣ .
 - (٣) المعجب ص ٢٨٣ ، وفيات الاعيان ج ٦ ص ٨ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٧٥ ، ٢٣٨ .
 - (٤) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٠٣ .
 - (٥) الكامل ج ١١ ص ٤٦٨ ، نهاية الارب ص ٢٢٠ .
 - (٦) البيان المغرب ج ٣ ص ١٥٦ - ١٥٧ .

وكانت علاقات الموحيدين بالايوبيين متوترة وبصفة خاصة أيام المنصور . ولما دخل الاغزاز المصريون افريقية ، وأثاروا الفتن والثورات بالتعاون مع العرب الهلالية ثم بني غانية ، أحفظ ذلك الموحيدين عليهم واعتبروه بتديير من حكام مصر ، والايوبيون كانوا يعلمون ذلك ^(٢) ، ولاسيما انهم كانوا يعطفون على بني غانية ان لم نقل قد ساعدوهم ^(٢) .

واتضحت النوايا عندما طلب صلاح الدين الايوي مساعدة الموحيدين البحرية فلم يستجب المنصور ^(٣) بل صرح بنيته في غزو مصر . غير ان ظروف الدولتين حالت دون الصدام المسلح ، فكل منهما كانت مشغولة بحملات خارجية متزايدة .

-
- (١) انظر خطاب صلاح الدين لرسوله ابن منقذ عند أبي شامة في الروضتين ج ٢ ، ص ١٧١ ، وقد أختلف فيمن دفع الاغزاز الى افريقية فقد قيل صلاح الدين (الرحلة ص ١١١ - ١١٢ ، العبر ، ج ٦ ص ٣٩٤ ، صبح الاعشى ، ج ١٣ ص ٨٧) وقيل تقي الدين ابن اخ صلاح الدين (الروضتين ج ١ ص ٢٦٠) وبعد بحث المسألة لم نجد سوى طموح الاغزاز أنفسهم دافعا ولاسيما أن العصر كان مواتيا .
- (٢) راجع سعد زغلول عبد الحميد "العلاقة بين صلاح الدين الايوي وأبي يوسف يعقوب المنصور" مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، ١٩٥٢ - ١٩٥٣ ص ٨٤ - ١٠٠ ، الصحراوي ، جولات في تاريخ المغرب ص ٦٩ = ١٠١ .
- (٣) المعجب ص ٢٨٤ .

التصدري للثورات الداخلية :

ذكرنا فيما سبق أن تاريخ المغرب هو تاريخ القبائل ، والقبلية لاتعرف سلطانا خارج

نطاقها ، ولاترقى لفهم مسألة الدولة ، وعرف ابن تومرت هذه الحقيقة ، فوضع نظاما حفظ به وحدة قبائل الموحدين ، وأبقت تلك القبائل على وحدتها طوال عهد ازدهار الدولة ، ولما كانت كلها من المصامدة فنجاحها أغرى المجموعات الاخرى ، فانطلقت في ثورات متعددة كما بينا آنفا . وتكررت ثوراتهم في جبال غمارة وبلاد صنهاجة^(١) ، ومنطقة السوس^(٢) كلما وات الظروف وقد تمكن الخلفاء الثلاثة الاول من اخمادها .

وساوق ثورات القبائل المغربية فتن أشد وأعتى في افريقية (تونس) ، لعب الدور

الاساسي فيها العرب الهلالية والافرازيم الميورقيون ، وتساعد الخطر لما تحالفوا جميعا . وعقب كل فتنة افريقية اضطر الخلفاء للخروج بأنفسهم لخمادها ، وهذا ما فعله يوسف والمنصور ثم الناصر . ولم ينجح أحدهم في القضاء النهائي على أهل الفتنة ، ولكنهم حدوا من الخطر ، وأبقوا على الاثر . وقد حال دون القضاء المبرم أن الثورات كانت تتدلع وجيوش الخلافة في أشد حالات المجابهة مع القوى المسيحية في أسبانيا ، هذا بالاضافة لطبسيعة المنطقة الصحراوية

(١) المن بالامامة ص ٣٠٧ - ٣٢١ ، ٣٢٩ ، الكامل ج ١١ ص ٣١٢ - ٣١٣ ،

البيان المغرب ج ٣ ص ٦٩ - ٧٢ ، ١١٠ ، روض القرطاس ص ١٥٣ .

(٢) المن بالامامة ص ٣٦٠ ، المعجب ص ٣١٥ - ٣١٦ ، البيان المغرب ج ٣

وبعدها عن العاصمة • وبالرغم من ذلك فقد نجح خلفاء عصر الازدهار في اخماد ثورات المغرب والحد من الخطر والفتن بافريقية ، و الامر الذي لم يتيسر للدولة في فترة انحلالها •

التقدم الاقتصادي :

ان تفوق الموحدين على أعدائهم في الخارج والثائرين في الداخل ، مكنهم من فرض الامن ، والاستقرار في ربوع دولتهم وفي البحر الذي حولهم • وقد تبين خلفاؤهم الارتباط بين حالة الامن والوضع الاقتصادي، فشدد عبد المؤمن في أمر قطاع الطرق ، وبيروى ابن شداد فيما نقله عنه النويرى ان عبد المؤمن قتل حفاظ محلة قرب بجاية سرقت فيها امثلة احد تجار المهديّة (١) • وتابع يوسف والمنصور هذه السياسة ويقول ابن صاحب الصلاة عن ايام يوسف "يسير الزاكب حيث شاء من بلاد العدو في طرقها من جبلها وسهلها آمنا في نفسه وماله لا يخاف الا الله والذئب" (٢) ، ويذكر صاحب روض القرطاس عن عهد المنصور مثل هذا القول (٣) • ونتيجة للامن والاستقرار اتسعت الزراعة وراجت التجارة ونهضت الصناعة وكثرت المجابي وبلغت الدولة في ازدهارها الاقتصادي حالة " لم ير اهل المغرب اياما قط مثلها" (٤) • والمتصفح لكتاب الاستبصار في عجائب الامصار الذي كتب في هذه الفترة يلمح التوسع

(١) نهاية الارب ص ٢١٥ - ٢١٦ •

(٢) المن بالامامة ص ٢٨٦ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٦٥ ، ١٣٨ •

(٣) روض القرطاس ص ١٤٤

(٤) المعجب ص ٢٥٦ •

الزراعي في كثرة المحصولات وتنوعها^(١) . ولا ريب في ان توسع اراضي الدولة وتنوع مناخها له فضل في ذلك كبير ، ولكن الفضل الاكبر يعود الى سياسة الدولة نفسها . فالخلفاء غرسوا كثيرا من البساتين^(٢) ، وحثوا الناس على التوسع في الزراعة ، واشركوا الجند في الحصاد في بعض الاوقات^(٣) ، وعملوا على حماية الزراعة من الثورات والفتن^(٤) .
وتجلت النهضة الصناعية^(٥) في استغلال المعادن^(٦) ، وصناعة السفن التي انتشرت

-
- (١) الاستبصار ص ١١٣ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٥٣ ، ٢١٠ ، الخ .
(٢) انظر عن بحائر مكناسة ومراكش الاستبصار ص ١٨٧ ، ٢١٠ ، ٢١١ .
(٣) رسائل موحدية ص ٢١٥ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٢٢٥ .
(٤) المصدران ذاتهما ص ١٨٤ - ١٨٥ ، ج ٣ ص ١٥٢ - ١٥٣ .
(٥) راجع عن النهضة الصناعية ما اورده محمد المنوني في كتابه العلوم والاداب والفنون على عهد الموحدين ص ٢٥٣ - ٢٧٠ .
(٦) عن المعادن في هذه الفترة انظر :
المعجب ص ٣٦٢ - ٣٦٣ .
الاستبصار ص ١٨١ ، ٢١٢ .

دورها في السواحل^(١) ، ونتاج السلاح ، والمصنوعات الزراعية وخاصة المنسوجات
والسكر والزيت^(٢) .

ورافق هذه النهضة الزراعية والصناعية اتساع في التجارة الداخلية والخارجية
فقد تاجروا مع المشرق العربي وبلاد السودان وأوروبا وعقدوا الاتفاقات التجارية^(٣) .

ازدهار العمران :

من سمات عصر الموحدين في طور ازدهاره العمران الواسع . فقد أصلحوا الطرق
ومدوا الجسور ، وأقاموا مدنا جديدة ، وأصلحوا أخرى قديمة ، وشيدوا المساجد والمدارس
والمستشفيات^(٤) . ولعل أبرز معالم النهضة العمرانية في هذه الفترة تتجلى في عمليات
جلب المياه للمدن او المؤسسات او المزارع^(٥) . وفي الفنون الجميلة كالتزييق وعمـل

(١) الاستبصار ص ١٢٠ ، ١٣٠ ، الاستقصا ج ٢ ص ١٤٣ .

(٢) انظر الاستبصار ص ١١٣ ، ١١٨ ، ١٥٤ ، ١٧٠ ، ١٧٣ ، ٢١١ ، ٢١٢ .

(٣) انظر Julien ; V.2 , pp. 122-124

المغرب عبر التاريخ ج ١ ص ٣١٦ - ٣١٧ .

(٤) نكتفي هنا بالإشارة لهذه المظاهر وسن فصلها في الفصول القادمة .

(٥) الاستبصار ص ١٣٧ - ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٨٠ ، ١٨١ - ٢٠٩ ، ٢٦٠ .

الفسيفساء^(١) ، والحصون والمنارات •

النهضة العلمية :

ان ازدهار المعارف وتنوعها من سمات العصر الموحدى البارزة^(٢) ، فقد " استوت الشخصية العلمية للغرب الاسلامي في صورتها التامة "^(٣) بفضل من طابع الدولة العقائدى وتشجيع الخلفاء والسادات بني عبد المؤمن : بما أجزلوا من عطاء لأهل الفكر والادب • وما اسسوا من مدارس وما شيدوا من مساجد ، وما نظموا من خزائن للكتب ، وما وفروا من جو من الحرية أرحب من الجوالذى وفره المرابطون ، فحدوا من شوكة الفقهاء المالكيين •

(١) محمد المنونى : العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدىين ص ٢٦٧ وما بعدها •

(٢) راجع عن الحياة الفكرية : الادب الاندلسى ج ١ ص ٧٩ - ٨٤ ، النبوغ المغربى فى

الادب العربى ج ١ ص ١١٠ - ١٧١ ، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدىين

ص ٢١ - ٢٣٤ ، محمد بن شريفة : ابوالمطرف احمد بن عميرة المخزومى ص ٢٤ -

٢٨ فصفحاته رغم قلتها فقد احاط المؤلف بالموضوع فى شمول ودقة وخاصة قد اعتمد كثيرا

على معلومات مخطوط الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشى ، وانظروا أورده بالنثام

مقاطع فى كتابه تارىخ الفكر الاندلسى •

(٣) ابن شريفة : ابوالمطرف احمد بن عميرة المخزومى ص ٢٤ •

هذا بالإضافة لما للمنافسة بين مشرق الاسلام ومغربه ، والعدوتين الاندلسي والمغرب من أثر في اثراء الحياة الفكرية والادبية ، فغذتها بروح وثابة كان لها الفضل في تدوين كثير من المؤلفات . ولكل هذه العوامل تشعبت فنون المعرفة وكثر العلماء في كل فن .

لقد نادى الموحدون بالاجتهاد والرجوع الى الكتاب والسنة . فزاد اهتمام الناس بالقرآن وعلومه ، والحديث وروايته . فظهر مفسرون عظام كأحمد بن مسعود القرطبي (ت ٦٠١ / ١٢٠٤) ، وأبي العجاج يوسف بن عمران المزدي (ت ٦٥٥ / ١٢٥٧) ، وأبي الربيع الكلاعي (ت ٦٣٣ / ١٢٣٦) ، ومحدثون كبار كابني دحية أبي الخطاب (ت ٦٣٣ / ١٢٣٦) وأبي عمر (ت ٦٣٤ / ١٢٣٧) ، وابن القطان الفاسي (ت ٦٢٨ / ١٢٣١) . وكثرت العناية بدراسة أصول الفقه والكلام وبرز فيهما أبو عمر عثمان بن عبد الله بن عيسى السلالجي (ت ٥٧٤ / ١١٧٨) . وأبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الفندلاوي (ت ٥٩٦ / ١٢٠٠) .

ونالت علوم العربية وأدائها خطا عظيما وللدلالة على ذلك يكفي أن نذكر ابن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢ / ١١٩٦) ، وابن هشام اللخمي الاشبيلي (ت ٥٧٠ / ١١٧٥) ، وابن خروف (ت ٦٠٢ / ١٢١٢) ، وأبا موسى الجزولي (ت ٦٠٧ / ١٢١٠) . ونفقت سوق الادب من شعر ونثر لحاجة الدولة الى ناطقين باسمها ، وكتاب في دواوينها ، هذا عدا ما للرفاه المادي من أثر في ازدهار الادب وتنوع اغراضه . واذا اخذنا الشعر مثلا ، مصداقا لقولنا نجده قد تعددت ضروبه ، وكثرت اغراضه ، وبرز اعلام في كل فن : كابن حزمون في الهجاء ، وابن سهل (ت ٦٤٩ / ١٢٥١) في المجون ، وابن قسوم الاشبيلي (ت ٦٣٩ / ١٢٤٢) وأبي

.../...

زيد الغازازى (ت ١٢٢٧ / ١٢٣٠) في الزهد ، وابن عربي (ت ١٢٣٨ / ١٢٤٠) وأبي
الحسن الششتري (ت ١٢٦٨ / ١٢٧٠) في الشعر الصوفي ، وأبي العباس الجراوى
(ت ١٢١٢ / ٦٠٩) وابن حبوس (ت ١١٧٥ / ٥٧٠) وابن المنخل (ت ١١٦٥ / ٥٦٠) في

المدح .

وبلغ المغرب الاسلامي في علوم التاريخ والجغرافيا والرحلات والتصوف والفلسفة
والطب شاوا لم يبلغه من قبل . ولهذه الحقبة انتفى ابن صاحب الصلاة (ت ١١٩٨ / ٥٩٤)
وعبد الواحد المراكشي (ت ١٢٢١ / ١٢٢٤) والشريف الادريسي (ت ١١٦٦ / ٥٦٢) وصاحب
كتاب الاستبصار (ت السادس / الثاني عشر) ، وابن جببير (ت ١٢١٧ / ٦١٤) وابن سعيد
المغربي (ت ١٢٨٦ / ٦٨٥) وشب في اخضانها ابن الآبار (ت ١٢٦٠ / ٦٥٨) وابن عذارى
المراكشي ، وابن عبد الملك المراكشي ، وابن الزبير ، ونبغ فيها عبد الملك بن زهر
(ت ١١٦٢ / ٥٥٧) ، وابو بكر بن طفيل (١١٨٥ / ٥٨١) ، وابن رشد (ت ١١٩٨ / ٥٩٥)
وابن ميمون (ت ١٢٠٤ / ٦٠٠) ، وابن البيطار (ت ١٢٤٨ / ٦٤٥) ، وقد سبق ان اشرنا
الى ابن عربي والششتري في اعلام الشعر ، وهما من أشهر اعلام التصوف في هذه الفترة ، هذا
بالاضافة لابن حرزهم (ت ١١٦٤ / ٥٥٩) وابن سبعين (ت ١٢٧٠ / ٦٦٩) ، وغيرهم كثير .
ولم يكن حظ النساء من هذه الحياة الفكرية بقليل ، فقد اشتركن في ضروبها المختلفة
بقدر غير يسير (١) .

(١) راجع عنهن النبوغ المغربي ج ١ ص ١٤٤ ، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين

طور الانحلال والسقوط :

مع مطلع القرن السابع / الثالث عشر دخلت الدولة في دور الانحلال . وتصور الروايات وفاة يوسف المستنصر (١٢٢٣ / ٦٢٠) " آخر ضامة " الدولة الموحدية لما أعقبها من نزاع على الخلافة بين افراد الاسرة المؤمنية عصف بدولتهم (١) ، ونقطة بداية الانحدار من القمة الى السفح ، فيما أرجح ، هي أواخر فترة الخليفة الناصر رابع خلفاء الموحدين ولقد أثبت فشله في ادارة الدولة المتزامية الاطراف بمركزية متحكمة يوم عين واليا على افريقية بسلطات استثنائية في عام ١٢٠٣ / ٦٠٣ (٢) . واعقب ذلك فشله الكبير في الوقوف أمام النصارى في اسبانيا يوم العقاب (١٢١٢ / ٦٠٩) التي كان فيها هلاك الاندلس ولم تقل بعدها دولة الموحدين العشرة (٣) . وختم حياته بتولية صبي غر فتغلب عليه أشياخ الموحدين (٤) .

(١) المعجب ص ٣٢٩ ، الحلل الموشية ص ١٣٥ ، محمد المنوفي " الامبراطورية

الموحدية في دور الانحلال " ، دعوة الحق (دجنبر ١٩٦٢) ص ٥٧ .

(٢) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٢٥ ، الرحلة ص ٣٦٢ ، العبر ج ٦ ص ٥٨٣ ،

الاحاطة ج ١ ص ٣٢٠ ، الزركشي : تاريخ الدولتين ص ١٨ ، المؤنس ص ١٣١ .

(٣) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٤١ ، روض القرطاس ص ١٥٩ .

(٤) البيان المغرب ج ٣ ص

وبوفاته توالى مظاهر الانحلال وسنشير لها في ايجاز وتترك للفصول التالية من

الرسالة الكشف عن تفاصيلها .

ان نزاع السادة بني عبد المؤمن على الامراتاح فرصة عظيمة لمراكز القوة للتنفذ في

شئون الدولة لاسيما اشياخ الموحدين . فتسلط الاشياخ ، وسيطر الوزراء ، واستبدت الولاة .

فضعفت الادارة ، واختل الجيش ، واندثر الاسطول . وبالنتيجة كثرت الثورات ، وضعف الخلفاء

عن التصدي لها ، فضلا عن مجابهة القوى الخارجية ، بل واستعانوا بالنصارى في سبيل القضاء

عليها^(١) . وانهارت الاوضاع الاقتصادية فتوقفت ^{الحراثة} الحركة^(٢) وحركة العمران واصاب الدمار

ما شيد في دور الازدهار^(٣) . وذبلت الحياة الفكرية وانتقل الادباء والشعراء والعلماء الى

تونس حيث وفر الحفصيون جوا من الاستقرار . وتقلصت اراضي الدولة وكانت الاندلس السبابة

للانفصال . فقام ابو عبد الله محمد بن هود بمرسية (١٢٢٨ / ٦٢٥) وحكم تحت شعار العباسيين

تقريبا الى العامة^(٤) . ولما نكث موحد ومراكش ببيعة المأمون ، واضطر لمغادرة الاندلس

" خلا الجولابن هود وانتهز النصارى الفرصة "^(٥) ، فسيطر ابن هود على معظم الجزيرة

التي قام كل بلد فيها على

(١) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٦٤ ، روض القرطاس ص ١٦٢ ، الاحاطة ج ١ ص ٤١٩ .

(٢) الذخيرة السنية ص ٣٥ .

(٣) روض القرطاس ص ٢٩ ، الذخيرة السنية ص ٦٦ .

(٤) البيان المغرب (طبعة) ج ٣ ص ٢٢٥ - ٢٢٨ ، روض القرطاس ص ١٨٢ ،

اللمحة البدرية ص ٣١ .

(٥) الاحاطة ج ١ ص ٤٢٠ .

من به من الموحدين ودخلت الاندلس في عهد طوائف ثالث ، ولم تخضع مناطقها ثانية لسلطة مراکش الا اسميا لما بايع بنو الاحمر الرشيد لفترة قصيرة (١) .

ويسر انقلاب المأمون على مبادئ الدولة الموحدية ، استقلال الحفصيين بافريقية

(٢) (١٢٣٠ / ٦٢٧) . وفشلت آخر محاولة لاستردادها في عهد السعيد (١٢٤٦ / ٦٤٦) (٣)

وتكرس انفصالها يوم اعلن ابو عبدالله الحفصي نفسه خليفة (١٢٤٩ / ٦٤٧) (٤) . ونازع

موحدي مراکش السيادة على اكثر مناطق الدولة .

وبانفصال الاندلس واستقلال افريقية لم يبق لخلفاء مراکش سوى المغرب الاقصى

الذي لم يعد لهم نفوذ على بواديه (٥) . فقد استبد بها عرب الخلط وسفيان والمعقل

ثم بنومرين . وعلى الرغم من الجهود التي بذلها الرشيد ، لم تحافظ الدولة على هيبتها ،

(١) البيان المغرب ج ٣ ص ٣٤٢ ، العبر ج ٦ ص ٥٣٧ .

(٢) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٧٤ - ٢٧٦ ، العبر ج ٦ ص ٥٩٤ ، الاحاطة

ج ١ ص ٣٢٠ - ٣٢١ .

(٣) البيان المغرب ج ٣ ص ٣٨٥ - ٣٨٨ ، روض القرطاس ص ١٧٢ ، العبر

ج ٦ ص ٥٤١ .

(٤) البيان المغرب ج ٣ ص ٣٩٨ ، الاحاطة ج ١ ص ٣٢٢ ، تاريخ الدولتين ص ٣٢

(٥) محمد المنوفي " الامبراطورية الموحدية في دور الانحلال " دعوة الحق (دجنبر ١٩٦٢)

ص ٥٧ .

- او تبسط سلطتها الا لوقت قصير (١) . وبوفاته استبد الولاة بولاياتهم وبايعت كثير من مدن المغرب الحفصيين (٢) . وبدأ نفوذ بني مرين يعظم فهزموا جيوش الموحدين (٣) . وحدوا من تعدى العرب على الناس ، فعظموا في نفوس اهل المغرب (٤) .
- فما جاءت ايام المرتضى الا وقد سيطروا على اغلب مناطق المغرب ، وهددوا مراکش نفسها (٥) . ووالوا هزائمهم على الموحدين حتى قضاوا على آخر الخلفاء الواثق أبي دبوس منسلخ ١٢٦٩ / ٦٦٧ ودخلوا مراکش ووضعوا نهاية الموحدين بالمغرب الاقصى (٦) .

-
- (١) راجع البيان المغرب ج ٣ ص ٣٣٥ ، ٣٣٧ ، ٣٤٠ ، ٣٤٣ ، ٣٥٦ ، روض القرطاس ص ١٧١ ، العبر ج ٦ ص ٥٣٧ .
- (٢) انظر البيان المغرب ج ٣ ص ٣٦٠ - ٣٦٢ ، ٣٧٣ ، العبر ج ٦ ص ٦١٤ ، ٦١٧ ، ٦١٩ .
- (٣) موطنهم زاب افريقية الى سجلماسة ودخلوا المغرب بعد موقعة العقاب (روض القرطاس ١٨١ ، ١٨٧) وعن هزائمهم للموحدين انظر البيان ج ٣ ص ٢٤٤ - ٢٤٧ ، العبر ج ٦ ص ٥٢٤ .
- (٤) البيان المغرب ج ٣ ص ٣٥٠ .
- (٥) البيان المغرب ج ٣ ص ٣٩٢ - ٣٩٤ ، العبر ج ٦ ص ٥٤٢ .
- (٦) روض القرطاس ص ١٧٥ ، العبر ج ٦ ص ٥٥١ .

... / ...

وكل هذه المظاهر الدالة على الانحلال والضعف لا تفسر السبب فيه • وعندى ان
الروح التي اقامت الدعوة واسست الدولة أصابها ذبول وضمور وفي هذه الظاهرة يكمن
سر الانحلال والسقوط • والتنظيمات والنظم الموحدية خير ما يصور الروح الموحدية
قوة وضعفا ومن هنا برزت لنا أهمية دراستها •

الفصل الثالث

=====

التظيم الحزبي

الفصل الثالث

التنظيم الحزبي

كانت تنظيمات الموحدين الحزبية تكمن وراء نظمهم الادارية ، وتشكيلاتهم العسكرية ، وخططهم الدينية ، وأوضاعهم المالية . ومنذ البداية ذابت تنظيمات الحزب في نظم الدولة وغدت جزءا لا ينفصم عنها ، ولا يستطيع الدارس لهذه أن يتجاهل أثر تلك ، ولهذا تصبح دراسة تنظيمات الموحدين الحزبية جزءا ضروريا من دراسة نظم دولتهم .

مفهوم الحزب :

ان التنظيم الحزبي سمة بارزة للحضارة المعاصرة ، وقد تدفع النظرة المستعجلة بصاحبها الى الظن بأننا نطلق مفاهيم حديثة على أوضاع ماضية ، وننظر الى التاريخ من خلال الحاضر . والامر على غير ذلك . ان كلمة " حزب " لم تكن غريبة على حس الموحدين الديني ، ان القرآن يصف المجموعات المتجانسة عقائديا او مصلحيا بالاحزاب ، ويسمى المؤمنين " حزب الله " ، والكافرين " حزب الشيطان " ^(١) ، وقد اعتقد الموحدون ألا أحد على وجه الارض آمن أيماهم ^(٢) ، ولا عجب - بعد ذلك - ان ظنوا في أنفسهم أنهم حزب الله الغالب . وقد نعتوا أنفسهم بـ " حزب التوحيد " واستعملوا اللفظة

(١) سورة ٣٠ آية ٣٢ ، سورة ٥٨ آية ١٩ ، ٢٢ ، سورة ٣٣ آية ٢٠ ، ٢٢ .

(٢) المعجب ١٨٨ .

في رسائلهم الرسمية في أيام الخلفاء الاول (١) .

أولية التنظيمات :

أضطراب المادة :

تواجه الدارس لتنظيمات الموحدين الحزبية صعوبات جمة إذ أن الروايات مختلفة

والمادة مضطربة ، ويصعب الفصل فيها برأى قاطع . ويرجع الغموض فيها الى سببين :

أولا : قامت ثورة الموحدين بعد عام واحد من الاعداد المنظم ، ولم تتكون تنظيماتهم

الحزبية الا بعد الثورة ، وتبلورت تلك التنظيمات خلال مسيرة الموحدين نحو النصر . وفي

بداية الأمر تولت تلك التنظيمات وظائف النظم الحكومية . ولما قامت الدولة وتولت

نظمها الأعباء وأنخ الناس للفترة الاولى خلطوا بين التنظيمات والنظم .

ثانيا : ان المادة عن النظم والتنظيمات في تاريخنا العربي - بوجه عام - قليلة وغامضة

فكيف ان جاءت عن رواة بعدوا عن الاحداث مكانا وزمانا . واكثر المعلومات التي وصلتنا

عن تنظيمات الموحدين الحزبية جاءتنا عن أحد ثلاثة رجال ، اما عن رجل كتب بعد الاحداث

(١) كان ابن تومرت يطلق على اتباعه كلمة " طائفة " وعلى مخالفيه في الرأي " طوائف " أنظر

أعز ما يطلب ص ٢٥٩ وما بعدها ، ٢٦٢ وما بعدها .

واما عن استعمال كلمة " حزب " انظر رسائل موحديّة ص ١٦٣ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٥١ ،

الاولى بزمن ، أو عن رجل صنف من ذاكرته ، وخارج أرض الاحداث ، أو عن رجل جمع بين الامرين معا . فمن النوع الاول صاحب كتاب الانساب ، وابن صاحب الصلاة ، ومن الصنف الثاني اليسع ، ومن النوع الثالث عبد الواحد المراكشي .

وما يذكره الرواة عن اصناف الموحدين خيرا ما يصور اضطراب المادة عن التنظيمات الحزبية . ان الاصناف عند اليسع^(١) هي : العشرة وأهل خمسين وأهل سبعين والطلبة والحفاظ وأهل الدار وهرقة وأهل تينملل وجد ميوه وجنفيصة وهنتاة وأهل القبائل والجند والغزات^(٢) . وعند صاحب كتاب الانساب^(٣) هي : اهل الدار واهل الجماعة واهل خمسين وهرقة وأهل تينملل وهنتاة وكدميوه وكثفيسة وكومية والقبائل وهسكورة وصنهاجة وعبيد المغزن والمحتسبون والسكاكون والمؤذنون والغزات والحفاظ وأهل الحزب . ولم تصلنا رواية شبيهة بهاتين الروايتين في شمولهما غير أنهما تخلطان بين التنظيمات الحزبية والنظم الادارية والعسكرية والخطط الدينية ، ويبرز الخلط بوضوح عند صاحب كتاب الانساب . ولهذا نميل الى ان الروايتين تمثلان مرحلتين مختلفتين وتؤكد رأينا هذا ثلاثة أمور :

أولا : الروايتان لا تتفقان في الاصناف او عددها او ترتيبها .

-
- (١) وردت الرواية في نظم الجمان ص ٢٨ ، الحلل ص ٨٩ .
- (٢) هكذا قرأها محقق نظم الجمان وقرأها محقق الحلل الموشية " الغزات " وسنبدى رأينا في هذا الامر عند شرح النظام العسكري ، واسقطت رواية الحلل الموشية " أهل القبائل " .
- (٣) وردت في اخبار المهدي ص ٢٩ - ٤٨ .

- ثانيا : يهمل صاحب كتاب الانساب الطلبة ويذكر الحفاظ ، والحفاظ استحدثوا بأخرة ،
ويذكر كوميه ويهملها اليسع ، وكوميه اضيفت الى قبائل الموحدين بعد قيام الدولة واستقرارها .
ثالثا : جاء ترتيب الاصناف في كليهما حسب تواليهم في التمييز (العرض) (١) .
والتنظيمات التي يمكن ان نعتبرها تنظيمات حزبية هي : العشرة أو أهل الجماعة وأهل
خمسين وأهل سبعين والسبعة (٢) والطلبة والحفاظ والكافة .

تاريخ تكوين التنظيمات :

- تجمع الروايات على أن قيام هذه التنظيمات تم بعد بيعة ابن تومرت بالمهدية (٣) .
ويحدد اليسع تاريخ ذلك بالبيعة نفسها ، إذ كون ابن تومرت من العشرة الاول أهل العشرة
ومن الخمسين الذين تبعونهم أهل خمسين ، ومن السبعين الذين يلونهم أهل

(١) نظم الجمان ص ٢٩ ، أما صاحب كتاب الانساب فيؤكد ذلك مع ذكر كل صنف .
(٢) لا يذكر هذا الصنف الا ابن صاحب الصلاة وقد أورده ابن القطان نقلا عنه نظم
الجمان ص ٣٢ .

(٣) المعجب ص ١٨٨ ، نظم الجمان ص ٢٨ ، الحلل الموشية ص ٨٨ ،
روض القرطاس ص ١١٤ .

سبعين (١) • وتجنب عبد الواحد المراكشي وصاحب كتاب الانساب تحديد زمن معين (٢) •

ان المقارنة بين العشرة الاول الذين بايعوا ابن تومرت بالمهدية - كما اورد هم البيدق الذي اشترك معهم فيها - مع العشرة أهل الجماعة في شتى الروايات لا تكشف عن اشتراك في الاسماء الا في خمسة أشخاص^(٣) ، مما يدل على بطلان زعم اليسع • وطبيعة تكوين أهل خمسين لا تسمح بقبول رأيه • وقد أصاب صاحب كتاب الانساب كبد الحقيقة عندما قال : " فلما أراد الله تعالى تعيين أهل الخمسين كان الامام المهدي رضه ينظر في الموحدين ويلتقطهم منهم رجلا بعد رجل " (٤) • واذا صح الاختيار في أهل خمسين فهو في أهل الجماعة ألزم ، لأنهم أهل ثقته ومشورته • والراجح أن تكوين الهيئات التنظيمية تم على مراحل ، وعندنا على ذلك شواهد غير يسيرة •

(١) نظم الجمان ص ٧٦ ، ٨٠ ، الحلل الموشية ص ٨٨ ، وقد تبني علام قول اليسع

ونسبه الى ابن القطان ، انظر الدعوة الموحدية بالمغرب ص ١٦٩ •

(٢) ويبدو أن اشباخ أراد تجنب القضية مثلها فاكفى بمثل اشارة المراكشي مع أنه عرف رواية اليسع وما أوردته عن اصناف الموحدين يدل على ذلك انظر تاريخ الاندلس ص ١٩١ •

(٣) قابل اخبار المهدي ص ٧٣ بالملحق الثاني •

(٤) اخبار المهدي ص ٣٥ - ٣٦ •

لقد تميز العشرة أهل الجماعة بالعلم والقدرة القيادية وبالبنذل وبالتضحية ، الامر الذي يؤكد أن اختيارهم كان نتيجة فحص كبير وتدقيق تام ، وكلهم ممن صحب ابن تومرت قبل اعلان المهديّة (١) ، الا أبا حفص عمر بن يحيى الهنتاتي الذي ألحق بأهل الجماعة بعد "توحيد" قبيلته هنتاتة (٢) ، وربما كان تعيينه ارضاء لقبيلته - وقد كان أحد زعمائها - ، وهنتاتة وافرة العدد جمّة الشعوب ولما وحدت ضاعف المرابطون حملاتهم على الموحدين (٣) ، هذا فضلا عما تميز به من امكانيات عسكرية برزت في تأسيس الدولة .

ولم يكن بين أهل الجماعة أحد من هرغة - قبيل المهدي ، وأول من استجاب لدعوته ودخل في أمره ، ونهض الى نصرته ، فلو تم التكوين بالصورة العارضة التي يزعمها اليسع لكان بين العشرة أهل الجماعة على الاقل واحد من هرغة .

والذي نرجحه أن ابن تومرت كان يستعد لاعلان مهديته ، ويعمل لتنظيم اتباعه ، فكان ينتقي صفوة الرجال ويستخلصهم لنفسه ، ولما أعلن مهديته كان أهل الجماعة ماثلين أمامه ، فأوكل اليهم مهامهم مع سبق اعداد وتهيئة ، فكان اعلان المهديّة وكان تكوين أهل الجماعة . أما تكوين أهل خمسين فقد تم على مراحل ، وإشارة كتاب الانساب الآنف الذكر قاطعة في الدلالة على ذلك . ومما يدعم هذا الرأي ان أهل خمسين يمثلون قبائل الموحدين (٤) الست التي انبثت على

(١) المعجب ص ١٨٨ ، ٣٣٧ ، الكامل ج ١٠ ص ٥٧٦ ، روض القرطاس ص ١١٣ .

(٢) نظم الجمان ص ٨٧ ، Huici; v.1 p. 103 وقد وهم ابن

خلدون فذكرانه دخل في الامر قبل اعلان المهديّة وعده فيمن بايع ساعة اعلانها العبر ج ٦

ص ٤٦٨ ، ٤٧٠ .

(٣) عن هذه الحملات راجع نظم الجمان ص ٨٦ - ٨٩ .

(٤) المعجب ص ١٨٨ .

الامر . وقد كان المهدي يثبت اهل خاصته الذين لم يكونوا من هذه القبائل في قبيلته هرغة .^(١)
ولم "توحد" قبائل الموحدين في وقت واحد . ولقد دخلت هرغة وكدميو وكنيسة وقبائل
اهل تينملل وهنتاة الدعوة الموحدية في فترة ايجيليز^(٢) ، وحاربت في صف المهدي طوال
حياته^(٣) . بينما كانت هسكورة محاربة له شديدة عليه^(٤) ، ولم توحد الا في أيام عبد المؤمن^(٥)
وانضمت صنهاجة الجبل عام ٥٢٩ / ١١٣٥^(٦) ويخطيء صاحب الحلل الموشية ويجعل قبائل
الموحدين الست تباع المهدي فور اعلان مهديته^(٧) .

ان دخول القبائل في أمر المهدي بعد اعلان مهديته في تفاوت زمني يجعلنا نرجح أن أهل
خمسين كانوا يتكاملون عقب انضمام كل قبيلة ، وربما مثلت بعض القبائل بأشخاص قبل انضمام
قبيلتهم ، فبدأت الهيئة في ايجيليز وتبلور دورها في تينملل^(٨) .
وعلى ضوء ما سلف نستطيع أن نهمل رواية ابن خلدون بشأن تكوين أهل خمسين فهو يقول :

-
- (١) أخبار المهدي ص ٢٨ .
 - (٢) انظر الفصل الثاني ص ٤٠ .
 - (٣) أخبار المهدي ص ٧٥ ، نظم الجمان ص ٨٦ وما بعدها .
 - (٤) أخبار المهدي ص ٧٦ ، العبر ج ٦ ص ٤٧٠ .
 - (٥) نظم الجمان ص ٢١٠ .
 - (٦) نظم الجمان ص ٢١٠ ، بينما يذكره ابن الاثير ويتابعه النويري سنة ٥٢٨ هـ الكامل ج ١٠ ص ٥٧٨ ،
نهاية الارب ص ١٩٦ .
 - (٧) الحلل الموشية ص ٨٨ وربما كان ذلك بوحى من رواية اليسع .
 - (٨) يجعل هويسي تكوين اهل خمسين في تينملل

"ولما تم له (أى المهدي) خمسون من أصحابه ساهم ايت خمسين" (١) . وابن خلدون شديد الغموض فيما يتعلق بالتنظيمات والنظم الموحدية ، وروايته هذه لا تتفق مع الروايات المعاصرة ولا تستقيم مع طبيعة الهيئة التمثيلية .

وأغلب الظن ان تنظيم الطلبة سبق تكوين الهيئتين السابقتين فالمراكشي يروي لنا ان ابن تومرت - قبل اعلان مهديته - أرسل رجالا "من استصلح عقولهم" لدعوة القبائل الى آرائه (٢) . ويبدو ان ايفاد الطلبة الى قبائلهم كان عملية مستمرة خاصة بعد اعلان المهدي (٣) . هذا كل ما نجده عن تاريخ تكوين التنظيمات الحزبية في حياة المهدي . ومن اوقات ظهورها المختلفة ، وتدرج نشأتها ، نستنتج ان هذه التنظيمات قامت وفق تجدد الظروف وتغيرها .

التنظيمات ودورها :

اهل الجماعة :

سمت الروايات هذه الهيئة بـ "العشرة" او بـ "اهل الجماعة" (٤) ، غير ان كتاب الانساب

(١) العبيد ج ٦ ص ٤٧٠ وانظر مناقشة هوبكنز (Hopkins) لهذا الرأي في

Hopkins ; p. 89

(٢) المعجب ص ١٨٧ .

(٣) اخبار المهدي ص ١٣٢ ، نظم الجمان ص ٨٤ - ٨٥ ، ٩٣ .

(٤) المعجب ص ١٨٨ ، ٣٣٧ ، نظم الجمان ص ٢٨ ، ٣٠ ، ٧٤ ، ٧٦ ، الحلل الموشية

ص ٨٨ ، ٨٩ ، روض القرطاس ص ١١٣ .

لم يطلق عليها الا " اهل الجماعة " (١) ، فهل " العشرة " تعني الاسم أم العدد ؟ ان الروايات تختلف في العدد ، والاشخاص ، والترتيب (٢) ، وأغلب الروايات تذكر عشرة اسماء ، بينما تذكر رواية اليسع عند ابن القطان سبعة رجال فقط ، وتذكر رواية كتاب الانساب اثني عشر شخصا . ولعل اسم الهيئة الاول كان هو " اهل الجماعة " ، وربما كان عدد أعضائها في بادئ الامر عشرة أشخاص تأسيا بالعشرة المبشرين بالجنة ، ولاسيما وأن ابن تومرت كان يتأسى خطوات النبي (ص) (٣) ، فاكسبت الهيئة من عددها اسما آخر مع اسمها الاول .

والعدد لم يظل ثابتا ، فقط اسقط المهدي الفقيه الافريقي من أهل الجماعة ثم قتله لما شك في عصمة الامام وأنكر مذبحه هزيمة . وفي موقعة البحيرة - آخر غزوة في حياة المهدي - استشهد نصف أهل الجماعة (٤) ، ونحن لا نعلم هل أحل المهدي محلهم آخرين أم لا ، ولكن وجود روايات فردية فيما يتعلق بأسماء عدد من أعضاء هيئة أهل الجماعة قد يعطي فرصة للافتراض بأن المهدي كان يفعل ذلك . وعليه فان العدد كان يختلف من ظرف الى آخر .

(١) أخبار المهدي ص ٣٢ .

(٢) انظر الملحق الثاني .

(٣) مثل البيعة تحت الشجرة والهجرة والمغازي .

(٤) نظم الجمان ص ٩٧ ، البيان المغرب (ط . دار الثقافة) ج ٤ ص ٦٩ ، ووهم عبد الله علي
علام فظنه ابا بكر الصنهاجي البيهقي (الدعوة الموحدية بالمغرب ص ١٦٧) بينما عاش البيهقي

الى منتصف القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) .

(٥) نظم الجمان ص ١٢٢ .

ونستطيع ان نستخرج أسماء من اشترك في هذه الهيئة ولكننا لا نتيقن ان اشتركهم جميعا كان في وقت واحد . لقد كان بين أعضاء أهل الجماعة عبد المؤمن بن علي الكومي خليفة ابن تومرت فيما بعد ، وأبو حفص عمر بن علي الصنهاجي ، وأبو حفص عمر بن يحيى المهناتى جد حفصي تونس ، وأبو يحيى أبو بكر يكيث - وهو لاء - تجمع عليهم الروايات -، وأبو محمد عبد اللمن محسن الوانشرشي - ولا يغفل ذكره الا المراكشي ، وليس ذلك بغريب فالمراكشي قد أهمل ذكر التمييز الذى قام به البشير برأى ابن تومرت - وأبو الربيع سليمان بن مخلوف الحضرمي - وقد يكون هو الذى جاء في رواية الحلل الموشية باسم اسماعيل بن مخلوف وانذا صح الافتراض لا تهمل ذكره الا رواية اليسع عند ابن القطان - ، وأبو ابراهيم اسماعيل بن يسلاي الهزرجي - ولم تغفل ذكره الا رواية اليسع عند ابن القطان -، وأبو عمران موسى بن تمارا الجد ميوى ، وأبو عبد الله محمد بن سليمان من أهل أنسا ، وعبد الله ابن يعلى الزناتي التازي المعروف بابن ملوية .

أما بقية الاسماء فقد انفردت بها رواية دون الاخرى ، وقد جاء بعضها في غير هيئتها من تنظيمات الموحدين ، فيذكر صاحب كتاب الأنساب أبا موسى عيسى بن موسى الصودي ، وأبا محمد عبد العزيز الفيغائي ، وكلاهما قد ذكر في أهل دار المهدي^(١) . ويذكر المراكشي - في روايته - عبد الواحد الشرقي ويؤكد ذلك بقوله : " على الصحيح " ، وأبا محمد وسنار ، والشخصان تصنفهما روايات أخرى بين أهل دار المهدي^(٢) .

ان ذكر بعض أهل الدار بين أهل الجماعة في بعض الروايات يدعو الى القول بأن اشخاصا من أهل الدار كانوا يجتمعون مع أهل الجماعة أو يقومون ببعض اختصاصاتهم في بعض الاوقات ،

(١) أخبار المهدي ص ٣٤ .

(٢) انظر اخبار المهدي ص ٢٩ ، نظم الجمان ص ٣٣ .

الامر الذى يكشف عن مرونة التنظيم وتداخل اجهزته في حالات معينة لا تسعف الروايات على توضيحها .

ان ترتيب الرواة لاسماء اهل الجماعة لا يساعد في توضيح اهميتهم ، ويبدو ان الترتيب تاجر باحداث متأخرة ، اذ يجعل الرواة عبد المؤمن الاول في العشرة ، ولا نستثنى من ذلك الا اليسع والمراكشي وقد كتبنا بالمشرق : ان اول اهل الجماعة في رواية اليسع ، هو البشير ، وفي رواية المراكشي هو عبد الواحد الشرقي . ورواية اليسع تمثل الواقع اكثر من غيرها ، ولا سيما وانها قد جاءت عن عبد المؤمن نفسه . ولقد كان البشير قائد جيوش الموحدين ولا نعرف غزوة قادها عبد المؤمن وكان البشير جنديا فيها^(١) . وقد خصه المهدي بتمييز المؤمنين عن المنافقين من بين الموحدين^(٢) ، واغلب الظن ان البشير كان سيخلف المهدي لولا ان عاجلته منيته يوم البحيرة فسبق المهدي الى الدار الاخرى .^(٣)

(١) راجع اخبار قيادته الجيوش الموحدية في اخبار المهدي ص ٧٨ ، الكامل ج ١٠ ص ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، نظم الجمان ص ٨٨ ، ١١٥ ، الحلل الموشية ص ٩٣ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٧٥ ، نهاية الارب ص ١٩٤ ، ١٩٥ ، وقد ذكر المراكشي وابن القطان في احدى رواياته ان عبد المؤمن كان قائد غزوة البحيرة وهذا وهم انظر المعجب ١٩٨ ، نظم الجمان ١١٨ .

(٢) اخبار المهدي ص ٣٦ ، نظم الجمان ص ١٠٢ - ١٠٣ .

ونستطيع ان نحدد وظيفة هذه الهيئة بنوع من الدقة . لقد كان أهل الجماعة بمثابة الوزراء للمهدي (١) ، فهم أهل ثقته ومشورته في الامور العظام (٢) ، وقد تولوا تنفيذ القرارات . فقد تولى البشير في اغلب الاحوال وعبد المؤمن وعمر أصناج وموسى بن تمارا - في بعض الاحيان - القيادة العسكرية (٣) ، وسليمان الحضرمي الكتابة ، واسماعيل الهزرجي القضاء ، وموسى ابن تمارا أمانة الجماعة ، ومحمد بن سليمان الامامة في الفرائض عن إبن المهدى (٤) ، وأيوب الجدميوى تقسيم الاقطاع بين الموحدين في أيامهم الاولى (٥) . وكلها وظائف تنفيذية . ولا ريب في أن بعض المسائل قد تستجد ، ويقوى على تنفيذها رجل من خارج أهل الجماعة ، وربما كانت تسند اليه ، الامر الذى يفسر ظهور الروايات الفردية فيما يختص ببعض أهل الجماعة ، ان قد يجوز أن الرواية ظن المكلف كان من أهل الجماعة .

المجالس الاستشارية

تجمع الروايات على ان الهيئة الاستشارية عند الموحدين هي "أهل خمسين" وينفرد اليسع بذكر "أهل سبعين" ، وابن صاحب الصلاة بذكر "السبعة" (٦) . ونفى ابن القطان وجود

(١) نظم الجمان ص ٧٤ .

(٢) المصدر ذاته ص ٨١ ، الكامل ج ١٠ ص ٥٧٦ ، الحلل الموشية ص ٨٨ .

(٣) اخبار المهدي ص ٧٥ ، نظم الجمان ص ١١٧ .

(٤) أخبار المهدي ص ٣٣ .

(٥) المعجب ص ٣٣٨ .

(٦) انظر اعلاه ص ٧٤ ، نظم الجمان ص ٣٢ - ٣٣ ، الحلل الموشية ص ٨٩ ، وقد ذكر ابن الاثير

والنويري وابن الخطيب - في رقم الحلل فيما نقله عنه الناصر السلاوى في الاستقصاء - أهل سبعين

"أهل سبعين" وعلق على رواية اليسع قائلا : "وأما ما ذكره اليسع من أمر السبعين فلا أعرفه ولا أراه صحيحا" (١) . وليس من السهل ان نصرف روايتي اليسع وابن صاحب الصلاة ان أن تبديلا وتغييرا قد استحدثا في تنظيمات الموحدين بعد استقرار الدولة . وربما كان للهيئتين وجود بصورة ما لم تسعف الروايات التي بين أيدينا على توضيحه . وقد لا تعني وفرة المعلومات - نسبيا - عن أهل خمسين الا أن هذه الهيئة كانت هي وحدها المجلس الثابت الدائم الاجتماع ، بينما تمثل الهيئتان "أهل سبعين" و"السبعة" اجتماع عدد مختار من كبار الموحدين في أمر خاص قليل الوقوع . ومناقشة قضية عدد أهل خمسين تساعد في الفاء ضوء على هذه المسألة .

بينما فيما سبق من هذا الفصل ان أهل خمسين كانوا يمثلون القبائل المصمودية التي وحدت ، وقد كان توحيدها في فترات مختلفة ، وربما مثل بعضها بأشخاص قبل انضمام قبيلتهم .

* وأرجح ان ذلك عن اليسع على الرغم من أنهم لا يذكرونه . ان ابن الأثير عرف كتاب اليسع ونقل عنه رغم أنه لم يذكره ، وقد عرف النويري كتاب اليسع عن طريق ابن خلكان ونقله من ابن الأثير (الكامل ج ١٠ ص ٥٧٦ ، نهاية الارب ص ١٩٥ الاستقصاء ج ٢ ص ٩٦) ، وقبل بعض الدارسين رواية اليسع دون مناقشة مثل جوليان وعلام (Julien; p.100) ، الدعوة الموحدية بالمغرب ص ١٦٩) .

(١) نظم الجمان ص ٢٩ .

.....

وطبيعة التكوين هذه تفرض عدم وجود عدد ثابت في جميع الاطوار . ويؤكد هذا الرأي ان اكثر من عشرة اشخاص اضيفوا الى اهل خمسين بعد التمييز (١١٣٠ / ٥٢٤) (١) .

ان اختلاف العدد باختلاف الظروف يفسر لنا تباين الروايات عنه . وقد وصلتنا روايتان عن عدد اهل الخمسين واسمائهم . والروايتان لا يتفقان في الامرين . وقد جاءت الرواية الاولى عن ابن صاحب الصلاة وأوردها ابن القطان (٢) ، والثانية عن صاحب كتاب الانساب (٣) ، فقد ذكر ابن صاحب الصلاة أن عدد أهل خمسين واحد وأربعون ولم يذكر الا تسعة وثلاثين شخصا . وتنبه ابن القطان الى قصور عدده عن بلوغ الخمسين فعلق قائلا : " وهم على هذا زهاء أربعين أو واحد وأربعين فأين تمام الخمسين . وعد (أى ابن صاحب الصلاة) السبعة الذين قال انهم رجال مشورته ولعلمهم منتقون من الخمسين " ويبدو لنا أن ابن القطان على حق فيما ما ذهب اليه ، ان انه لم يرد ذكر لأحد من "السبعة" في شتى روايات أهل الجماعة ، وعليه فهم هيئة غيرها . وقد تضمنت رواية كتاب الانساب اثنين من السبعة الذين ذكرهم ابن صاحب الصلاة ، الامر الذي يحدونا الى القول بأن السبعة مجموعة منتقاة من أهل خمسين ، ولا سيما وأن كلهم من هرقة ، وأهل تينمل وهنتاة ، وهذه القبائل الثلاث نالت أكبر تمثيل في مجلس أهل خمسين بالمقارنة ببقية

(١) أخبار المهدي ص ٣٥ .

(٢) نظم الجمان ص ٣٠ - ٣٤ .

(٣) أخبار المهدي ص ٣٣ - ٣٥ .

... / ...

القبائل (١) . وربما كان اجتماع هؤلاء السبعة في أمر لم يتطلب بقية أهل خمسين .

وعلى الرغم من ضم ابن القطان للسبعة على العدد الذي يذكره ابن صاحب الصلاة لم يظفر

بالخمسين . فهل العشرة أهل الجماعة تمام العدد الذي يذكره ابن صاحب الصلاة ؟

لم نجد في جميع المصادر التي رجعنا إليها إشارة تقود الى مثل هذه النتيجة ، والراجح

ان أهل الجماعة هيئة مستقلة قائمة بذاتها ومختلفة عن أهل خمسين في طبيعتها ووظيفة

أعضائها وما يمثلون .

(١) ذهب هوبكنز (Hopkins) الى رأى مخالف لما وصلنا اليه هنا فهو

يرأى ان السبعة قد لا يكونون من الخمسين وربما لم يشر ابن صاحب الصلاة الى ذلك

لعلمه ان السبعة لم يكونوا من الخمسين (Hopkins; p.90) ،

للاسف الشديد ان الجزء الخاص بهذه الفترة من تاريخ المن بالامامة قد ضاع

ورواية ابن صاحب الصلاة جاءت عن نقول الآخرين عنه وربما لم يتنبه الناقلون لكلماته

او ان النسخة التي نقل عنها ابن القطان أصابها تحريف من النساخ وعليه لا نستطيع

ان نستنتج من رواية مبتورة حكما مثل الذي ذهب اليه هوبكنز .

... / ...

ولم تسعفنا رواية كتاب الأنساب بحل لهذه القضية فقد ذكر راويها خمسة وأربعين رجلا عدا من أضيف اليهم بعد التمييز - وهم أكثر من عشرة رجال - وبنه في أسماء رجال هنتاة الى أنه لم يقف على أسماء بعضهم . وعليه فالعدد الذي يذكره يزيد عن خمسين شخصا . وحاول عبدالله علي علام أن يخرجنا " من الحيرة التي وقع فيها المؤرخون على طول العصور " (١) ، فقبل رواية ابن صاحب الصلاة ، وليكمل العدد خمسين رجلا ، ذهب مذهب ابن القطان ، وأضاف السبعة ، ولما لم يبلغ الخمسين أضاف خمسة هم أهل الدار المهدي فيما رواه ابن صاحب الصلاة ونقله عنه ابن القطان ، ولكنه لم يخرجنا من الحيرة فقد زاد العدد عن الخمسين ، وقد يبلغ السبعين لأن أهل دار المهدي في رواية كتاب الانساب عشرون رجلا (٢) .

والذي نرجحه أن " خمسين " لم تكن تعني عددا وانما هي اسم للهيئة ولاسيما وأن انضمام القبائل قد كان في فترات مختلفة وكان المهدي يضيف اليهم رجالا في بعض الاوقات مثل الذي فعله بعد حركة التطهير . وهذه فرضية تجد دعما من دراسة تنظيمات القبائل البربرية الحديثة ان للقبيلة مجلس يسمى ايت أربعين وقد يكون اعضاءه عشرة أو خمسة عشر رجلا (٣) .

(١) الدعوة الموحدية بالمغرب ص ٣٢ .

(٢) أخبار المهدي ص ٢٩ - ٣٠ .

(٣) انظر Hopkins; p.90 , Huici; v.1, p.103

ان فكرة اجتماع غير هيئة من هذه الهيئات في جلسة واحدة قد تعطي اساسا لما يرويه
اليسع عن "أهل سبعين" فمن الجائز أن يظراً أمر خطير يستدعي مشورة عدد كبير فيحمد
المهدى الى جمع أهل الجماعة وأهل خمسين وأهل داره في صعيد واحد ، وربما كانوا يسمون
مثل هذا الاجتماع "أهل سبعين" ولا سيما وأن عددهم يقرب من السبعين . ومن الجائز
أيضا أن اجتماعهم كان قليل الحصول فنسى الرواة أمرهم أو جهلهم أو تجاهلهم . ولا ريب
في أن المجلس الوحيد الذي عمل ، وعمل بفعالية مستمرة ، هو مجلس أهل خمسين .

ان الروایتين اللتين وصلتا إلينا عن أهل خمسين تتفقان في مجموعاتهم ، وتكادان ان
تتفقا في ترتيبهم ، لولا ان ابن صاحب الصلاة يقدم في ترتيبه "القبائل" على صنهاجة .
وقبائل الموحدين التي مثلت في المجلس هي : هرقة وأهل تينمل وهتتاتة وكوميوة وكفيسة
وصنهاجة والقبائل وهسكورة . ان المجموعات التي شكلت المجلس تثير تساؤلين :

أولا هل أراد ابن تومرت ان يجعل هذه الهيئة وقفا على قبائل المصامدة ؟ من الواضح
ان كل هذه المجموعات كانت مصمودية الاصل . وصنهاجة وهسكورة لم يوحدوا في حياة ابن تومرت
ولا ريب في ان تمثيلهما كان بافراد قبل دخولهما في دعوة الموحدين ، ولو قصد ابن تومرت
ان يمثل في المجلس جميع القبائل المغربية لأدخل عناصر منها المجلس كما فعل مع صنهاجة
وهسكورة ، ولا سيما وأن أفرادا من القبائل الاخرى قد وحدوا بصفة فردية . ويبدو ان هذا
الاتجاه كان يمثل خطته في البداية فأخى بين العناصر المتميزة من غير المصامدة مع قبيلته
هرقة ، ولكنه عدل عن هذا الاتجاه فيما بعد ان يذكر ابن صاحب الصلاة في روايته خمسة
غرياء فيهم واحد من لهطة وثان من زناته وثالث من كزولة . وهذا تعديل يسير لا يجوز

تعميم حكم منه . والذي نراه في هذه المسألة ان ابن تومرت أخضع تنظيماته لظروف الواقع
اذ كان يهدف في البداية الى كسب المصامدة ومن ثم ينطلق بدعوته نحو الآخرين ، وهذا ما
يفسر غلبة المصامدة على مجلس أهل خمسين وتمثيل بعض قبائلهم بافراد رغم انها لم توحد .

ثانيا هل حاول ابن تومرت أن يذيب القبيلة في إطار أوسع ؟ بين مجموعات أهل خمسين
مجموعتان تتخطى كل منهما حدود القبيلة الواحدة ، وهما : أهل تينملل والقبائل . وأهل تينملل
ليسوا قبيلة بل مجموعات قبلية جمعها اسم الموضع الذي سكنته وهو تينملل (١) . وأما القبائل
فهي لقطعة أطلقها الموحدون على قبائل المصامدة التي قطنت حول مراكش وهي : هزميرة
وهيلانة ، وهزرجة (٢) . وتكوين مجموعة أهل تينملل ربما كان قبل المهدي (٣) أما مجموعة
القبائل فهي من ابتكار ابن تومرت وقد اطلق الموحدون الاسم . ان جذور الاتجاه نحو توسيع
إطار القبيلة قد يكون موجودا قبل المهدي ، ولكن ابن تومرت أراد ان يعمقه ، وفكرة تكوين
أهل خمسين نفسها انما هي محاولة لربط القبائل في تنظيم اكبر .

بقي ان نكشف عن قوة تمثيل القبائل في مجلس أهل خمسين . من الروايتين اللتين وصلتا
الينا عن أهل خمسين استطعنا ان نستخرج ثلاث صور لهذه التمثيل الاولى عن ابن صاحب
الصلاة والثانية عن كتاب الانساب قبل التمييز والثالثة عن كتاب الانساب بعد التمييز واليك البيان :

(١) المعجب ص ٣٤٠ .

(٢) المصدر ذاته ص ٣٤١ غير ان كتاب الانساب يعدد ثمانية أفخاذ لا يذكر فيها هزميرة

او هزرجة (أخبار المهدي ص ٤٣) وباستعماله لكلمة "فخذ" يدعوا الى الظن أنه اعتبرهم قبيلة

واحدة وهذا ما تنفيه رواية المراكشي .

... / ...

الآتي :

المجموعة	هـ	اهل تينمل	هنتات	كلمة	كتيبات	صهاجية	القبائل	هسكرة
كتاب الانساب قبل التمييز	٨	١٩	٢٢	٤	٤	٣	١	٤
كتاب الانساب بعد التمييز	٨	٢١	٢٨	٤	٤	٣	١	٤
ابن صاحب الصلاة	٦	١٤	٣	٢	٤	٣	١	٣

لكيما تكتمل الصورة التي نستخرجها من هذا البيان يجب ان نضع الحقائق الآتية في

اعتبارنا :

(١) ان اربعة اشخاص من ممثلي هرقة لم يكونوا من صلب القبيلة وانما هم ممن آخى المهدي بينهم وبين قبيلته (١) .

(٢) نسي صاحب كتاب الانساب بعض رجال من هنتاتة وقد أشار الى ذلك .

(٣) المستدركون بعد التمييز كانوا اكثر من عشرة رجال ، وذكر صاحب كتاب الانساب اسما تسعة اشخاص

ثم قال : " وابناء ابي عمران موسى بن يركان من جهة الام ٠٤٤٠ ولم يذكر اسماهم ، فوضعنا علامة

(١) راجع البيان : أخبار المهدي ص ٣٤٠ ٣٩٠ ٤٠٠

استفهام مع عدد هنتاة بعد التمييز ، لأن أبا عمران من مزالة ومزالة من هنتاة .
(٤) لم يشمل الاحصاء الذي أوردناه عن ابن صاحب الصلاة الغرياء الخمسة الذين يذكروهم ،
وبينهم أثنان يصنفهم كتاب الأنساب بين هرة ، وعليه يكون العدد الذي يذكره عن هرة
مساويا لما تذكره رواية كتاب الانساب قبل التمييز وبعده .

ومن هذا البيان نستنتج ان رواية كتاب الانساب قبل التمييز تتفق مع رواية ابن صاحب
الصلاة من حيث قوة تمثيل القبائل ، وواضح أن أعلى نسبة كانت لأهل تينملل فهرة فكفيسة . الخ .
ولكن ابن صاحب الصلاة لا يذكر من استدرك بعد التمييز حيث انقلبت النسب فصار الترتيب
حسب قوة التمثيل : أهل تينملل فهنتاة فهرة فكفيسة . الخ . وواضح ان اهل تينملل
وهنتاة كانوا يتمتعون بنفوذ عظيم في المجلس ، ويبدو انهم ارتبطوا في تحالف منذ ايام الثورة
الاولى ، واتضح هذا التحالف بصورة بارزة أيام الانحلال .

اذا وضع امامنا عدد المجلس وطبيعة تكوينه فما هو اختصاصه ؟ يزعم ابن الخطيب في رقم
الحلل فيما نقله عنه الناصري السلاوي^(١) أن " أهل سبعين وخمسين والحفاظ والطلبة لحمل
العلم والتلقي " . وهذا قول لم يرد ما يؤيده في الروايات المعاصرة لفترة الموحدين ، وفيه
خلط كثير ان تنظيم الحفاظ لم يتكون في فترة المهدي ، وتقديم الحفاظ على الطلبة في روايته
ينبئ عن الاشارة لفترة متأخرة .

(١) الاستقصا ج ٢ ص ٩٦ .

يوكد ابن القطان (١) وصاحب روض القرطاس (٢) أن اهل خمسين كانوا اصحاب مشورة المهدي وهذا ما يفهم من رواية اليسع (٣) ايضا ان يقول " وكانوا (اى الموحدون) اذا قطعوا الامور العظام يخلون بالعشرة لا يحضر معهم غيرهم ، فاذا جاء أمر أهون أحضروا الخميس فاذا جاء دون ذلك احضروا السبعين رجلا ، وفي ما دون ذلك لا يتأخر أحد ممن دخل في أمره رضى الله تعالى عنه " .

واستشارة القبائل جعلتها اكرار تباطا بصاحب الدعوة ، فسمعت منه واطاعت له ، الامر الذى يدل على ان ابن تومرت كان عالما بظروف بيئته القبلية ومن هذا العلم اسس تنظيماته .

الطلبة

الروايات التسي بين أيدينا لا توضح من اين أخذ ابن تومرت اسم الطلبة الذى اطلقه على الدعوة ، ويبدو ان الكلمة كانت مستعملة قبله ان يروى ابن عذارى ان الطلبة والفقهاء اول من خرج من أهل تلمسان يتضرع الى عبد المؤمن لما فتحها (٤) ، وربما أخذ ابن تومرت تلك الكلمة وتوسع في معناها لتشمل الدعوة الذين اخذوا العلم منه وتلقوا التربية على يديه .
ويبدو ان عدد الطلبة كان كبيرا في حياة المهدي ، فقد وجه في سنة ١١٢١ / ٥١٦ منهم

(١) نظم الجمان ص ٧٥ .

(٢) روض القرطاس ص ١١٤ .

(٣) نظم الجمان ص ٨١ .

(٤) البيان المغرب ج ٣ ص ١٨ .

جماعة وافرة الى السوس^(١) ، وهذا أمر لا نستغريه ، اذ أن المهدي خلال رحلته راجعا من المشرق كان يحرص على تدريس العلم ، ولما نزل مراكش كثر محبوه^(٢) فأخذوا عنه وتلقوا منه ، وعندما وصل ايجيليز كان يشتغل بتدريس العلم عاما كاملا قبل أن يعلن مهديته ، ولا ريب في أنه كان يفتخر جماعات ممن آمنت بأفكاره واقتنعت بطريقته وعملت بنهجه فرباها تربية خاصة ثم بثها بين القبائل تدعو الى أمره ، فكان نشر الدعوة بين القبائل دأبها واداعتها في الناس غايتها ، ومن قتل من هؤلاء الطلبة حسب شهيدا فانتقم اخوانه له^(٣) . وكان ارسال الدعاة عملا مستمرا وخطة متصلة وهذا يفسر اختلاف الروايات في تاريخ ارسالهم^(٤) .

ويصور صاحب روض القرطاس أسلوب الدعاة فيقول : " وكانوا يدعون الناس الى بيعته ويزرعون محبته في قلوبهم بالثناء عليه ووصفه بالزهد والتحرى واظهار الكرامات^(٥) " وقد نجحوا نجاحا عظيما ، ونتيجة لسعيهم وبفضل من جهدهم وحدث كدمية الجبل وهزيمة الجبل وكثيفة الجبل . ولم توحد هنتاة الا بتأثير مما سمع زعماءها عن الامام المهدي وأفكاره^(٦) .

(١) نظم الجمان ص ٨٧ .

(٢) يقدر صاحب روض القرطاس من صحب ابن تومرت في مراكش بألف وخمسمائة رجل (روض

القرطاس ص ١١٣) .

(٣) انظر انتقام المهدي لابي محمد عطية لما غدرت به عجد امة في نظم الجمان ص ٩٣ .

(٤) راجع أخبار المهدي ص ١٣٢ و نظم الجمان ص ٨٧ ، ٩٣ .

(٥) روض القرطاس ص ١١٤ ، الاستقصا ج ٢ ص ٩٢ .

(٦) نظم الجمان ص ٨٧ وما بعدها .

وأغلب الظن أن هؤلاء الطلبة كان يشتركون في الحملات العسكرية ، يقول البيهقي في معرض حديثه عن رجوع الجيش المنهزم من البحيرة بقيادة عبد المؤمن " وجاز الخليفة مع طلبة أغمات على هيلانة " (١) .

الكافة

ان عامة الموحدين الذين لم يختصهم المهدي بمهام معينة مثل ما فعل مع أهل الجماعة وأهل خمسين والطلبة ، لم يتركوا دون تنظيم يلم شتاتهم ، فقد نظموا بحسب قبائلهم فجعل ابن تومرت القبيلة وحدة سياسية ثم " جعل على كل عشرة نقيبا " (٢) وليتأكد من انضباطهم كان يعرضهم بين الفينة والفينة . وكان لكل صنف من أصناف الموحدين رتبة لا يتعداها في سفر او حضر (٣) . وهكذا استطاع المهدي ان يحدث نظاما متسلسلا في طبقاته ، محدد في وظائف اعضاءه ، فأهل الجماعة للاشراف على التنفيذ وأهل خمسين وأهل سبعين والسبعة للمشورة ، والطلبة للدعوة والكل مع العامة في الجندية سواء فسمعوا واطاعوا (٤) . ومن هنا تبرز أهمية التربية في تهيئة العاملين في تلك التنظيمات .

(١) أخبار المهدي ص ٧٩ .

(٢) نظم الجمان ص ٢٧ ، الحلل الموشية ص ٨٩ .

(٣) المصدران ذاتهما ص ٢٦ ، ص ٨٩ .

(٤) نظم الجمان ص ٨١ .

التربية

ان تناسق الاجهزة التنظيمية واحكام بنائها يساعد التنظيم في اكتساب فعاليته ، ولكن القدرة على الحركة رهينة بنوعية الانسان الذي يضمه ذلك التنظيم . فالانسان الذي يعي كبر المهمة الملقة على عاتقه ، وعظم المسؤولية المتطلبة منه ، ويدرك مقدار التحدي الذي يواجهه ، أقدر من غيره على الحركة ، لأنه يعرف ماذا يريد وكيف يريد ومتى يريد ، فيقوم بنصيبه من السعي وقسطه من التبعة . وقد تبين ابن تومرت هذا الارتباط بين التنظيم والانسان ، فأولى تربية اتباعه عناية فائقة فباشرها بنفسه وأعيان أصحابه (١) . وقد استطاع ابن تومرت أن يخلق عزلة شعورية بين الموحد ومجتمعه . وهذه العزلة هي السبب الاساسي في الترابط بين الموحدين وفي العنف الذي واجهوا به الآخرين . وهذا الترابط الداخلي وذلك العنف الخارجي يسرا السمع والطاعة داخل تنظيمات الموحدين . ومن هنا كان هذا التلاحم بين عمليات التربية والتنظيمات . واية دراسة لتربية الموحدين لا تهدف الى دراسة هذه العزلة الشعورية تأتي ناقصة ومبتورة . وقد كانت العزلة الشعورية عند الموحدين نتيجة لثلاثة عوامل :

١- افكار ابن تومرت ٢ - منابع التلقفي التي سمح بها ٣- منهج التلقفي الذي اتبعه .

أفكار ابن تومرت :

ان غاية الحياة عند ابن تومرت هي توحيد الله وعبادته (٢) ، والتوحيد مقدم على العبادة ان لا تقوم العبادة الا به (٣) ، وهو اول ما يجب

(١) المصدر ذاته ص ٢٧ ، الحلل الموشية ص ٩٠ .

(٢) أعز ما يطلب ص ٢٧٧ .

(٣) المصدر ذاته ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

تحصيله (١) . والعلم بهذا المفهوم هو سبب الهداية الى كل خير وهو " أعز ما يطلب وأفضل ما يكتسب وأنفس ما يدخر وأحسن ما يعمل " (٢) ولهذا كان التوحيد جوهر حركته في مجالها الديني والسياسي . وكانت فكرته التوحيدية السبب الاساسي في العزلة الشعورية التي ذكرناها فلا بد من ان نقف عندها وان نحدد معالمها .

يقول اكثر المؤرخين باشعرية مذهب ابن تومرت في التوحيد (٣) . ويضيف المراكشي الى ذلك قوله : " إلا في اثبات الصفات فانه وافق المعتزلة في نفيها وفي مسائل قليلة غيرها ، وكان يبطن شيئاً من التشيع غير انه لم يظهر منه الى العامة شي " . ولا يشير ابن خلدون الى معتزلية ابن تومرت ولكنه يحدد لنا الاثر الشيعي فيقول : " وكان على رأى الامامية من الشيعة في العصمة " . ووضعه فقهاء المرابطين بين الخوارج (٤) . ويرى تراس ان عقيدة ابن تومرت متنوعة وعلى الاقل قد اخذ ابن تومرت عن مبادئ الاشعرية والغزالي والشيعة (٥) . فهل صور المؤرخون والدارسون عقيدة ابن تومرت تصويراً حقيقياً ؟

ان الاثر الاشعري واضح عند ابن تومرت فيما أتخذ من حجج عقلية للذب عن العقائد الدينية وواضح فيما ذهب اليه من تأويل المتشابه (٦) .

(١) المصدر ذاته ص ٢٢٩ وما بعدها .

(٢) المصدر ذاته ص ٢ .

(٣) المعجب ص ١٨٨ ، وفيات الاعيان ج ١ ص العبر ج ٦ ص ٤٦٦ .

(٤) اخبار المهدي ص ٧٧ ، الحلل الموشية ص ٩٠ وقد ذهب ابن الخطيب الى رأيهم فيما نقله عنه

الناصرى السلاوى عن رقم الحلل ، استقصا ج ٢ ص ٩٥ .

(٥) Terrasse; p.268

(٦) أعز ما يطلب ص ٢٣٢ وما بعدها .

ويصعب التسليم بما رواه المراكشي عن معتزليه ابن تومرت . لقد استدل المراكشي عليها بنفي ابن تومرت للصفات ، وهذا رأى لم يذهب ابن تومرت اليه ، بل ذهب ابن تومرت مذهباً مغايراً للمعتزلة في الصفات ، فهو لا يثبتها ولا ينفيها ، ولم ترد لفظة صفات عنده ، بل يقتصر على أسماء الله الحسنى ويقول " . . . " ولا يسمى الا بما سعى به نفسه في كتابه او على لسان نبيه لا يجوز القياس والاشتقاق والاصطلاح في أسماءه . . . وليس للمخلوق ان يتحكم على خالقه فيسميه بما لم يسم به نفسه في كتابه ، ما نفاه عن نفسه في كتابه نفاه عنه وما اثبتته لنفسه اثبتته له من غير تبديل ولا تشبيه ولا تكيف . يسميه بأسمائه الحسنى ويدعوه بها كما قال تبارك وتعالى ﴿ وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١) .

وقد تنبه جوليان الى هروب ابن تومرت عن الصفات الالهية وحصره قضيتها في الكتاب والسنة (٢) . وكان ابن تومرت في رأيه عن الصفات الالهية ينكر على المعتزلة والاشعرية مجرد ذكرهم للصفات فضلا عن بحثها . وهذا المذهب نفسه مذهب ابن حزم مما يحمل على الظن بأن بعض أفكار ابن حزم وجدت طريقها الى فكر ابن تومرت في التوحيد .

واكثر ما يباعد بين ابن تومرت والمعتزلة رأيه في التسيير والعدل لالهيه فهو يقول عن الانسان " كل ميسر لنا خلق له وكل منتظر لنا قدر له " (٣) " ويقول عن الله " يفعل في ملكه ما يريد

(١) المصدر ذاته ص ٢٣٧ ؛ سورة ٧ آية ١٨٠ .

(٢) Julien; p.95

(٣) أعز ما يطلب ص ٢٣٦ .

التي سبقته ، فقد أخذ عن بعض المذاهب مسائل وخالفها في أخرى ، وجاءت أفكاره في التوحيد متنوعة فيها أثر أشعري وفكر شيوعي وأثر حزبي . وقد ساهمت هذه العقيدة التوحيدية التومرتية في خلق العزلة الشعورية بين الموحدين وغيرهم - وقد كان الغير هم كل الناس على اختلاف مذاهبهم ونحلهم واعمارهم وأجناسهم وأوضاعهم . لقد كفر ابن تومرت كل من لا يؤمن بعقيدته ولم يستثن من ذلك كبيرا أو صغيرا ، حرا أو عبدا ، ذكرا أو أنثى ^(١) . ويقول صاحب روض القرطاس " ومن لم يحفظ هذا التوحيد فليس بموحد وانما هو كافر لا تجوز امامته ولا تؤكل ذبيحته " ^(٢) فألقى في روع أصحابه انهم المؤمنون حقا وسواهم الكافرون والمبطلون والمجسمون . وانقسم المجتمع الى " مؤمنين " و " كافرين " ، " موحدين " و " مجسمين " . وشن هجوما عنيفا على المجتمع كله بقياداته السياسية المتمثلة في أمراء المرابطين ، وقياداته الفكرية المتجسدة في الفقهاء والعلماء ، وأوضاعه الاجتماعية المتجلية في احوال النساء والعادات والتقاليد . ووصف أهل ذلك المجتمع بأوصاف نفرت من يوحد منهم تنفييرا ، فهم المبطلون والمجسمون والحشم والمثمنون والزراجنة ^(٣) .

واكد في نفوس أتباعه النفور من المجتمع بتركيزه على غربة الاسلام وغربة الفئة التي تقاتل على الحق ^(٤) . وكان على من يوحد أن يخلع ماضيه ، ويعيش انسانا جديدا ، ان أن التوحيد يهدم ما كان قبله من الآثام ^(٥) ، وقد كانت حياته كلها آثاما ، لأنها لم تكن قائمة على التوحيد الخالص .

(١) أعزما يطلب ص ٢٤٥ .

(٢) روض القرطاس ص ١١٤ .

(٣) أعزما يطلب ص ٢٥٨ - ٢٦٢ ، ٢٩٠ ، ٢٩٦ ، نظم الجمان ص ٤٢ ، ٤٦ ، ٨٥ .

(٤) أعزما يطلب ص ٢٦٦ وما بعدها .

(٥) المصدر ذاته ص ٢٧٦ وما بعدها .

.../...

وكان على من يوحد ان يستعلي على قيم المجتمع الذي خرج منه ، وان يتميز عنه حتى في
ملبسه (١) ، وان يجاهد اهله ويقاتلهم حتى يخلصوا عبادتهم لله وحده (٢) . وهنا تجب عليه
الهجرة منه والفرار عنه والانضمام الى اخوته المؤمنين (٣) ، لان "الموالة والمعاداة واجبة في
الدين وان الهجرة من بين الاعداء الى الله ورسوله واجبة على جميع العباد وان الخروج من
الديار والاموال الى الدين لا يسقط عن احد بوجه ولا بسبب وان القيام بامر الله واجب وانه على
الفور لا يجوز فيه التأخير وان مراعاة القيام بامر الله اولى من مراعاة اراقة الدماء وذهاب النفوس
والاموال ... " (٤) .

ولا ريب في ان هذه التعاليم نفرت "الموحد" عن مجتمعه ، وعزلته عنه وجعلته اكثر ارتباطا
بأخوته الموحدين ، فلم يجد من ملجأ الا اليهم ، فتآخوا وتآلفوا ، وسمعوا واطاعوا .

منايع التلقّي :

ولقد كرست منايع التلقّي - التي سمع ابن تومرت بها - هذه العزلة الشعورية فزادت في
التصاق الموحدين ببعضهم ، ولقد حصر المهدي ينابيع العلم في القرآن والسنة . والامام في هذه

(١) اعزما يطلب ص ٢٦٣ .

(٢) المصدر ذاته ص ٢٦٥ ، نظم الجمان ص ٤٧ وما بعدها .

(٣) اعزما يطلب ص ٢٦١ و ٢٦٤ .

(٤) المصدر ذاته ص ٢٥٦ .

وسواها من أمور الدين والدنيا هو المرجوع اليه في القليل والكثير ، الحقيق والجليل ، لأن الامامة تعني الاتباع والاقتراف والسمع والطاعة ، وامثال الامر واجتناب النهي ، والأخذ بسنة الامام ^(١) المعصوم من الباطل ^(٢) . وطاعة الامام طاعة لله والرسول ، وتعظيم حرمانه تعظيم لحرمانتهما ، ومرضاته مرضاة لهما ^(٣) . ولا ينكر شيئاً من ذلك الا كافر ^(٤) وهكذا خلع ولاء اتباعه عن كل شيء الا له هو . ولا غرابة بعد هذا لو تحرك التنظيم الهرمي باشارة من رجل واحد .

ولا عجب بعد ذلك ان نهى عن التقليد وقراءة كتب الرأي ^(٥) ان لا تقليد الا للامام

ولا رأى الا له .

وفي سبيل تأكيد امامته وعصمته لم يجد بأساً من انتحال الخوارق والكرامات تفسيراً للمصائب التي آلمت بالموحدين في بداية أمرهم أو تمهيداً لأمر آت ^(٦) .

(١) أعز ما يطلب ص ٢٤٧ ، ٢٥٣ - ٢٥٤ .

(٢) المصدر ذاته ص ٢٤٥ .

(٣) المصدر ذاته ص ٢٥٢ .

(٤) المصدر ذاته ص ٢٥٤ .

(٥) نظم الجمان ص ٣٨ .

(٦) انظر بعض خبر ذلك في نظم الجمان ص ٨٤ ، ١٠٣ ، الاستقصا ج ٢ ص ٩٦ .

ذلك (١) .

ولما كان العمل هو الهدف من العلم ، فقد كان المهدي حريصا على افهام اتباعه فاستعمل اللسانين البربري والعربي في تواليفه ومواعظه (٢) . ويبدو أن التدريس كان بحسب القدرات والقابليات والمهام المنتظرة من المتعلم ، فبينما يطلب من البعض قراءة وحفظ أم الكتاب وتشق عليه حتى توضع كلماتها على أسماء بعض الاشخاص تيسيرا لحفظها (٣) ، يظهر البشير الوانشرشي فجأة وبدون مقدمات وقد حفظ القرآن واتقن العلم ، لتكون هذه الظاهرة كرامة من الكرامات وتغدو مؤهلة لتمييز المؤمنين من المنافقين (٤) .

ويروى لنا اليسع اسلوبه في أخذ الموحدين بالتربية العملية فيقول " وكان يعظهم (المهدي) في كل وقت ويذكرهم ، ومن لم يحضر أدب فان تمادى قتل ، وكان من لم يحفظ حزه عزز بالسياط ، وكل من لم يتأدب بما أدب به ضرب بالسياط المرة والمرة فان ظهر منه عناد وترك امتثال الاوامر قتل ... " (٥) وهذا المنهج خرج جيلا طيعا للامام ، يسمع في المنشط والمكره ويبدو ان هذه الطاعة كانت الهدف الاساسي فكان المهدي يقتل من يخاف عصيانه ، أو يخشى عناده ،

(١) نظم الجمان ص ٢٣ ، ٩٤ .

(٢) المعجب ١٨٢ ، روض القرطاس ١١٤ .

(٣) روض القرطاس ص ١١٨ - ١١٩ ، استقصا ج ٢ ص ٩٢ .

(٤) انظر قصته في نظم الجمان ص ١٠٢ - ١٠٣ .

(٥) المصدر ذاته ص ٢٩ .

- حتى ولو جاء ذلك في صورة جماعية ، مثل مذبحه هزيمة ^(١) وحركة التطهير التي قام بها البشير ^(٢) فأسس الاتباع القيادة رهبة ورغبة ، " وبلغوا في ذلك الى حد لو أمر احدهم بقتل ابيه أو أخيه أو ابنه لبادر الى ذلك من غير ابطاء " ^(٣)

وقد قامت التربية بدور فعال إذ وفرت جماعتين من الناس : جماعة آمنت بالفكرة ووعت مهمتها وسعت لتنفيذها فاطاعت عن رغبة وجماعة أطاعت طاعة عمياء رهبة من العقاب . وفي الحالين كان انسان تنظيمات الموحدين يتحرك وفق ارادة المنظمين له . وهكذا توفر لتنظيمات الموحدين شرطا التنظيم المتحرك القادر : الاجهزة المحكمة والانسان المتحرك .

الروافد التي تأثر بها الموحدون في التنظيمات :

=====

من الصعوبة بمكان أن نقول أن ابن تومرت أقام تنظيمات الموحدين على غرار تنظيمات مسبقته ، ولكن تنظيمه قد تأثر بعوامل مختلفة ، منها الفكرى والثقافى ومنها ما أخذه عن تجارب الآخرين فحوره وبدله ليلائم ظروف مجتمعه وأوضاع ثورته ، ولهذا جاء تنظيمه متمشيا مع افكاره مراعيًا لظروف بيئته .

الاثـر الفـكـرى :

كانت فكرة ابن تومرت دينية ، وقد كان الاسلام لحمتها وسداها ، ووجد في الرسول (ص) مثلا أعلى فاحتذى خطواته وقلد أفعاله ، وقلد نظام النبي (ص) في الشورى . وقد اشار جوليان

(١) نظم الجمان ص ٩٤ .

(٢) المصدر ذاته ص ١٠٣ ، الكامل ج ١٠ ص ، نهاية الارب ص ١٩١ - ١٩٢ .

(٣) المعجب ص ١٩١ .

الى شيء من هذا ، غير انه يخطيء فيقول ان المهدي قلد النبي في نظام شوزاه حدو القدة
بالقدة ، وما أهل خمسين واهل سبعين الا تقليد لهيئتي المهاجرين والانصار^(١) ، والمقارنة
مستحيلة بين هيئات ابن تومرت وهيئات المهاجرين والانصار ، ان أن اهل خمسين لم يكونوا
من قبيلة واحدة ، ولم يهاجروا كلهم مع ابن تومرت ، وفيهم من هاجر اليه المهدي مثل أهل تينمل
أما أهل سبعين فلم يكونوا الا اجتماع هيئات متعددة . والصواب ان ابن تومرت تأثر بفكرة
النبي (ص) في الشورى وصاغها في نظام يتلاءم وظروفه الخاصة فجاء تنظيمه في شكله العام
محتذيا سيرة الرسول ، وربما كانت فكرة السبعين قد جاءت عن السبعين الذين بايعوا النبي يوم
العقبة ، والعشرة عن العشرة المبشرين بالجنة ، والطلبة عن القراء ، واختيار النقباء عن اختيار
النبي لنقبائه ، ولكن ابن تومرت صاغ نظام النبي في شكل جديد يتلاءم وظروفه الخاصة فجاء
في شكله العام قريبا من تنظيمات النبي محتفظا بسماها مختلفا عنها في اختصاصاتها وقد
كانت تنظيمات النبي عفوية وأما تنظيمات ابن تومرت فقد قامت بعد دراسة وتخطيط .

الاثـر الثقافي :

تميز ابن تومرت بمقدرة علمية اتسمت بالتحليل والتنظيم والتبويب والتقسيم للمسائل العلمية ،
واكسبته هذه المقدرة انتظاما عقليا يظهر بوضوح في انتاجه الفكري . ولا ريب في ان هذا
الانتظام اثر في تكوين تنظيماته فجاءت في اختصاصاتها مترابطة في تسلسلها ، متداخلة في اعمالها
من غير تضارب^(٢) .

(١) Julien , p. 100

(٢) ذهب هويسى الى مثل هذا الرأي . Huici; v.1, p 100

أثر تجارب الآخرين :

تنظيمات القبائل المغربية :
=====

ذكرنا فيما سبق أن هيئة أهل خمسين قد لا تعني أكثر من توسيع فكرة آيت اربعين في تنظيمات القبائل البربرية^(١) ، مما يحمل على القول بأن ابن تومرت استفاد من التنظيمات التي وجدها في مجتمعه ، ولكنه لم ينقلها كما هي ، بل بدلها وغيرها لتوافق الافكار التي دعا اليها . ان التنظيم الاستشاري أصبح عنده يجمع عدة قبائل الامر الذي يسر تلاحم القبائل التي وحدث وتربطها . واهل خمسين خير مثل لتطبيق فكرة الشورى على مجتمع مختلف عن مجتمع النبي .

التنظيم الفاطمي :
=====

لقد اشتهر الغلاة من الشيعة بتنظيماتهم الدقيقة وبنائها المحكم . ولقد عرف المغرب الفاطميين منهم ، ان كان مهد دولتهم ومنه انطلقها . ولم تكن معرفة ابن تومرت للفاطميين عن طريق ما خلفوا من أثر في المغرب فحسب ، بل انه قد رحل الى المشرق وجال في ديار الفاطميين . ولم تسعفنا المصادر بكثير من المعلومات عن حياة ابن تومرت الاولى ، ولكننا نكاد نستيقن ان ابن تومرت - في ديار الفاطميين - كان يتتبع أخبار تنظيماتهم ، ولا سيما وأن الرجل كان يتهمياً للقيادة والامامة والزعامة . ولا نستطيع ان نقطع برأى فصل في نوعية الاثر الفاطمي في تنظيمات الموحدين ولكن تبني ابن تومرت لفكرة الامامة والعصمة ركن من أركانها ، وانتهاج التربية الخاصة وسيلة لتغيير المجتمع أمران يرجحان ان تنظيمات الموحدين تأثرت الى درجة ما - لا نستطيع ان نحدد مداها - بالتنظيمات الفاطمية .

(1) Julien; p. 100; Hopkins, p. 90; Huici; v. IPP100 - 103.

التغييرات التي طرأت بعد قيام الدولة :

ينبغي ان نفرق بين مرحلتين في حياة الموحدين السياسية بعد وفاة المهدي :
اولا مرحلة تأسيس الدولة ، ثانيا مرحلة بناء الدولة . ان المرحلة الاولى هي استمرار لحياة ابن
تومرت السياسية ، فواصل خلفه عبد المؤمن قتال المرابطين حتى اسقط دولتهم ، والمرحلة الثانية
هي طور بناء الدولة وتكوين نظمها ، وفي بداية هذه المرحلة نقل عبد المؤمن الحكم الى اسرته ،
والمرحلتان مختلفتان في ظروفهما ، ومن ثم فان الصيغ التنظيمية التي صلحت للاولى ليست
بالضرورة صالحة للثانية ، فمن الطبيعي ان تشهد تنظيمات الموحدين تبديلا وتغييرا في هيكل
تنظيمها وفي مهام مؤسساتها .

هيئة اشياخ الموحديين : -----

بعد وفاة المهدي لم نعد نسمع شيئا عن اهل الجماعة واهل خمسين في مجال الحياة
العملي الا ما كان من أمر بيعتهم لعبد المؤمن^(١) . فهل قضى عبد المؤمن على الهيئتين لما
تولى الامر ؟

لقد واجه عبد المؤمن ظروفًا شاقة وعسيرة ، وما ان توفي المهدي حتى اضطرب وضع الموحدين
واختلفوا في أمر من يخلفه^(٢) ، واشتدت عليهم حملات المرابطين . فكان على عبد المؤمن ان يواجه

(١) الحلل الموسية ص ١١٨ .

(٢) الكامل ج ١٠ ص ٥٧٨ ، روض القرطاس ص ١١٦ - ١١٧ ، ١١٩ .

ذلك الضعف الداخلي وهذا الخطر الخارجي ، واشتغل بحرب المرابطين حتى قضى عليهم ، ثم واجه ثورات القبائل البربرية التي أغراها النصر الموحدى فحاولت أن تقلده . هذا فضلا عما تمتع به بقية أهل الجماعة من نفوذ وسلطان اعتمادا على اقوال ابن تومرت . فقد قتل محمد بن ابي بكر بن يكيث اخا لعبد المؤمن يدعى ابراهيم ، واراد عبد المؤمن قتل محمد ، لكن الشيخ عمر الهنتاتي وابو الحسن يوكتوت بن واكاك منعه لأن محمدا ابن أحد اهل الجماعة ، واحتجبا بقول المهدي " ان اهل الجماعة وصبيانهم عبيد هم كل من في الدنيا " . (١) وعليه كانت ظروف عبد المؤمن حتى ١١٤٨ / ٥٤٣ تتطلب تضامرا للموحدين وتستدعي ترابطهم . ونستبعد ان يكون عبد المؤمن قد سعى للقضاء على هيئتي اهل الجماعة واهل خمسين في هذه الفترة ولا سيما وانه غريب عن قبائل المصامدة . وهم عماد الثورة التي لم تبلغ غايتها بعد .

وفي هذه الفترة تولى من بقي من اعضاء الهيئتين الوظائف الكبرى في الحركة . فكان منهم القواد العسكريون مثل عمر الصنهاجي ، وعمر الهنتاتي ، ويوسف بن سليمان ، ويوسف بن وانودين ، وابن زجو ، وابن يومور ، ويخلف (٢) ، وكان منهم الولاة على ما فتح من مناطق مثل سليمان بن وانودين ، ويوسف بن مخلوف وعبد الواحد الشرقي (٣) . وكان عبد المؤمن يستخلف موسى بن سليمان على تينمئل (٤) .

(١) اخبار المهدي ص ٩٣ .

(٢) الكامل ج ١٠ ص ٥٢٩ ، ج ١١ ص ١٥٩ ، الحلل الموشية ص ١٢١ ، البيان المغرب (ط . دار الثقافة) ج ٤ ص ١٠٠ ، ١٠٤ ، و (طبعة هويس) ج ٣ ص ١٤ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٦ ، ٢٢ .

(٣) البيان المغرب ج ٣ ص ١٨ ، ٢٠ .

(٤) البيان المغرب ج ٣ ص ١٢ .

وعلى الرغم من هذا لا نستطيع ان نقول ان عبد المؤمن حافظ على وجود الهيئتين بالصورة التي وضعها المهدي ، فلو حافظ عليهما بتلك الصورة لما سكنت جميع المصادر عن ذكرها ، وربما استخلص من اعضاء الهيئتين جماعة للمشورة ، وكان يجمع الباقيين للمشورة العامة كأشياخ للموحدين واستثنى من مشورته من وقف ضده او اراد الامر لنفسه . وغرته بين المصامدة تتطلب منه دبلوماسية لبقة في تنفيذ ما يريد ، فكان عليه التدرج في خطواته ليخلو الجو لاسرته من بعده . ولهذا نرجح ان عبد المؤمن كان يسعى لالغاء الهيئتين لكيلا تنازعا الزعامة والسلطة واتبع طريقا متدرجا الى ذلك . فلم يدعم وجود الهيئتين وحفظ المراكز لاعضائهما . فطريقته كانت اهمال التنظيم والمحافظة على افراده حتى لا يتكتلوا . وهذا التحول في سياسة عبد المؤمن عن تنظيمات المهدي ربما ألقى بعض الضوء على ثورة ابن ملويه أحد أهل الجماعة عام ٥٢٧ / ١١٣٣ (١) .

وبهذه الصورة نستطيع ان نفهم صمت المصادر عن الهيئتين من جهة ، ومن جهة اخرى نجد تفسيراً للهيئة التي ظهرت ابتداءً من بعد فتح مراكش ، وظل فكرها يتردد في المصادر ، وهي هيئة أشياخ الموحدين . وقد كان هؤلاء الأشياخ يقومون بكثير من الاعباء التي كان يقوم بها أهل الجماعة واهل خمسين ، الامر الذي يرجح انها كانت البديل لهما .

ولقد كان دور هؤلاء الأشياخ استشاريا في المقام الاول ، وكان الخلفاء لا يعلنون حربا او يستعدون لها ، ولا يخوضون معارك الا بعد استشارتهم ، وكثيرا ما كان الخلفاء يلتزمون بمـا يشيرون به (٢) .

(١) Huici ; t.1, p. 102

(٢) المن بالامامة ص ٢١٨ - ٢٢٠ ، ٤٩٤ ، ٤٩٨ ، ٥٠٢ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١١٣ ،

ولما ولي عبد المؤمن أبناءه الولايات (١١٥٦/٥٥١) بعث معهم بعض اشياخ الموحدين
مستشارين^(١) . واحتل بعض اشياخ الموحدين الوظائف تنفيذية عليا . فقد كان منهم بعض
الوزراء مثل أبناء عمر الهنتاتي وأبناء ابن جامع^(٢) ، وبعض الولاة مثل عمر الهنتاتي ويوسف
ابن سليمان^(٣) ، وبعض القادة العسكريين^(٤) .

ومنذ ايام عبد المؤمن كانت منزلة اشياخ الموحدين عالية ورفيعة ، فهم اول من يعرض من
اصناف الموحدين ، وكانت لهم التقدمة على سائر الاصناف^(٥) . ويبعث الولاة من بني عبد المؤمن
اليهم الاخبار المتجددة^(٦) . وفي طور ازدهار الدولة وقوة شخصية خلفائها وجدوا مجالا

(١) نظم الجمان ص ١٣٢ .

(٢) المعجب ص ٢٦٢ ، المن بالامامة ص ٤٢٠ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٨٨ ، ١٤١ ،
روض القرطاس ص ١٥٧ .

(٣) البيان المغرب ج ٣ ص ٣٨ - ٣٩ .

(٤) راجع المن بالامامة ص ١٨٢ ، ١٩١ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٤٩ ، ١٢٥ .

ويكفي ان نراجع اعمال عمر الهنتاتي انظر رسائل موحديّة ص ١٢٣ - ١٢٥ ، المعجب ص ٢١٣ ،
الكامل ج ١١ ص ١٥٦ - ١٥٧ ، روض القرطاس ص ١٢٦ .

(٥) المن بالامامة ص ٤١٠ ، ٤٥٧ - ٤٥٨ .

(٦) المصدر ذاته ص ٣٩٠ - ٣٩٢ .

للتنفذ ولكنه لم يصل الى درجة التسلط ، ويبدو ان رضى الاشياخ كان عاملا مهما في تولية الخلفاء في ذلك الدور من اطوار الدولة فقد علق ابن صاحب الصلاة على انتصارات يوسف بن عبد المؤمن على ابن هشك فقال : " وكان هذا سببا في خلافته لأنه نال رضى أشياخ الموحدين " (١) .
وكان الاشياخ أول ما يبائع الخلفاء .

ونتيجة لسابقة قبائل هؤلاء الاشياخ في الدعوة ، ثم اخلاصهم للخلفاء الاول من بني عبد المؤمن نال هؤلاء الاشياخ حظوة كبيرة ودرجة رفيعة ، فتمكنوا من مقاربات الدولة ، حتى خشيهم الناصر ، فنكبهم قبل موقعة العقاب ، وكان ذلك من اسباب الهزيمة (٢) . ولكن تلك النكبة لم تؤثر في قوتهم ، ولما توفي الناصر ، وتعاقب حكام ضعفاء تسلط هؤلاء الاشياخ ، فكان الامر والنهي بأيديهم ، وصار أمرهم كالإثراك مع بني العباس (٣) ، حتى اضطر العامون لالغاء رسوم الدولة جملة واحدة ، وابطال المهديّة ، في محاولة للقضاء على تسلطهم وتنفيذهم .
ومن دراسة المعلومات التي تيسرت لنا عن هيئة اشياخ الموحدين خرجنا بالنتائج الآتية :
أولا : لم يكن جميع الاشياخ في درجة واحدة من التميز . وقد كان ابناؤا اهل الجماعة وأهل خمسين اكثر حظوة من غيرهم من ابناؤا سائر الموحدين (٤) ، الامر الذي يؤكد ما ذهبنا اليه من ان

(١) البيان المغرب ج ٣ ص ٥٣ .

(٢) المصدر ذاته ج ٣ ص ٢٤٠ - ٢٤١ ، روض القرطاس ص ١٦٩ .

(٣) روض القرطاس ص ١٦٣ .

(٤) المن بالامامة ص ١٤٨ ، ٣٢٤ ، ٣٩٩ - ٤٠٠ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٨٥ ،

الكامل ج ١١ ص ١٨٦ .

• هيئة الاشياخ هي استمرار للمجالس الاولى

ثانيا : جل من تردد اسمهم من اشياخ الموحدين كانوا من هنتاة وأهل تينمطل ، ويبدو أن تمثيلهم

القوى في هيئة اهل خمسين جعل عبد المؤمن يتحالف معهم ، فلما آل الامر اليه اعتمد عليهم .

ثالثا : لم تتردد اسماء من هرغة بين أشياخ الموحدين ، والظاهر أن محاولة اخوى المهدي

للثورة على عبد المؤمن دفعت عبد المؤمن الى ابعاد اشياخ هرغة عن المراكز الامامية في الدولة ،

ولكن هرغة كقبيلة ظلت تعرض اول قبائل الموحدين في التمييز (العرض) لانهم قبيل المهدي .

رابعا : ظهر بين اشياخ الموحدين رجال من غير القبائل الست التي قام عليها الامر اول مرة ،

ونخص بالذكر قبيلة كوميه وهي قبيلة عبد المؤمن .

ومن الحقائق هذه يتضح ان فكرة الوراثة في الخلافة رافقتها وراثة في اختلال المراكز الممتازة

في الدولة ، وخير ما يصور ذلك الحظوة التي نالها ابناء اهل الجماعة واهل الخمسين .

وأثرت الاحداث السياسية على مراكز القبائل فمن والى بني عبد المؤمن ارتفع ومن عاداهم انخفض .

ولكن الهيئة الجديدة التي ضمت ممثلي القبائل للمشورة كانت اكثر استيعابا للقبائل التي دخلت

في الامر فيما بعد واخلصت لبني عبد المؤمن . ويبدو ان تكوين الهيئة الجديدة كان لغرض استيعاب

غير المصامدة ايضا في المشورة . فصدف عبد المؤمن عن الهيئة الاولى لانها ارتبطت بتمثيلها

للمصامدة على الغالب . وقد تم التحول عن الهيئة القديمة الى الجديدة فسي تدرج وبطء شديدين

ما جعل المؤرخين ~~يقولون~~ يبغفلون أمره ولا يذكرونه . وأغلب الظن ان هذا التدرج البطيء

كان نتيجة للوضع الشاذ الذي وجد عبد المؤمن نفسه فيه . لقد كان عبد المؤمن غريبا في المجتمع

الذي كان يحكمه ، وهذه الغربة هي التي قادته الى استجلاب قبيلته الى المغرب فيما بعد . وسبب

من هذه الغربة كان يتأنى كثيرا في اتخاذ القرارات وتنفيذها ، وعندما ينفذها يتبع دبلوماسية لبقة في غير مضعف . وهذه الدبلوماسية وذلك التدرج حالا دون وقوع ردة فعل عنيفة ضد التغيير .

ان هيئة اهل خمسين كانت تلائم ظروف الموحدين في بداية امرهم ، لما كانت قبائلهم قليلة العدد ، ومتجانسة الاصل ، وتحصرهم رقعة من الارض صغيرة . أما بعد الانتصار وقيام الدولة فقد ضم الموحدون أراضي شاسعة ، سكنتها قبائل متعددة ومتباينة ، فكان على اولي الامران يحدثوا تغييرا يتلاءم والظروف الجديدة ، فكانت هيئة اشياخ الموحدين خيرا ما يناسب الوضع الجديد ، ان لا يحصرها عدد ولا يجدها نوع . وساعد وجود هيئة اشياخ الموحدين في تكوين هيئات استشارية على مثالها فظهرت هيئة اشياخ العرب ، وهيئة اشياخ الجند الاندلسيين . وقد تردد ذكر الهيئتين خلال الاعمال الحربية وسنفضل القول عنهما في النظام السياسي .

ان اهل خمسين كمجلس تطور الى هيئة جديدة ، ولكن اهل الجماعة كمؤسسة تنفيذية لم يعد الخلفاء بحاجة اليها بعد قيام الدولة وتنظيمها ، ان الدواوين المختلفة اصبحت تشرف على تنفيذ الاوامر الصادرة عن السلطة السياسية . ومن هنا بدأ يظهر واضحا وجليا الفرق بين تنظيمات الموحدين كدعوة ونظم الموحدين كدولة ، غير ان تنظيمات الدعوة هي التي كانت تمد نظم الدولة بالرجال الذين يقومون بالاعباء فيها .

الطلبية : =====

وضحنا اثر الاوضاع التي استجدت بعد وفاة المهدي على تنظيمات الموحدين التنفيذية

والاستشارية ، فهل اثرت تلك الظروف على تنظيم الدعوة - الطلبة - ؟

في بداية الامر واصل عبد المؤمن سياسة المهدي فأرسل الطلبة دعاة الى القبائل (١) .
وسوى هذا لا تذكر المصادر عنهم شيئا خلال الفترة الاولى من حكم عبد المؤمن حتى فتح مراكش ،
وبعد هذا التاريخ توفرت معلومات أولية عن دور الطلبة لاسيما من الرسائل الرسمية . وأهم الرسائل
في هذا الصدد تلك الرسالة التي ارسلها عبد المؤمن الى طلبة الاندلس سنة ١١٤٨ / ٥٤٣ (٢) ،
ومن رسالة اخرى ارسلها الى طلبة هنهاجة تأسفرت تبين لنا أنه قد بعث الرسالة الاولى الى
جميع جهات الموحدين (٣) . ورسالة عبد المؤمن تبين دور الطلبة في المسؤولية التربوية والعلمية
والادارية والعسكرية والقضائية وفي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . ولا ريب في ان هذا تحول
كبير في الدور الذي قام به الطلبة بعد قيام الدولة عن الدور الذي اضطلعوا به في أيام المهدي .
وربما دفع عبد المؤمن الى توسيع دور الطلبة أمران :
أولا ان قيام الدولة وسيطرتها على منطقة واسعة أوجب عزل كثير من موظفي المرابطين واستبدال
الموحدين بهم ، وتربية الطلبة الخاصة وعلمهم أهلام لتبوء تلك المراكز .
ثانيا ربما هدف عبد المؤمن من تولية الطلبة في وظائف كثيرة تقليل الاعباء عن من بقي من أهل
الجماعة وأهل همسين وظل وفيا مخلصا للخليفة .
ويجب ألا نبالغ في تصور تلك المسؤوليات ، وقد لا تكون غير مسؤوليات صغرى ، إذ ان كثيرا من
أهل الجماعة وأهل خمسين قد تولوا في هذه الفترة مسؤوليات قيادية ادارية وعسكرية كما سبق وبيننا ،

(١) يذكر ابن القطان ان عبد المؤمن سار في حملة على بني بيقز عام ١١٣٥ / ٥٢٩ لانهم قتلوا احد
الدعاة انظر نظم الجمان ص ٢١٢ .

(٢) راجع الرسالة في نظم الجمان ص ١٥٠ - ١٦٢ .

(٣) رسائل موحدية ص ٦ .

وتقلصت هذه المسؤوليات بعد ان جعل عبد المؤمن الحكم وراثيا في عقبه ، والمعلومات المتوفرة تصور دور الطلبة الغالب في المجال العسكري والذي يؤكد صحة ما ذهبنا اليه ان اسماء الطلبة كانت تثبت في زمام العسكرية للمواساة (١) .

وقد تواترت الاخبار عن مسؤولياتهم العسكرية في الجيش والاسطول . وكان الطلبة يشاركون في قيادة الجيش في منطقتهم (٢) ، وازا أراد الخلفاء تسيير حملة الى جهة ما كانوا يستشيرون طلبة تلك الناحية (٣) ، وازا ما بعثوا قائدا من الحضرة اليها كانوا يطلبون من طلبتها التعاون معه (٤) . وربما اخذوا رأيهم في المنشآت ذات الطابع العسكري ، فقد اشرك عبد المؤمن طلبة غرناطة واشبيلية في اللجنة التي كلفها بالاشراف على بناء مدينة جبل الفتح لتكون قاعدة للاعمال الحربية في الاندلس (٥) .

وعندما نقول بمشاركة الطلبة في قيادة الجيش لا يعني ذلك أن القيادة الاولى كانت لهم . لقد كانت القيادة العليا في الولاية لواليتها ولكنه قد يستنيبهم في قيادة بعض الحملات (٦) ، وكانت القيادة خلال الحملات العسكرية لمن تعينه الحضرة موثق يوكّل امر حملة فرعية الى بعض الطلبة (٧) .

-
- (١) المن بالامامة ص ٢٠٨ .
 - (٢) رسائل موحدية ص ٧٤ ، ٨٠ ، ١٠٢ ، ١٧٤ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ .
 - (٣) المصدر السابق ص ١٤٧ .
 - (٤) المصدر ذاته ص ٣٧٩ .
 - (٥) رسائل موحدية ص ٩٧ / ٩٨ ، المن بالامامة ص ١٣٨ ، ١٣٩ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٤٤ - ٤٣ .
 - (٦) المن بالامامة ص ١٤٧ - ١٤٨ .
 - (٧) رسائل موحدية ص ١٠٢ .

أما الاسطول فقد كان اشرف الطلبة عليه اكبر من الجيش . فالطلبة هم المشرفون عليه ،
وهم الذين يعدونه ويقودونه ويسمون بطلبة الاسطول (١) .

والاشارة الوحيدة التي وقفنا عليها وتتعلق بمسؤولية الطلبة الادارية - بعد أن ولى عبد المؤمن

ابنه عهده - هي تعيين المنصور لطلبة للاشراف على أمور قفصة بعد أن استردها (٢) (١١٨٢/٥٨٣) .
وهي اشارة عامة والامور قد تكون عسكرية الطابع .

وهناك اعتراض هام على النتيجة التي وصلنا اليها عن مسؤولية الطلبة بعد اعلان الحكم الوراثي ،

ولرب قائل يقول ولكن الرسائل التي بعثها خلفاء عصر الازدهار كانت موجهة الى الطلبة وهي تتضمن

سياسة الدولة الرسمية في شتى ضروب الحياة والناحية العسكرية فرع واحد منها ، فكيف يصح استنتاجنا

والرسائل بين أيدينا ؟

وللاجابة على هذا التساؤل ينبغي ان نبين أمرين :

أولا : ان الرسائل المتعلقة بالمسائل الادارية كانت أغلب قبل اعلان الحكم الوراثي ، أما بعده فقد

كانت اغلبية الرسائل تدور حول اعلام بنصر عسكري ، أو قضاء ، على فتنة ، او توجيه في أمر عام ، أو حض

على أمر بمعروف أو نهى عن منكر .

ثانياً : لم توجه الرسائل الى الطلبة وحدهم فقد خوطب بها الاشياخ والاعيان والكافة وقد جاء الطلبة

على رأس المخاطبين وربما علمهم السابق الذي نالوه في حياة المهدي جعلهم أول المخاطبين .

ومن هنا نرجح أن غالبية الرسائل قصد منها الدعاية لاعمال الدولة ، والتركيز على الامر بالمعروف

(١) رسائل موحدية ص ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٧ .

(٢) المصدر ذاته ص ٢١٥ .

والنهي عن المنكر . ولما كان الطلبة اول المخاطبين فاغلب الظن انهم قاموا الى جانب مهامهم العسكرية بواجبات الدعاية لأعمال الدولة ، وبفروض الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فباشروا دور المحتسب في المجتمع الذي وجدوا فيه . ومما يؤكد ما ذهبنا اليه أنه لم يرد ذكر الحفاظ - فيما نعلم - بين من بعثت اليهم الرسائل ، وقد اشارت الروايات الى وجود الطلبة جنبا الى جنب مع الحفاظ في عدد من المناسبات الامر الذي يدل على ان تنظيم الطلبة لم يبلغ بعد قيام تنظيم الحفاظ الذي تولى الدور الاو اري الاول ، والقيادة العسكرية العليا . واذ اقام الطلبة بتصرف مسؤوليات ثانوية بعد اعلان الحكم الوراثي فان كثيرا من المسؤولين الكبارى تولوا نمط جديد من الطلبة تكون من " الحفاظ " وطلبة الحضرة "

الحفاظ :

لم تذكر الروايات تاريخ قيام هذا التنظيم ، ولكننا نستطيع أن نحدد ذلك في شيء من الدقة . لقد روى أن أبناء عبد المؤمن كانوا بين هؤلاء الحفاظ ، ولما أتموا دراستهم ولاهم والدهم الولايات (٢) . في ربيع الاول ١١٥٦/٥٥١ (٣) ، وكانت مدة الدراسة ستة أشهر (٤) ، وعلى هذا فان تاريخ بداية هؤلاء الحفاظ كان سنة ١١٥٥/٥٥٠ على أبعد الاحتمالات . والى جانب أبناء عبد المؤمن كان فيهم أبناء اهل الجماعة واهل خمسين واهل الدار ، اذ تشير الروايات فيما بعد الى حفاظ اهل الجماعة وحفاظ اهل خمسين واهل الدار (٥) وانتخب عبد

(١) المن بالامامة ص ١١٨ - ١١٩ ، ١٤٨ ، ٤٥١ .

(٢) الحلل الموشية ص ١٢٥ - ١٢٦ .

(٣) رسائل موحدية ص ٦٦ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٣٤٤ .

(٤) نظم الجمان ص ١٤٠ .

(٥) على سبيل المثال انظر اخبار المهدي ص ٤٨ ، المن بالامامة ص ٤٠٠ .

المؤمن نجباء الاولاد من المدن مثل اشبيلية وقرطبة وفاس وتلمسان (١) . واجتمع له نحو ثلاثة آلاف صبي (٢) ، وكان عدد الذين توجهوا من اشبيلية وحدها خمسين صبيا (٣) . ويحصر صاحب كتاب الانساب الحفاظ في قبائل الموحدين الاولى (٤) غير ان صاحب الحلل الموشية - وروايته اكثر استفاضة من غيره في هذا الموضوع - يذكر ان هؤلاء الصبية كانوا من المصامدة وغيرهم (٥) ، وهذا ما تؤيده اسماء عدد من الحفاظ من القبائل الاخرى تولوا اعباء الحفاظ مثل الولاية على جهات بعض الولايات ، ونخص بالذكر كوميه (٦) . وتحرى عبد المؤمن ان يكون الصبية في سن متقارب لتسهل سرعة الحفظ عليهم ، وتيسر عملية تربيتهم في وقت واحد ، فجاءوا وكانهم أبناء ليلة واحدة (٧) . واختار لتعليمهم خيار اشياخ البلاد من الفقهاء والطلبة والكتاب والشعراء (٨) . واشرف بنفسه على تربيتهم وكان يجلس

(١) نظم الجمان ص ١٤٠ .

(٢) الحلل الموشية ص ١٢٥ .

(٣) المصدر السابق ص ١٣٩ .

(٤) اخبار المهدي ص ٤٨ .

(٥) الحلل الموشية ص ١٢٥ .

(٦) انظر البيان المغرب ج ٣ ص ١١٩ .

(٧) الحلل الموشية ص ١٢٥ .

(٨) نظم الجمان ص ١٣٣ .

اليهم كل يوم جمعة (١) .

ووضع لهم منهجا يجمع بين التربية النظرية والعملية ، فدرسوا تواليف المهدي في التوحيد والفقہ ، والقرآن ، وصحيح مسلم (٢) . ويقول أشياخ أنهم درسوا عدة كتب في ادارة الولايات (٣) . وفي التربية العملية أخذوا " يوما بتعليم الركوب ويوما بالرمي بالقوس ويسوما بالعموم في بحيرة صنعها [عبد المؤمن] خارج بستانه " (٤) وفي تلك البحيرة علمهم التجذيف على قوارب ~~تطير~~ وزوارق صنعها لتلك الغاية . وكانت سائر نفقاتهم عليه (٥) .

وواضح من هذا المنهج الدراسي ان عبد المؤمن أراد ان يخرج رجالا يلمون بالافكار الاساسية للدعوة الموحدية ليحتلوا الوظائف الكبرى في الادارة والجيش والاسطول فعزل اشياخ المصامدة عن ولاية الاعمال والرئاسة ، وابقاهم للمشورة ، وعين هؤلاء الحفاظ مكانهم ، فتردد ذكرهم في القيادة العسكرية (٦) ، وولاية الولايات (٧) أو أقسام منها (٨) في مختلف اطوار دولة الموحدين . وهذا

(١) المصدر السابق ص ١٢٥ .

(٢) نظم الجمان ص ١٣٣ ، ١٤٠ ، الحلل الموشية ص ١٢٥ .

(٣) تاريخ الاندلس ص ٣٠٢ .

(٤) نظم الجمان ص ١٣٢ ، الحلل الموشية ص ١٢٥ .

(٥) المصدران ذاتهما ص ١٤٠ ، ص ١٢٥ .

(٦) المن بالامامة ص ١٨٢ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ - ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٨٤ .

(٧) المن بالامامة ص ١٢٦ - ١٢٧ ، ٣٩٠ .

(٨) المصدر ذاته ص ٣٣٦ ، ٣٧٧ ، ٣٩٢ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١١٩ ، ١٥٣ ، ٢٣٥ .

ما يحملنا على اهمال رواية ابن القطان اذ يقول أن طلبة اشبيلية رجعوا الى آبائهم^(١) الا اذا كان الرجوع أمرا مؤقتا أو كان العدد في بداية الامر اكبر من حاجة الدولة وربما استوعبوا نسي العمل في وقت آخر .

ومن الاعباء التي قام بها هؤلاء الحفاظ يتضح ان من أطلق عليهم " صغار الطلبة " ^(٢) ربما قصد بداية نشأتهم لا تعيين وظيفتهم . وكيف ما كان الامر فأن عبارة " صغار الطلبة " توهم ان هؤلاء الحفاظ من أقل الطلبة درجة وقد كان الواقع بخلاف ذلك . والراجح ان كلمة " حافظ " جاءت من حفظ موطأ ابن تومرت وعقائد^(٣) .

لقد هدف عبد المؤمن من تنظيم الحفاظ تولية ابنائه الأمر ، وتعيين من يثق فيهم الولايات . وهذا تحول خطير في سياسته ، وتعديل كبير في مراكز تنظيمات الموحدين فما هي البواعث عليه . واضح من تاريخ نشأة هيئة الحفاظ ، أن ذلك جاء بعد اعلان الحكم الوراثي ، وثورة اخوي المهدي ، الامر الذي يدل على ان عبد المؤمن أراد ان يحدث تغييرا جذريا في ادارة الدولة ، وكان عليه ان يبدأ اولا بتنظيمات الموحدين ، ويخرج جيلا . ولاؤه له أولا وأخيرا . ولكيلا يثير حفيظة الموحدين أولى السبق والفضل جعل أبناءهم ضمن الحفاظ . ويبدو ان فساد بعض عناصر الموحدين أعطى عبد المؤمن فرصة لتبرير التغيير فإشار الى هذا الفساد في خطابه الى طلبة الاندلس - المشار اليه آنفا - اذ يقول " وقد اتصل بنا . . . ان من لا يتقي الله تعالى ولا يخشاه . . . يتسلطون بأهوائهم على الاموال والابشار . . . ويستحلون حرمة المسلمين من غير حلها ويسارعون الى نقض الشرع . . . " ^(٤) .

(١) نظم الجمان ص ١٤٠ .

(٢) المصدر ذاته ص ٢٨ ، الحلل الموشية ص ٨٩ .

(٣) راجع المن بالامامة ص ٢٩٤ ، ٢٩٩ .

(٤) نظم الجمان ص ١٥٣ - ١٥٤ .

وهكذا مع تغير الاوضاع السياسية تبدلت تنظيمات الموحدين ، وازا قام أمر هيئة أشياخ الموحدين على الوراثة فتولى ابناءً أولى السبق والفضل من الموحدين مكانهم فلا نعلم الحال بين الطلبة الذين احتلوا وظائف صغرى بعد ظهور الحفاظ . اما الحفاظ فواضح من المجموعات التي ذكرناها بينهم ان عبد المؤمن راعى مبدئين : الوراثة والمؤهلات : الوراثة في حالة أبناءه وأبناء أهل الجماعة وأهل خمسين وأهل الدار ، والمؤهلات في حالة نجباء الاولاد المختارين من مختلف الولايات . ولا نعلم ان تربية حفاظ جدد قد حصلت والراجع ان ابناء الحفاظ توارثوا مكانة آباءهم بعد وفاتهم .

طلبة الحضرة :
=====

لم يكن تقلص مهام الطلبة بسبب تشكيل تنظيم الحفاظ فحسب ، ان يبدو أن المهمة العلمية قد انتقلت من طلبة الموحدين الى عنصر جديد بعد فتح مراكش بأمد قصير .
لما استقر الامر لعبد المؤمن بعث يستجلب العلماء من أهل كل فن ، فجاءه العلماء والفقهاء والشعراء والفلاسفة والخطباء ، ونزلوا حضرته ، واستقروا فيها ، وتفريقا لهم عن طلبية الموحدين ساهم طلبة الحضرة واقتدى خلفاؤه به وساروا على نهجه^(١) فحرصوا على تنمية الهيئة الجديدة .
ويبدو أن تكوين هذه الهيئة كان مظهرا من مظاهر الملك ، وكانت بداية طلبية الحضرة بسيطة ، ووضعهم ضعيفا ، ولم يدخلوا نظم الدولة ولا تنظيمات الحزب ، يذكر ابن القطان في مكارم عبد المؤمن "انه ... أحسن بضعف طلبية أهل

(١) المعجب ص ٢٠٠ - ٢٠١ ، ٣٤٢ ، وعن ضم شخصيات تميزت بالعلم الى مجالس "طلبة

الحضر" (اختصار القدح ص ١٣٨ ، الاحاطة ج ١ ص ١٩٠) .

مجلسه المکرم من طلبه الحضرة منهم ابو محمد المالقي وغيره فقال لأشياخ الموحدين اعزهم الله تعالى
هؤلاء طلبه غرباء ضعفاء ، والاقلال عليهم ظاهر ، فنرى ان ندفع اليهم مالا نقارضهم فيه ، ويتجرون
به ، ويردون السلف لنا ، فقالوا : نعم ، فأسلفهم من مال المخزن ألف دينار لكل واحد منهم فاكسبوا
منها ، وكانت أصل غناهم " (۱) . ولكن هذا الوضع بدأ يتبدل ويتغير مع مر الايام فاتسع عمل هؤلاء
الطلبة لما انتحلوا التوحيد مذهباً ، فصاروا جلساء للخلفاء في مجالس علمهم والمشرفين على تدريس
العلم ونشره ، ولا سيما ، التوحيد على مذهب ابن تومرت (۲) . وقد اوكلت اليهم مهمة الدفاع عن مذهب
ابن تومرت التوحيدى فطلبة الحضرة هم الذين وجهوا التهم الى ابن رشد الحفيد بجامع قرطبة
واشهدوا الملاء على مرقه من الدين (۳) . هذا فضلا عما كانوا يقومون به من خطابة في مناسبة زيارة
اوبيعه او تجديدها (۴) .

وكان هؤلاء الطلبة منظمين تنظيماً دقيقاً وعلى قمة ذلك التنظيم شيخهم أو مزوارهم (۵) وهو

-
- (۱) نظم الجمان ص ۱۳۷ - ۱۳۸ .
 - (۲) المن بالامامة ص ۲۲۸ - ۲۳۰ .
 - (۳) البيان المغرب ج ۳ ص ۲۰۲ ، عنان ق : ۲ ص ۲۲۴ - ۲۲۵ نقلا عن مخطوط الذيل
والتكملة لابن عبد الملك المراكشي .
 - (۴) المن بالامامة ص ۱۵۰ ، ۳۵۲ ، البيان المغرب ج ۳ ص ۱۲۱ .

حلقة الوصل بينهم وبين الخليفة^(١) . والراجح أن طلبة الحضرة كانوا على درجات ، فمنهم الاشياخ ومنهم العموم ، وربما كان ابن صاحب الصلاة يشير الى ذلك فيقول عن يوسف " وقرب أشياخ طلبة الحضرة " (٢) . وربما كان لهم دار اجتماع خاصة يفحصون فيها العلماء الوافدين على الحضرة^(٣) . ونال طلبة الحضرة مكانة عالية في الدولة ، فحباهم الخلفاء بالعطاء الكثير والعمال الوفير^(٤) ، وبسبب من هذه الخطوة حسدهم الموحدون حتى قال المنصور " يامعشر الموحدين انتم قبائل فمن نابه منكم أمر فزع الى قبيلته ، وهؤلاء - يعني الطلبة - لا قبيل لهم الا أنا : مهما نابهم أمر فأنا ملجؤهم والي فزعهم والي ينتسبون " وعلق المراكشي " فعظم منذ ذلك اليوم أمرهم وبالغ الموحدون في برهم واکرامهم " (٥)

(١) راجع البيان المغرب ج ٣ ص ٣٧٠ ، عنوان الدراية ص ٢١ .

(٢) المن بالامامة ص ٢٣٤ (دراية راجع الى ص ٢١) .

(٣) يذكر الفبريني عرضا بيت الطلبة في مراكش (عنوان الدراية ص ١٦١) وقد لا يكون الطلبة الا طلبة الحضرة .

(٤) المعجب ص ٢٠٠ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٢١ .

(٥) المعجب ص ٢٨٠ .

وهذا النص على جانب كبير من الاهمية فهو يوضح ان طلبه الحضر كانوا من غير الموحدين ،
وان بدأ تنظيمهم أيام عبد المؤمن فان نفوذهم أصبح واسعاً في عهد خلفائه حتى خشيهم الموحدون
فتشكوا من ذلك .

وسد لنا على مكانة هذا الجهاز الجديد ما لقيه شيخ طلبه الحضر من بر وتكرمة ، فان أبا
الحسن الاشبيلي كان أول من يدخل على يوسف وآخر من يخرج ، وكان يشفع في الغرباء والطلبة ^(١) .
وكان خلفه ابو محمد عبدالله الملقب عند يوسف في هسلاخ وزير وأمين ^(٢) . وقد يكون شيخ طلبه
الحضر في اللجان التي تمتحن العمال الخائنين ^(٣) .

ويروى صاحب كتاب الانساب ان الناصر اسقط عن طلبه الموحدين السلاح ^(٤) ، ويفرق صاحب

كتاب الانساب بين طلبه الموحدين وطلبة المصامدة في روايته ولا تعني عبارة طلبه الموحدين عنده
الا طلبه الحضر . وروايته هذه تدل على ^{أن} " طلبه الحضر " كانوا يعملون في الجيش الى جانب وظيفتهم
العلمية ، غير ان العمل العسكري اسقط عنهم في أيام الناصر ، ومن ثم صار العلم وظيفتهم الاولى
والاخيرة .

ان تكوين هذه الهيئة يمثل أصدق تمثيل محاولة الموحدين لتغيير تنظيماتهم لتتلاءم مع

(١) المن بالامامة ص ٢٢٩ ، ٤٢١ .

(٢) المصدر ذاته ص ٤١٠ .

(٣) المصدر ذاته ص ٤٥٣ .

(٤) أخبار المهدي ص ٤٨ .

الظروف المتجددة المتغيرة . ومنذ البداية ، حاول عبد المؤمن ان يستوعب العلماء من غير
الموحدين ، ليرفع من قدر دولته في نفوس الناس ، ولا سيما وان اهل العلم تمتعوا بمكانة رفيعة
في المجتمع وبخاصة في الاندلس^(١) . ومع الزمن دخلوا تنظيمات الموحدين ، وموآهلهم الى ذلك
العلم الذي درسوه والعلم كان الركيزة الاولى للمدعوة الموحدية ثم الدولة .

الموقف من غير الموحدين

ان خطة استيعاب اهل العلم من غير الموحدين في التنظيمات الموحدية تطرح علاقة الموحدين
بغيرهم في بساط البحث . فما هو موقفهم منهم ؟

كانت علاقة الموحدين بغيرهم في ايام ابن تومرت علاقة عداوة وحرب . وتغيرت تلك العلاقة
بعد قيام الدولة . ان الناس الذين خضعوا للحكم الموحدى ولم يعارضوا الافكار التومرتية - على
الاقل في الظاهر - استوعبهم الموحدون في نظم دولتهم دون تنظيماتهم . وتولى بعضهم القيادة
العسكرية مثل ابن خيار الجياني وابراهيم بن بزاز المسوفي وزيري بن ماخوخ الزناتي^(٢) ، ويوسف
بن مردانيش وابن همشك وابن عزون^(٣) ، وأشياخ العرب الهلالية^(٤) . وقام بعضهم

(١) نفع الطبيب (ط . الرفاعي) ج ٢ ص ١٠٦ .

(٢) رسائل موحدية ص ٩٧ - ٩٨ ، المن بالامامة ص ١٣٨ - ١٣٩ ، البيان المغرب (ط . دار

الثقافة) ج ٤ ص ١٠٠ ، ط . هويس ج ٣ ص ١٩ - ٢٠ ، اعمال الاعلام (ط . ليفي) ص ٢٦٥ .

(٣) المن بالامامة ص ٤٩٩ ، ٥٠٣ .

(٤) البيان المغرب ج ٣ ص ١٥٠ ، روض القرطاس ص ١٤٨ .

بتصرف شئون ادارية مثل أبناء ابن مراد نيش والحسن بن علي صاحب المهدية ، وعلي بن الرند
الثائر بقصة (١) . وواضح أن كل هؤلاء كانت لهم مكانة عالية في مجتمعهم قبل أيام الموحدين
فاستيعابهم في نظم الدولة لم يكن الا بقصد التآلف حيننا والاستفادة من خبراتهم حيننا آخرًا .
فالمصلحة - والحالة هذه - هي التي وجهت سياسة الموحدين في هذا الاتجاه وكانت هي باعث
التغيير .

ان التغيير الذي طرأ على مفهوم " التوحيد " بعد فتح مراكش ساعد على استيعاب العناصر
التي خضعت لسلطة الدولة الموحدية . فقد كان مفهوم " التوحيد " دينيا في بداية الامر ولكن
بعد قيام الدولة غداً مفهوم " التوحيد " سياسيا اذ اعتبر الخلفاء منذ عهد عبد المؤمن ان
الخضوع لسلطة الدولة هو التوحيد (٢) و الخروج على الخلفاء مروق منه (٣) وقد شرح عبد المؤمن
هذا المفهوم الجديد في رسالته التي بعث بها الى الولايات سنة ١١٤٨ / ٤٤٣ فقال للطلبة
والاشياخ " ولتعلموا - رعاكم الله - أن من شملته كلمة التوحيد في العهد القريب أو البعيد ،
في مضمار واحد من العدل محمولون ، وانكم عن كل من هنالك مسئولون ، ولقبط الموحدين بيننا
وبينهم جميعا " (٤) .

(١) الاستبصار ص ١٥١ ، ١٥٦ ، الكامل ج ١١ ص ٢٤٥ ، نهاية الارب ص ٢١٣ .

(٢) هناك امثلة كثيرة راجع رسائل موحدية ص ١٥٢ ، اخبار المهدي ص ١٢٠ ، المن بالامامة ص ١٧٥ .
٣٧٧ ، ٣٨٨ - ٣٩٠ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٨٢ ، العبر ج ٦ ص ٥١٩ .

(٣) رسائل موحدية ص ٤٤ .

(٤) نظم الجمان ص ١٦٦ .

ورافق هذا المفهوم الجديد تغيير في ترتيب طبقات كافة الموحدين فقد قسم عبد المؤمن الموحدين الى ثلاثة اقسام اولا : السابقون الاولون الذين بايعوا الامام المهدي وصحبه وغزوا معه وصلوا خلفه وادركو البحيرة واشتركوا فيها ، ثانيا من دخل بعد البحيرة الى فتح وهران ١١٤٥ / ٥٣٩ ، ثالثا من انتظم في سلك الموحدين بعد ذلك (١) . ونلمح في هذا الترتيب الجديد للموحدين نوعا من الاقتداء بما فعله عمر بن الخطاب لما تولى الخلافة وقسم المسلمين درجات حسب سبقهم في الاسلام .

اما المسلمون الذين أبدوا عداً لافكار الموحدين ، فقد حوربوا واضطهدوا . ويكفي ان نشير الى ما لقيه اتباع المذهب المالكي من عنت ايام المنصور . فقد احرق الموحدون كتب ذلك المذهب (٢) ، وامتحنوا المشتغلين بتدريسه (٣) .

وكان حال اهل الذمة من يهود ونصارى أسوأ الاحوال ، فقد لقيوا عنتا شديدا ، وضيقا عظيما ، ولم تتعقد لهم ذمة عند الموحدين فاضطروا الى اظهار الاسلام (٤) ، ولم يجد اظهار الاسلام بعضهم فتىلا فيروى ان المنصور كان شاكا في اسلام اليهود فميزهم بلبس خاص ، ورفض الناصر الغاءه ولكنه عدله (٥) . وهذا الموقف من اهل الذمة يفسر تجاوبهم مع المأمون - الذي

(١) رسائل موحدية ص ٤٧ - ٥٥ .

(٢) المعجب ص ٢٧٨ - ٢٧٠ .

(٣) ابن شريفة ص ٢٤ نقلا عن مخطوط الذيل والتكملة لعبد الملك المراكشي .

(٤) المعجب ص ٣٠٥ ، نهاية الارب ص ٢١٧ .

(٥) المعجب ص ٣٠٤ - ٣٠٥ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٢٠٥ .

ألغى رسوم المهديّة - ثم ابنه السعيد في بداية امره (١) . وعلى الرغم من كل هذا فقد استخدم
الموحدون جندا روميا نسبة لحاجة الدولة اليهم .

ان موقف الموحدين من غيرهم لم يكن ثابتا جامدا ، وشهد تغييرا مستمرا في حالات معينة
تجاوبا مع ما استجد من ظروف وتغير من حال ، مما يؤكّد ما ذهبنا اليه من مرونة الموحدين في التكيف
مع الاوضاع المختلفة .

التربية في هذه الفترة :

ان الروح التي نفخها المهدي في اتباعه لا يمكن ان تضعف بين عشية وضحاها ، وما حدث
من ردة بعد وفاته ، كان سحابة صيف فانقشعت ، وواصل الموحدون سيرتهم الاولى . ويحدثنا ابن
عذارى عن حالهم مع عبد المؤمن فيقول : " وكان الرجل يقاتل ٠٠٠ أباه وأخاه في داره ، اذا تخلف
عن اتباع المهدي ويكفر بعضهم بعضا " (٢) .

وواصل عبد المؤمن خطة امامه وتعهد غرسه بالرى الدائم ، ولما فتح مراکش استدعى اليها
قبائل الموحدين ، وأخذهم في شيء من الشدة في امر العلم والتوحيد والقيام بالفروض الدينية (٣) ،
وعم نظام التربية على كافة الناس في دولته (٤) ، ولم يقبل من العامة بأقل من أم الكتاب وسور من
القرآن وقراءة عقيدة المرشدة وحفظها وفهمها ، وأكّد على اداء الفروض الدينية وسار خلفه

(١) المعجب ص ٣٠٤ - ٣٠٥ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٢٠٥ .

(٢) البيان المغرب (ط ٠ دار الثقافة) ج ٤ ص ٨٥ .

(٣) رسائل موحدية ص ٥٣ - ٥٤ .

(٤) انظر رسالة الفصول في رسائل موحدية واخبار المهدي .

على نهجه • ويبدو ان هذه السياسة استمرت حتى ايام يوسف المستنصر فخاص الخلفاء الموحديين بالمغرب الذي ارسل في ربيع الاول ١٢٢٠ / ٦١٢ يحض على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى اخذ العامة باعتياد المساجد ومطالبتهم بقراءة الحزب والتوحيد بالمساجد والاسواق (١) •

وراعى عبد المؤمن في تربيته للموحديين المهام التي سيكلف بها المتعلم • ان الذي طلبه من العامة غير الذي حدده للخاصة (٢) • والنظام التربوي الذي وضعه للحفاظ - ووضحناه من قبل - خير شاهد على ذلك • ان التخصص في الوظائف كان سياسة عبد المؤمن الغالبة فجاءت التربية مراعية لتلك السياسة • واذ اصعب عبد المؤمن مدرسة الحفاظ لتخريج اداريين وقادة اداريين وقادة كبار تميزوا بالعلم ، فقد شيد مدرسة في الرباط لتخريج قادة الاسطول (٣) • وربما كان هذا الاتجاه التخصصي بدأ ايام المهدي ولكن مع عبد المؤمن برز بوضوح لتشعب مشاكل الدولة واختلاف ظروفها •

لقد ذكرنا ان تربية الموحديين كانت تعتمد اساسا على عزلة شعورية ، ولا ريب في ان هذه العزلة بدأت تضعف بعد قيام الدولة لان العزلة في البداية كانت عزلة اقلية في "بحر" من الاعداء ولكن بعد قيام الدولة اصبح "الموحدون" هم اصحاب المجتمع الجديد •

(١) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٤٥ •

(٢) راجع رسالة الفصول المشار اليها آنفا •

(٣) المنوني : العلوم والآداب والفنون ص ٢١ نقلا عن مقدمة الفتح •

••• / •••

وتدريخيا بدأت العزلة تزول من النفوس، بفعل الزمن والتحضر، والانفتاح على الآخرين ،
فبدأ الايمان يضعف والشك يساور النفوس، وحدث هذا في أعلى مستويات الدولة ، وصرح
المنصور لخاصته بشكته في عصمة الامام • وان كان هذا حال الخليفة فكيف بعامة الناس •
وضعف الايمان بالفكرة هذا هو المحرك لجميع احداث دور الانحلال • ففي هذا الدور ضعف
أمر التنظيمات الحزبية والنظم الحكومية ، وهذا الارتباط بين ضعف الايمان بالفكرة في نفوس
اتباعها والاختلال في التنظيمات والنظم ظاهرة من اهم ظواهر فترة الانحلال مما يؤكد الارتباط
الوثيق بين قدرة التنظيم ونوعية الانسان •

T
124A
pt. 2

الفصل الرابع

النظام السياسي

الفصل الرابع

النظام السياسي

ان الجهاز السياسي لدولة الموحدين تكون من الخليفة ومجالسه الاستشارية .
والخليفة كان يتخذ القرارات بمشورة تلك المجالس او بموافقتها ، وتقوم المؤسسات التنفيذية
في الادارة والخطط الدينية والجيش بتنفيذ ما يقع تحت سلطاتها . وقد كان هذا النظام
هو الغالب في دولة الموحدين في مختلف اطوارها ، الا في حالات ضعف خليفة
من الخلفاء واستبداد آخرين بسلطاته . فما هي الخلافة الموحدية وما هي مجالسها
الاستشارية ؟

الخلافة :

تعددت الدول الخلافية في العالم الاسلامي منذ القرن الرابع **بعد** الهجري/العاشر
الميلادي . وكان المغرب الكبير مهد اول خلافة منافسة لبني العباس لما نجح الفاطميون
في تأسيس دولتهم في افريقية ، وفتحوا الباب لاموي الاندلس فاعلنوا خلافتهم بعيده
ذلك . غير ان المغرب الاقصى - مركز دولة الموحدين - لم تقم فيه خلافة مستقلة ، فقد
خضع لسلطة هذه الخلافة ، او تلك . ولما تأسست فيه دولة قوية على يد المرابطين وضمت
الاندلس واجزاء من المغرب الاوسط ، لم يدع المرابطون الخلافة ، واعترفوا بسلطة
بني العباس ، وتلقب اميرهم بأمير المسلمين ،

ولم يطمح أحد منهم لامرة المؤمنين (١) .
ولما قامت الدولة الموحدية لم يعترف حكامها بخلافة العباسيين او الفاطميين ، وأقاموا
خلافة جديدة . فكيف نشأت خلافتهم ؟

نشوء الخلافة الموحدية :

قبل أن يستقر نظام الخلافة الموحدية على أسس ثابتة مرت الدولة الموحدية
بطورين : أولا دور المهدية ، ثانيا دور الخلافة . وقد كانت الخلافة شورى
في بداية عهدهم ، ولكن لما استقرت دولتهم تحولت الخلافة الى النظام الوراثي
وكل دور من هذه الاطوار تميز بخصائص معينة . ومن المفيد أن نتتبع هذه المراحل ،
ونبين خصائص كل منها .

دور المهدية :

كان ابن تومرت قبل اعلان مهديته يتلقب بالامام (٢) ، ولما أصبح
مهديا كانت الامامة نتيجة لها ، ان أن المهدي لا يكون الا اماما ، وأصبح لقبه " الامام
المعصوم والمهدي المعلوم " (٣) . ولا نجد استثناء لهذا اللقب ، الا ما يذكره ابن

(١) البيان المغرب (ط . دار الثقافة) ج ٤ ص ٢٧ - ٢٨ ، ٤٦ ، الحلل المشوية ص ٧١-٧٣

(٢) العبر ج ٦ ص ٤٧ .

(٣) لقد ركز ابن تومرت على اللقبين في كتاباته انظر أعزما يطلب ص ٤٥ ، وما بعدها

القطان من ان ابن تومرت كتب في احد وجهي لوائه "المهدى خليفة الله" (١) .
وكلمة "خليفة" هنا لا تعني الا الامامة نفسها ، لأن خلافة الله هي النيابة عنه ، والحكم
في الناس بتفويض منه ، مثل خلافة داود اذ قال له ربه " يا داود انا جعلناك خليفة
في الارض فاحكم بين الناس بالحق " الآية (٢) . فلم استنكف ابن تومرت عن لقيي أمير
المؤمنين والخلافة عن الرسول (ص) ؟

لقد عدّ ابن تومرت نفسه اماما في موكب الائمة من لدن آدم الى محمد عليهم السلام
بتفويض من الله واختيار منه ، (٣) وامرة المؤمنين أو خلافة النبي لا تكونان الا بوصية من
سلف أو اختيار من جماعة ، واذن فهو ليس بخليفة للنبي وان جاء ليجدد دينه ، وليس
بأمير للمؤمنين وان وجب عليهم السمع والطاعة له ، فهو امام باختيار من الله .
ولكن ابن تومرت لم يجعل امامته فوق مقام النبوة أو في مرتبتها ، لأن رسالته هي تبليغ
أمر الله الذي جاء به رسوله محمد (ص) ، فما أمر الله به على لسان نبيه قد أمر به ،
وما نهى عنه قد نهى عنه (٤) . ولهذا كان شعاره في لوائه الأنف الذكر هو " الواحد الله ،
محمد رسول الله ، المهدى خليفة الله " .

ولما كان المهدى معصوما من الباطل والضلال والفساد والبدع والكذب والجهل (٥)

(١) نظم الجمان ص ١٢٨ .

(٢) سورة "ص" آية ٢٦ .

(٣) أعزما يطلب ص ٢٤٣ - ٢٤٨ ، ٢٥٠ .

(٤) المصدر ذاته ص ٢٥٢ .

(٥) المصدر ذاته ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .

فقد وجبت طاعته فسي كل أمر، إذ أن سلطاته مطلقة، لا يحدها إلا الكتاب والسنة، وهو المفسر لهما^(١). واذن فالحاكم الموحدى في دور المهدي لا يختاره البشر وإنما يفوضه الله، وسلطاته مطلقة.

دور الشورى في الخلافة :

لما توفي المهدي خلفه عبد المؤمن في قيادة الموحدين . ومع عبد المؤمن بدأت الخلافة تتكون ، ومن خلال الممارسة العملية بدأ شكلها يتبلور . لقد اختلفت الروايات في الكيفية التي تم بها استخلاف عبد المؤمن . فعبد الواحد المراكشي يقول : أن بيعة عبد المؤمن كانت بوصية من المهدي بحضور أهل الجماعة وأهل خمسين^(٢) ، غير أن مؤرخي دولة الموحدين لم يذكروا شيئاً عن هذه الوصية ، ولكنهم يروون رواية لا تنفي الوصية ولا تثبتها ، فهم يقولون أن بعض أصحاب ابن تومرت (وهم يختلفون في الاسماء) بايعوا عبد المؤمن بيعة سر ، وكنتموا وفاة المهدي حيناً من الزمن . (ويختلفون فيه) ، ريثما استقر الأمر لعبد المؤمن ، فأعلنوا الوفاة والبيعة معا^(٣) . ولكن صاحب الحلل وابن خلكان وصاحب روض القرطاس في احدي رواياته يذهبون الى أن المهدي لم يستخلف أحداً

(١) ركر ابن تومرت في القصل الذي عقده عن الامامة على الطاعة في كثير من الفقرات راجع اعز ما يطلب ص ٢٤٣ - ٢٥٥ .

(٢) المعجب ١٩٤ - ١٩٦ ، ويبدو أن ابن الاثير والنويرى وابن خلدون أخذوا

هذه الرواية عنه انظر الكامل ج ١٠ ص ٥٧٨ ، نهاية الارب ص ١٩٦ ، العبر ج ٦ ص ٤٧٢ .

(٣) راجع أخبار المهدي ص ٨١ ، نظم الجمان ص ١٣٠ ، ١٦٨ ، ٢٠٩ ، البيان المغرب

(ط ٠ دار الثقافة) ج ٤ ص ٨٤ ، روض القرطاس ص ١٢٠ - ١٢١ .

ولكن أصحابه قدموا عبد المؤمن لان المهدي كان ميالا له ، وقد قدمه في الصلاة في
القناء مرضه . (١)

ونحن نرجح الرواية الاخيرة لجملة من الحجج :

أولا : ان عبد الواحد المراكشي في روايته هذه يناقض ما ذهب اليه في موضع سابق اذ يقول
عن بيعة عبد المؤمن " وكان الذين سعوا في تقديمه وهيئوا ذلك له ثلاثة ، وهم من أهل
الجماعة " (٢) فكيف يوصي المهدي لعبد المؤمن ويحضر أهل الحل والعقد من
الموحدين من أهل الجماعة وأهل خمسين ويحتاج عبد المؤمن بعد ذلك الى تمهيد ؟
اللهم الا اذا كان المهدي اشار اشارات غير قاطعة ، فأصبحت مجال خلاف وتأويل
وهذا ما يؤيد الرواية التي رجحناها .

ثانيا : لو أوصى المهدي لعبد المؤمن لحرص مؤرخو البلاط الموحدى على ذكر تلك
الوصية ، لاسيما البيهقي المؤرخ المعاصر للحدث . ويبدو ان الأمر مختلف عما ذكره
المراكشي ، فلهذا جاءت روايات مؤرخي البلاط عامة لا تنفي القضية ولا تشبها ،
ارضاء لبني عبد المؤمن الذين حرصوا على جعل خلافتهم امتدادا للمهدي بوصية منه (٣)
ثالثا : ان كتم الوفاة وبيعة عبد المؤمن سر يبعثان على الظن أن هناك خلافا بين

(١) وفيات الاعيان ج ٢ ص ٤٠٣ ، الحلل الموشية ص ١١٨ ، روض القرطاس ص ١١٦ -

١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٠ .

(٢) المعجب (ص ١٩٤) .

(٣) روض القرطاس ص ١١٩ ، وسنجد كثيرا من الشواهد في حديثنا عن نظرة الموحدين

• للخلافة

الموحدين فيمن يخلف ابن تومرت ، وهذا ما تقول به أحدى روايات صاحب روض القرطاس .
تقول الرواية " لما مات المهدي تشوف كل من أهل العشرة والخمسين للأمر ، واحبت كل
قبيلة أن يكون الأمر لها ، وتنافسوا ٠٠٠ فخافوا الاختلاف وقدموا عبد المؤمن لكونه
غريبا بينهم " (١) .

رابعا : ان عدم الاستخلاف يتلاءم مع النهج الذى سار عليه ابن تومرت في كثير من
تصرفاته ، فقد ذكرنا في غير موضع من هذه الدراسة ، أن ابن تومرت كان كثير التأسى
بافعال الرسول (ص) ، فقد توفي الرسول ولم يستخلف أحدا ، ولكنه قدم ابا بكر على
الصلاة . أليس من الجائز أن ابن تومرت قد حذا حذوه في أمر خلافته ؟

ولكل هذه الاسباب نرجح أن ابن تومرت كان يختص عبد المؤمن اكثر من غيره بالتعظيم
وخاصة بعد مقتل البشير في واقعة البحيرة ، ولما مرض قدمه للصلاة نيابة عنه . فلما توفي
المهدي ولم يستخلف أحدا ، واختلف أهل الجماعة وأهل خمسين ، رأوا أن يقدموا عبد
المؤمن لغريته فيهم ، ورضي المهدي عنه . ويبدو أن العناصر التي تشوفت للأمر
رضيت بهذا الوضع حتى تحين الفرصة المناسبة لينالوا ما فاتهم . ولهذا لم يثيروا مشاكل
لعبد المؤمن طوال فترة البيعة الخاصة وطالما لم يطلب بيعة عامة . وبدلنا على ذلك أن
عبد المؤمن لم يتلقب بالخلافة أو أمرة المؤمنين الا لما بويع البيعة العامة سنة ٥٢٧ /
١١٣٣^(٢) وبعدها ثار عليه أحد أهل الجماعة وهو ابن ملوية^(٣) ، وبعده عاميين

(١) روض القرطاس ص ١١٩ .

(٢) وفيات الاعيان ج ٢ ص ٤٠٣ ، روض القرطاس ص ١٢٢ ، العبر ج ١ ص ٤١٢ .

(٣) اخبار المهدي ص ٨١ .

حاول أشياخ هرغمة اغتيال عبد المؤمن (١) .

ان الربط بين اعلان الوفاة والبيعة العامة أمر يصعب تصديقه ، ولا سيما وأن البيعة العامة قد تمت بعد ثلاث سنوات من وفاة المهدي ، ولهذا نرجح رواية صاحب الحل من ان اعلان الوفاة تمّ في عام الوفاة ذاته (٢) ، بعد أن اتفق أعيان الموحدين على عبد المؤمن وبايعوه بيعة خاصة . وربما جاء الخلط عند الرواة بين الأمرين لأن أشياخ الموحدين الذين قاموا باعلان البيعة العامة ذكروا عموم الموحدين بوفاة المهدي حتى أبكوا الناس ، (٣) فأصبحت مناسبة يؤرخ بها .

والسؤال لم تأخرت البيعة العامة ثلاث سنين ؟ سبق ان نوهنا بشخصية عبد المؤمن وما يتمتع به من ذكاء وقوة شخصية تجلت في تغييره لتنظيمات الموحدين ، وبيناً منهجه المتدرج البطيء . فالرجل كان يعرف البيئة التي يعيش فيها ، والرجال الذين يتعامل معهم ، وكان لا يستعجل الأمور . وهنا وفي بداية صعوده سلم الخلافة يبدو انه لم يتعجل ، فبعد البيعة الخاصة عكف على كسب قلوب الموحدين فتألفهم (٤) ، واعاد الثقة الى نفوسهم بعد

(١) نظم الجمان ص ٢١٣ .

(٢) الحلل الموشية ص ١١٨ بينما يجعله البيدق وابن خلدون ثلاث سنين (أخبار

المهدي ص ٨١ ، العبر ج ٦ ص ٤٧٢) ، وابن القطان خمس سنين (نظم الجمان

ص ١٦٨ ، ٢٠٩) ، وصاحب روض القرطاس سنتين (روض القرطاس ص ١٢١) .

(٣) انظر احداث البيعة في اخبار المهدي ص ٨٥ .

(٤) الكامل ج ١٠ ص ٥٧٨ .

هزيمة البحيرة ووفاة المهدي ، فانتصر على جيوش مرابطية^(١) . ويبدو أنه لم يقدم على البيعة العامة الا بعد أن كسب هنتاته وأهل تينمطل الى صفه ، وهما المجموعتان الغالبتان في هيئات الموحدين القيادية^(٢) . ومما يؤكد ذلك أن المجموعتين ظلتا العنصر الغالب من دون سائر الموحدين في جميع اعمال الدولة . ولا غرابة بعد هذا ان يؤخر عبد المؤمن البيعة العامة حتى يهيء الجو المناسب لها ، وقد اثبتت الاحداث بعد نظره ان بالرغم من ذلك خرج عليه بعض الناس ولاسيما هرغة قبيلة المهدي . على ضوء هذا التمييز بين البيعة الخاصة والبيعة العامة نستطيع أن نفهم اختلاف الروايات في أسماء من قام بأمر بيعة عبد المؤمن ، ان ربما نسبت رواية اهل هذه البيعة الى تلك ، وفي ضوء المعلومات المتوفرة لدينا يصعب الفصل برأى قاطع في أسماء الاشخاص . فالبيعة الخاصة تمت في نطاق أهل الدار في رواية ابن القطان^(٣) ، وفي اطار أهل الجماعة

(١) البيان المغرب (ط . دار الثقافة) ج ٤ ، ص ٨٥ .

(٢) ذكر ابن الاثير ان بيعة عبد المؤمن تمت باتفاق بينه وبين عمر الهنتاتي على ان يلي الهنتاتي الأمر بعده (الكامل ج ١١ ص ٢١١ ، نهاية الارب ص ٢٠٧ - ٢٠٨) ورد هويسي هذه الرواية واعتبرها من صنع الحفصيين تبريرا لاستقلالهم بتونس ولا نستطيع ان نساير هويسي في قوله لان ابن الاثير توفي في وقت بد فيه الحفصيون يسيرون نحو الاستقلال ولم يكتمل بعد ، والواقع ان ارتباط هنتاته الوثيق ببني عبد المؤمن لم يمكن ان يكون عرضا وبدون تخطيط من الطرفين .

(٣) نظم الجمان ص ١٣٠ .

في رواية الحلل^(١) ، وفي اجتماع أهل الجماعة وأهل خمسين في رواية روض القرطاس^(٢) ولا نستطيع الفصل برأى فيها ، ولكن كل هذه الروايات تشير الى أن الامر تم على يد كبار أشياخ الموحدين .

أما البيعة العامة فقد تولاها رجال من أهل الجماعة وأهل خمسين ، على اختلاف في اسمائهم بين الروايات ، ثم وافقهم سائر الموحدين^(٣) .

ونلاحظ أن المبررات التي أعطيت لاستخلاف عبد المؤمن هي تمتعه بصفات العلم والدين والحزم والشجاعة وحسن السياسة والسبق والفضل وميل المهدي اليه واستخلافه له في الصلاة ولكونه غريباً عن المصامدة^(٤) . وواضح أنه باستثناء شرط الغزاة عن المصامدة ، وهو شرط ظرفي ، نستطيع رد ما أشرط في خلافة عبد المؤمن الى شروط أهل السنة في خلفائهم باستثناء شرط القرشية الذي سنفصله بعد قليل^(٥) .

أما عن سلطات الخليفة في هذا الطور فليس من المتوقع أن تكون مطلقة ، فقد كان بقية أهل الجماعة وأهل خمسين الى جانبه عبد المؤمن ولا يقطع رأياً بدون مشورتهم .

(١) الحلل الموشية ص ١١٨ .

(٢) روض القرطاس ص ١١٩ .

(٣) أخبار المهدي ص ٨٥ ، المعجب ص ١٩٤ ، العبر ج ٦ ص ٤٧٢ .

(٤) روض القرطاس ص ١١٦ - ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، الحلل الموشية ص ١١٨ .

(٥) قابل هذا بما في الاحكام السلطانية ص ٥ - ٢١ ، العبر

وقد أشرنا في الفصل الفأئت الى هذا الموضوع . ولكن مع تغيير وتبديل تنظيمات
الموحدين بدأ عبد المؤمن يباشر سلطات مطلقة تجلت في رسالته التي ارسلها الى الولايات
عام ١١٤٣ / ٥٤٨ بعد استقرار الملك له (١) .

التحول الى الوراثة في الخلافة

يبدو أن عبد المؤمن كان يفكر في تحويل الخلافة الى ملك وراثي قبل أن يقضي على
دولة المرابطين ، فقد عمل على تقليص نفوذ تنظيمات الموحدين الحزبية ومعاركه مع المرابطين ،
فقد عمل على كانت على أشدها ، وسعى لضم منطقة تلمسان موطن قبيلته قبل أن يفتح المغرب
الاقصى ، ولما " وَّحد " أخوه ابراهيم سنة ١١٤٥ / ٥٣٩ رفعه الى منزلة بقية أهل الجماعة
وأبنائهم حتى تدمر أحدهم وقتل ابراهيم (٢) .

ولكن عبد المؤمن لم يفصح عن هذه الرغبة لأحد من خاصته ، فقد كانت طبيعة عبد المؤمن
عدم التحدث بما ينوي أن يفعله ، وأن يترك ما يريد له ليأتي من غيره بعد أن يمهد هو الطريق
امامه ، وعندما يحدث الأمر لا يذكر أن هذه كان

(١) راجع الرسالة في نظم الجمان ص ١٥٠ - ١٦٧ .

(٢) أخبار المهدي ص ٩٣ .

... / ...

رغبته (١) .

ولا نتوقع من عبد المؤمن أن يشير قضية ولاية العهد في مرحلة تأسيس الدولة ،
اذ لم تكن سلطاته مطلقة ، ولا يمكن أن يشير خلافاً لفتت وحدة الموحدين وهم في أشد
حالات الصراع مع المرابطين ، ولا سيما وأن بعض الاشياخ كانوا يطمحون في تولي الأمر
من بعده ، ولعل هذا ما يفسر حرص عبد المؤمن ان تتم ولاية العهد لابنه محمد باتفاق
الاشياخ ، وأن يقوم أبو حفص عمر المهناتي بمراسيمها (٢) . ولما فتحت مراكش كان عبد
المؤمن مشغولاً بتأمين الوضع الجديد بالقضاء على الانتفاضات القبلية ، وتوسيع رقعة الدولة
في المغرب الاوسط والاندلس ، وتنظيم ادارة الدولة الجديدة . وشغلته هذه المسائل
عن غيرها .

ولكن بعد ان توسعت رقعة الدولة ودخلت عناصر كثيرة من غير المصامدة في " التوحيد "
الذي أصبح مفهومه سياسياً قلبت ميزان القوة في الدولة ، فلم يصبح المصامدة وحدهم أهل
الرأى في الدولة الجديدة ، ويبدو أن القبائل المصمودية التي قام عليها أمر الموحدين أول
الأمر كانت تخشى غلبة العناصر الجديدة ، وأغلب الظن أن عبد المؤمن كان يشعر بهذا
الصراع الخفي واستغله في تحويل الخلافة الى حكم وراثي . يحدثنا ابن الأثير - وهو أوفى
مصدر في مسألة ولاية عهد عبد المؤمن لابنه - أن عبد المؤمن أوعز للقبائل " الشرقية "

(١) لعل خيراً ما يمثل هذا الرأى هو النهج الذي أتبعه في عمليات تغيير تنظيمات
الموحدين (راجع الفصل السابق) ويتضح هذا الأسلوب في الطريقة التي ولى بها
ابناءه ولايات الدولة (راجع الفصل الخامس : فقرة الولاية) ويبرز بصورة أوضح في
خطته العسكرية حيث يجعل تسيير الحملة وكأنه بارادة اشياخ الموحدين (راجع الفصل السابع)
(٢) رسائل موحدية ص ٥٨ ، ٦٠ ، الكامل ج ١١ ص ٢١١ نهاية الأرب ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

— عربية وصنهاجية — أن تطلب ولاية العهد لابنه أبي عبدالله محمد^(١) . وقد وصلتنا رسالة رسمية صادرة عن عبد المؤمن في هذه القضية تبين ان الامر قد تم بطلب من القبائل "الشرقية" عربية وصنهاجية ، وبموافقة الموحدين عامة ولاسيما أشياخهم ، ولم يكن الأمر في نفسه ولم يسع اليه^(٢) .

ان الروايتين تتفقان على أن الأمر قد تم بطلب من القبائل الشرقية ، ولا نتوقع أن يفصح عبد المؤمن عن ايعازه لتلك القبائل ، ولهذا نرجح رواية ابن الاثير ، وخاصة أن ظروف البيعة كانت مواتية لما قاله . لقد ولي عبد المؤمن عهده لابنه ابي عبدالله محمد في سلا عام ٥٤٩ / ١١٥٥^(٣) ، عقب ثورة من هرقة وبعض رجال من أهل تينملل قادها أخوا المهدي عيسى وعبد العزيز في أواخر ٥٤٨ / ١١٥٤ . وقد كانت تلك الثورة حلقة في سلسلة طويلة من انتفاضات هرقة^(٤) . ويبدو ان محاولات هرقة تلك دفعت عبد المؤمن بعد ان ركر حكمه ، الى التعجيل بولاية عهده الى ابنه حفظا لوحدة الموحدين ، ولكيلا يحدث انقسام بينهم بعد وفاته ، وقد اشار الى ذلك في رسالته الى الولايات اذ قال "واتفقت الكلمة من جميعهم أن في ذلك من تجديد أمر الامام المهدي — رضي الله عنه — وتقويته ... ما لا يجوز تأخيره ... وأن فيه من ابقاء الأمر في نصابه واتيان الحق من أبوابه ...

(١) الكامل ج ١١ ص ٢١١ ، نهاية الارب ص ٢٠٧ — ٢٠٨ .

(٢) رسائل موحدية ص ٥٧ — ٥٩ .

(٣) أخبار المهدي ص ١١٨ ، روض القرطاس ص ١٢٦ .

(٤) رسائل موحدية ص ٣٩ — ٤٣ ، أخبار المهدي ص ١١٦ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٢٩ .

وقطع كل منافق مرتاب من أسباب نفاقه وارتيابه ، والنظر فيما يجمع كلمة الموحدين ويضم شمل المؤمنين " (١) .

وأغلب الظن أن عبد المؤمن كان يعلم خطورة الخطوة التي أقدم عليها ، فلهذا حرص على التأكيد بأن الأمر لم يكن برأيه وليس له في نفسه منه عزم سابق ولا نظر لاحق . وكان لا يدع فرصة دون الإشارة الى هذا الموقف (٢) . وبالرغم من تحولات عبد المؤمن فقد ثاراخوا المهدي عيسى وعبد العزيز مطالبين بالأمر لأنهم قرابة المهدي ، ولكن عبد المؤمن كان يرى ان قرابة المهدي لا تثبت حقا وانما اتباع أمر المهدي هو اساس الأمر (٣) . ويبدو ان محاولاتهم لم تنته بالقضاء على ثورتهم عقب اعلان ولاية العهد ، وقتل رؤوس الثورة ، فقد حاولت هرطقة اغتيال عبد المؤمن ~~المؤمن~~ وهو عائد من غزو تونس عام ١١٦٠ / ٥٥٥ (٤) . فأضطر لاستجلاب قبيلته كوميه من احواز تلمسان واسكنها حضرته لتسند ظهره (٥٦ / ١١٦١) (٥) .

-
- (١) رسائل موحديّة ص ٥٩ .
 - (٢) لقد أكد عبد المؤمن على ذلك في رسالة بعثها الى الولايات عام ١١٥٢ / ٥٥١ انظر رسائل موحديّة ص ٦٢ .
 - (٣) المصدر ذاته ص ٤١ - ٤٤ .
 - (٤) المعجب ص ٢٣٣ - ٢٣٤ بينما يردّها صاحب روض القرطاس (ص ١٣٠) الى طول غيبة الجند ولم نجد ما يؤكّد روايته .
 - (٥) روض القرطاس ص ١٣١ .

والظاهر ان بقية الموحدين لم يرضوا عن الفكرة الوراثة اذ ان عبد المؤمن خرج الى بلاد المصامدة وزارهم في مواطنهم قبلا قبلا ، وأجزل لهم العطاء^(١) ، فربما سخطوا في بداية الامر فأرضاهم بالأموال اذ لم يرو أن قبيلة من المصامدة سوى هرغة قد خرجت عليه بعد ذلك .

وهكذا فان الدولة التي قامت على الفكرة^{الابنية} في بداية أمرها ، واتخذت الشورى وسيلة الى تعيين حاكمها ، تغيرت الى دولة الوراثة ولكنها ابقّت على الفكرة المهدية كشعار لها . وبالرغم من أن حركة الموحدين في بداية أمرها اعترفت بالوجود القبلي وحاولت أن تذيبه في بوتقة اكبر مع المحافظة عليه أضطرت في سبيل دعم سلطان الحاكم الى الالتجاء الى القبلية التي لم يجد عبد المؤمن من ملجأ منها الا اليها .

نظرة الموحدين الى الخلافة :

لم يعترف الموحدون بوجود خلافة أو أمانة للمسلمين قبل خلافتهم الا خلافة الخلفاء الراشدين اذ كانت العقيدة سليمة وكان هوى الناس وفق هوى الله ورسوله ، ومن بعد ذلك ضل الناس ، حتى جاء المهدي ابن تومرت لينقذهم من الجهالة ، ويقودهم من الظلمات الى النور^(٢) . واذن فلا مجتمع للمؤمنين الا مجتمع الموحدين ، ولا أمير الا أميرهم .

(١) رسائل موحدية ص ٨٢ - ٩٣ .

(٢) راجع اعزما يطلب ص ٢٤٨ - ٢٥٠ .

وأمر "المؤمنين" الموحدى هو خليفة للإمام المهدي (١) ، وهو أمام لأنه وارث لسلطته (٢) ، فلا فرق بين المهدي والخليفة القائم بأمره من بعده (٣) .

ومنذ أن جعل عبد المؤمن الخلافة وراثية في عقبه ، كان من الضروري أن تصنف المبررات الدينية التي تثبت شرعية حكمهم في نظر رعيتهم ، وقد كانت الرعية ^{صنفين} من الناس : صنف آمن بالمهدية التومرتية وقاتل في سبيلها حتى فرض سلطانها ، وصنف خضع لسلطة الدولة عن كره ، وأظهر الايمان بالمهدية اتقاء البطش ، فالمبررات يجب أن يراعى فيها وضع الفريقين ، فلهذا جاءت تدور في محورين : الحرص على ربط الخلافة بابن تومرت خاصة والتراث النبوى عامة .

فقد أكد بنو عبد المؤمن ان خلافتهم انما كانت بوصية المهدي لعبد المؤمن ونقل المهدي اليه علمه الذي ورثه عن الغزالي (٤) ، وقد كان ذلك العلم في كتاب نص فيه على خلافة عبد المؤمن (٥) ، وخلافة عبد المؤمن وانجابه ليست باختيار من المهدي فانما هي بتوجيه من الله . ونسج مؤرخو البلاط الموحدى قصصا في أمر اللقاء بين ابن تومرت وعبد المؤمن كلها تقود الى هذه النتيجة وهي كرامات للخليفة الامام (٦) . وليؤكدوا أن

-
- (١) كان الموحدون يؤكدون على هذا في جميع مكاتباتهم الرسمية (راجع صدر كل رسالة وردت في رسائل موحدية) ويذكرونه في الخطبة (المعجب ٣٤٤ ، نظم الجمان ص ١٤١-١٤٢)
- (٢) المعجب ص ٣٤٤ .
- (٣) نظم الجمان ص ٧١ ، ٧٣ .
- (٤) روض القرطاس ص ١١٦ .
- (٥) وفيات الاعيان ج ٢ ص ٤٠٤ .
- (٦) أخبار المهدي ص ٥٣ - ٥٧ ، المعجب ص ١٨٠ ، نظم الجمان ص ١٣٠ ، ١٤١ - ١٤٩ .

خلافتهم هي أمر الله الذي لا راد له صنفوا الاحاديث النبوية ، والآثار^(١) القديمة
وصنفوا الرؤى^(٢) ، وانطقوا الطير^(٣) . وعلى هذا فلا خليفة للمهدى غيرهم ولا والي الا
(٤)
من ولوه .

ولعل أهم مبرر هو النسب القرشي اذ كيف يرث المهدي الذي من عترة النبي رجل
بربري ؟ وكيف يدعي الخلافة رجل غير قرشي ؟ فان استطاع ابن تومرت ان يتخذ نسبا
فاطميا فخلفاؤه ، ويدهم زمام السلطة لن يعوزهم ذلك ، فمع ان نسبتهم البربرية ثابتة في
كومية فقد ادعوا نسبا قرشيا جاء في بعض الروايات علويا ، ويبدو أن النسبة العلوية هي التي
كانوا يقرونها وحرصوا على تشبيتها في نفوس الناس فذكروها في الخطبة^(٥) . وقد كان عبد المؤمن

(١) راجع هذه الاحاديث والآثار في نظم الجمان ص ٧١ ، ص ١٤١ - ١٤٢ .

(٢) انظر المعجب ص ١٨٢ - ١٨٣ ، وفي الاعيان ج ٢ ص ٤٠٢ - ٤٠٣ ، الاحاطة
ج ١ ص ٤٠٧ .

(٣) انظر قصة الطائر والاسد في روض القرطاس ص ١١٩ - ١٢٠ و نفع الطيب (ط . محي الدين)
ج ٢ ص ١٠١ وقد جاءت في الاول مع عبد المؤمن وفي الثاني مع المنصور وارجح رواية
النفع لانها جاءت عن ابن حمويه الذي عاصر الحدث .

(٤) نظم الجمان ص ٧١ ، ٧٣ .

(٥) المعجب ١٩٧ ، ٣٤٤ وعن نسب عبد المؤمن راجع أخبار المهدي ص ٢١ - ٢٢ ، المعجب
ص ١٩٧ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٥٦ ، الحلل الموشية ص ١١٧ ، روض القرطاس
ص ١١٩ ، الاحاطة ج ١ ص ٤١٧ .

نفسه يعلم شك الناس في نسبه العربية فضلا عن العلوية فكلما ذكرت كوميه بحضرتة كان يقول " لست منهم وانما نحن لقيس عيلان بن مضر ٠٠٠ ولكوميه علينا حق الولادة بينهم والمنشأ فيهم ، وهم الأخوال " (١) .

وقد أنكر هذه النسبة عدد من خاصة الخلفاء فعوقبوا على انكارهم (٢) . ولا ريب في أن النسبة القرشية لها أهمية خاصة عند جمهور السنة الذين كانوا أهل المذهب الغالب في المغرب الكبير .

وليؤكد الخلفاء هذه النظرة الدينية المهدوية لخلافتهم كانوا يقومون بزيارة قبر المهدي ، في كثير من المناسبات ولاسيما قبل الغزو . واحتل الجهاد في دولتهم في طور ازدهارها المكان البارز ، وكان الطابع الديني هو الغالب على دولتهم ونتيجة لنظرتهم في الخلافة فقد اتخذوا جميع الالقاب المعروفة الدالة على الطابع الديني المهدوي .

ألقاب الخلافة :

اتخذ خلفاء الموحدين لقب " امير المؤمنين " و " الخليفة " و " الامام " ويقول المراكشي ان عبد المؤمن اتخذ لقب أمير المؤمنين فسي حياة المهدي لما بعثه على رأس الجيش يوم البحيرة (٥٢٤ / ١١٣٠) وقد لقبه المهدي بذلك (٣) . وهذه

(١) المعجب ص ١٩٧ .

(٢) من امثلة ذلك ما يرويه المراكشي في اسباب محنة الفيلسوف ابن رشد اذ كتب في احدي

تواليفه " ملك البربر " (المعجب ٣٠٥) وما يرويه ابن خلكان عن الشاعر الكوراني

الذي تعجب ان يكون الخليفة من كوميه (وفيات ج ٦ ص ١٣٦ - ١٣٧) .

(٣) المعجب ص ١٩٢ .

رواية ضعيفة اذ الثابت أن قائد ذلك الجيش كان البشير البشيرسي ، وحتى ذلك الحين كان البشير الرجل الثاني في الحركة الموحدية ، ولم يحتل عبد المؤمن المرتبة الثانية الا لما قتل البشير في تلك الواقعة (١) . وهناك روايات تؤكد أن عبد المؤمن اتخذ لقب امير المؤمنين بعد أن بويح البيعة العامة سنة ٥٢٧ / ١١٣٣ (٢) ، ويبدو ان هذا اصبح تقليدا عند الموحيدين اذ ان يوسف بن عبد المؤمن ثم ابنه المنصور لم يتخذا لقب أمير المؤمنين بعد البيعة الخاصة ، وانتظرا حتى أجمع عليهما الناس (٣) .

ولقد كان لقب امير المؤمنين حبيبا الى نفوس الخلفاء الموحيدين فنقشوه في خاتمهم وسيفهم (٤) . ويبدو أن اتخاذ اللقب كان اقتداءً بفعل عمر بن الخطاب (٥) ، ولا سيما وأنه اصطلاح يمكن ان

-
- (١) وفيات الاعيان ج ٢ ص ٤٠٣ ، روض القرطاس ص ١٢٢ و ص ١٧٦ ، العبر ج ١ ص ٤١٢ .
- (٢) روض القرطاس ص ١٤١ .
- (٣) رسائل موحدية ص ١٥٨ ، الكامل ج ١١ ص ٢٩١ - ٢٩٢ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٧٣ ، ١٤١ - ١٤٣ ، روض القرطاس ص ١٣٦ - ١٣٧ ، نهاية الارب ص ٢١٧ .
- (٤) المن بالامامة ص ٣٥٢ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٧٥ ، ١٤١ .
- (٥) المن بالامامة ص ٣٤١ .

يفرق على أساسه بين المؤمن والمسلم استرشادا بقوله تعالى : " قالت الاعراب ائمانا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم " (١) والموحدون جعلوا أنفسهم المؤمنين . ولعل من أسباب عدم استجابة المنصور الى استنجد صلاح الدين الايوبي عدم مخاطبة الامير الايوبي الخليفة الموحدى بأمره المؤمنين (٢) .

والى جانب لقب أمير المؤمنين تلقب بنوعبد المؤمن بالخلفاء . ويحنون بهذا اللقب الخلافة عن المهدي (٣) . فلما اسقط المأمون رسوم المهدي ، لم يظهر هذا اللقب في مكاتباتهم الرسمية ، واقتصر المأمون ثم الرشيد في أول عهده على لقب أمير المؤمنين (٤) . وباستثناء هذه الفترة القصيرة لم تصلنا رسالة رسمية الا وجاء لقب الخليفة فيها مرادفا للقب أمير المؤمنين ، الامر الذى يبعث على الظن بأن خلفاء الموحدين قصدوا التمييز بين المعنيين المختلفين اللذين يدل عليهما اللقبان . وقد كان لقب خليفة كثيرا ما يتردد في مدائح الشعراء (٥) .

ولقد استعمل الموحدون في رسائلهم الرسمية لقباً ثالثاً هو " الامام " (٦) وقد تردد في مدائح الشعراء ايضا (٧) . وواضح أن لقب " امام " قصد منه التأكيد على ارث المهدي والامامة اهم اركان المهدي ، ولكن الخلفاء الموحدين لم يدعوا العصمة التي ظلت صفة ملازمة للقب المهدي .

-
- (١) سورة الحجرات : آية ١٤ .
 - (٢) الروضتين ج ٢ ص ١٧٤ - ١٧٦ .
 - (٣) رسائل موحدية ص ١٦٢ .
 - (٤) انظر البيان المغرب ج ٣ ص ٢٨٧ ، الحلل الموشية ص ١٣٧ .
 - (٥) المعجب ص ٢١٦ ، نظم الجمان ص ١٣٤ .
 - (٦) رسائل موحدية ص ١٦٢ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٢٦٣ .
 - (٧) المن بالامامة ص ٢٤٠ ، ٢٤٧ .

والى جانب هذه الالقاب الرسمية استعملت ألقاب تدل على التجلة والاحترام مثل " سيدنا " و " مولانا " و " الحضرة الشريفة " وقد وردت في بعض الرسائل الرسمية ولكنها تكثر في المخاطبات الشفهية (١) . وقد يلقب خليفة بلقبين او اكثر وكثيرا ما وردت كل هذه الالقاب في مخاطبة واحدة الى الخلفاء تشريفا وتعظيما (٢) .

وابتداءً من خلافة المنصور اتخذ الخلفاء لقباً يضاف الى اسمهم ويشتمل على كلمة الله مثل المنصور بالله والناصر لله والمنتصر بالله . الخ . وتلقب على بن المأمون وابو العلاء ادريس بلقبين (٣) وهما من أواخر الخلفاء ، وقد أكثر الخلفاء من الالقاب في مكاتباتهم في طور الانحلال (٤) . وواضح أن الالقاب جاءت متلائمة مع الفكرة المهدية وقصدوا منها التنبيه على سلطة الخلفاء كما ارادوا بها التذكير بالمظهر الديني للحكم .

شـارات الخـلافة :

تميزت خلافة الموحدين عن غيرها من الدول الخلافية بأمرين . فقد اتخذوا منذ ايام ابن تومرت البياض شعاراً لدولتهم فقد كان يتقدم جيوشهم لواء ابيض

-
- (١) المن بالامامة ص ٢٤٢ ، ٢٤٦ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٢٦٨ . الحلل الموشية ص ١٣٧ .
 - (٢) المن بالامامة ص ٣٤٠ - ٣٤١ ، نظم الجمان ص ١٣٠ .
 - (٣) البيان المغرب ج ٣ ص ٣٥٨ ، ٤٥٤ ، الحلل الموشية ص ١٤١ ، روض القرطاس ص ١٧١ .
 - (٤) انظر مثالا الرسالتين اللتين اوردتهما ابن عذارى في البيان المغرب ج ٣ ص ٢٨٧ ، ٣٧٨ .

واستمر هذا التقليد حتى نهاية دولتهم^(١) . الأمر الثاني هو امر سياسي اذ جعلوا رمز الاعتراف بالمهدية التومرتية ذكر اسم المهدي في الخطبة ، ونقش اسمه في السكة ، والترضي عنه في المكاتبات الرسمية ، والمناداة للصلاة بالبربرية عقب الآذان . ولما اسقط المأمون هذه الرسوم اعتبره أشياخ الموحدين مارقا ، فحاربوه ورفضوا التعاون مع خلفه حتى اعاد تلك الرسوم^(٢) .

باستثناء هذين الامرين لم تختلف شارات الخلافة الموحدية عن سائر شارات الدول الخلافية الأخرى . فالخليفة القائم بالأمر يذكر في الخطبة وينقش اسمه في السكة ويشرك فيهما ولي عهده^(٣) . ويقول ابن خلدون ان الموحدين لم يتخذوا الطراز شارة لهم^(٤) ، وهذا قول لا ينطبق على الخلافة منذ ايام المنصور ، لأن الخليفة اتخذ في هذا العهد لباسا خاصا من النقائير الزيبية والبرانيس المسكية ، وقد أنكر على بعض القراة لبس هذا اللباس المختص بالخليفة^(٥) . ومنذ ايام عبد المؤمن وقبل فتح

-
- (١) أخبار المهدي ص ٧٥ ، المن بالامامة ص ٤٣٨ .
 - (٢) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٦٧ - ٢٦٨ ، ٣٠٥ ، روض القرطاس ص ١٦٧ - ١٦٨ ، العبر ج ٦ ص ٥٣٠ ، ٥٣٣ ، الاحاطة ج ١ ص ٤١٩ - ٤٢٠ غير ان ابن الخطيب ينفرد بالقول بان المهدي كان يذكر في الآذان ولم نجد ما يؤيد ذلك .
 - (٣) رسائل موحدية ص ١٦٣ ، روض القرطاس ص ١٣٢ ، العبر ج ٦ ص ١٣٠ .
 - (٤) العبر ج ١ ص ٤٨٣ .
 - (٥) البيان المغرب ج ٣ ص ١٥٩ .

مراكش^(١) كان الخلفاء يتميزون في حالة السفر فاتخذوا قبة حمراء ولا يشركهم احد في ذلك اللون واستمر هذا التقليد حتى سقوط الدولة^(٢) . وفي عصر المنصور اتخذت المقصورة^(٣) . فعصر المنصور يمثل بداية تحول الدولة في رسومها من البساطة الى التعقيد .

شروط الخلافة :

في دور الحكم الوراثي اشترط ان يكون الخليفة من اسرة بني عبد المؤمن ، مؤمنا بالمهدية فلهذا حارب اشياخ الموحدين المأمون ثم الرشيد في بداية امره ، ولم يقرؤا خلافتها حتى اعاد الرشيد رسم المهدية . وقد حاول عبد المؤمن ان يجعل الكفاية والصلاح من شروط الخلافة فعزل ابنه محمدا عن ولاية العهد عام ١١٦٢ / ٥٥٨ ، لانه ثبت عنده ان محمدا قد شرب الخمر وسيرته الخاصة غير حميدة^(٤) . ولكن الكفاية

(١) اخبار المهدى ص ١٠٢ .

(٢) البيان المغرب ج ٣ ص ٦٩ ، ويبدو ان اتخاذ القبة الحمراء كان تقليدا للرسول (راجع

المن بالامامة ص ٤٩٣ ت ٠ رقم ٣ ومصادر المحقق في ذلك) .

(٣) العبير ج ١ ص ٤٨٣ .

(٤) المن بالامامة ص ٢١٦ - ٢١٧ ، ٢٢١ ، ٢٣١ ، الكامل ج ١١ ص ٢٩١ ، البيان المغرب

ج ٣ ص ٥٤ - ٥٥ ، روض القرطاس ص ١٣٢ ، نهاية الارب ص ٢١٧ ، تاريخ الدولتين ص ١٣

ورواية البيذق غامضة لاتوضح شيئا (اخبار المهدى ص ١٢١) واما المراكشي فيختلف مع

هذه الروايات ويقول ان النقص لم يتم في حياة عبد المؤمن بل يسعى السيد ابي حفص بن

عبد المؤمن بعد وفاة ابيه (المعجب ص ٢٣٦ - ٢٣٧) ويتابعه ابن خلكان والنويري في احدى

رواياتهما (وفيات الاعيان ج ٢ ص ٤٠٤ ، نهاية الارب ص ٢١٧) ويبدو ان المراكشي وهم في

الامر لان الوصية تمت ويوسف غائب في الاندلس فلم تجرله بيعة الا بعد وفاة ابيه (راجع

المن بالامامة ص ٢٣١ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٥٥) .

- والصلاح لم يشترطا في اكثر خلفاء الموحدين . فقد تولى الخلافة أشخاص صغار في السن لم يبلغوا الحلم ، مثل يوسف المستنصر ^(١) ، ويحيى بن الناصر ^(٢) والرشيد ابن المأمون ^(٣) . وقد كان الناصر شديد الصمت للثغ بلسانه ^(٤) ، وعطل يحيى شلل في يده اليمنى عن توقيع "الظهائر" حتى استبدد بأموره فتى يقال له أبو حمامة ^(٥) . وكانت خلافة المنصور موضع طعن من اخوته وعمومته لاشياء بدرت منه في شببته ^(٦) . وأنهمك الناصر بعد العقاب في الملذات ^(٧) . ولم يخرج المستنصر من حضرته طوال خلافته الا لزيارة تيمنمل وكان مولعا بانتجاع البقروالخييل في رياضه وتوفي من طعنة بقرة شرود ^(٨) . أما المرتضى فقد كان ميالا للدعة والمسالمة ومولعا بالسماع ليلا ونهارا ^(٩) .

(١) المعجب ص ٣٢٣ ، وفيات الاعيان ج ٦ ص ١٥ .

(٢) وفيات الاعيان ج ٦ ص ١٥ .

(٣) البيان المغرب ج ٣ ص ٣٥٨ .

(٤) المعجب ص ٣٠٧ .

(٥) البيان المغرب ج ٣ ص ٣٢٠ .

(٦) المعجب ص ٢٦٠ .

(٧) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٤٣ ، الحلل الموشية ص ١٣٥ ، روض القرطاس ١٦٠ .

(٨) وفيات الاعيان ج ٦ ص ١٥ ، روض القرطاس ص ١٥ .

(٩) البيان المغرب ج ٣ ص ٤٠٤ ، روض القرطاس ص ١٧٣ .

ولم نجد الا ثلاث اشارات عن محاولة مراعاة الكفاية والصلاح في الخلفاء ، فقد روى الزركشي أن الشيخ ابا محمد عبد الواحد الحفصي امتنع في بداية الامر عن بيعه يوسف المستنصر لصغر سنه ، ولكنه عاد وبيع بعد مراجعة أبي سعيد عثمان بن جامع له (١) . أما الاشارة الثانية فقد جاءت من السادة بني عبد المؤمن فلما توفي الرشيد أراد بعضهم تقديم ولده صغيرا كما قدم أبوه ، فقال بعضهم : " قد أعيننا من تقدم الصبيان علينا " ، فأختاروا السعيد بن المأمون لكفايته وصلاحه (٢) . وأما الاشارة الثالثة فقد جاءت عن أشياخ الموحدين فلما قتل السعيد قدموا المرتضى لورعه وطهارته (٣) ، وقد ذكرنا آنفا أنه لم يكن يتحلى بأحدى الفضيلتين ، ولم يحاولوا عزله لما اثبت عجزه .

اذن لم تشهد دولة الموحدين في عهد الحكم الوراثي محاولات جدية لتوخي شروط خاصة فيمن يتولى الخلافة الا في أول عهد الدولة مع عبد المؤمن ، وفي آخرها بعد وفاة الرشيد وعدم مراعاة شروط خاصة في اختيار الخلفاء ترك قيادة الدولة عرضة لما توفره الصدفة من شخصيات قوية . ومن حسن حظ الدولة لقد تعاقبت شخصيات فذة في بداية العهد مثل يوسف وابنه المنصور والناصر في فترة من خلافته ، وبعد ذلك جاءت شخصيات رخوة وضعيفة عجلت بانهيار الدولة ، ولم تجد بعد ذلك محاولات للتغيير او الترميم لما جاءت شخصيات قوية مثل المأمون والرشيد والسعيد . وسنفضل ما اجملناه هنا في دراستنا لسلطات الخلفاء .

(١) تاريخ الدولتين ص ١٩ .

(٢) البيان المغرب ج ٣ ص ٣٥٨ .

(٣) المصدر ذاته ج ٣ ص ٣٩٠ .

اختيار الخلفاء

لقد مرت طريقة اختيار الخلفاء بنوعين من التجربة ففي عصر الازدهار كان اختيار الخلفاء يتم بولاية عهد من الخليفة السابق أما في دور الانحلال فقد استبدت العناصر المتنفذة باختيار الخلفاء غالباً .

كانت تولية الخلفاء من يوسف بن عبد المؤمن الى يوسف المستنصر خامس الخلفاء الموحدين بعهد من سلف كل منهم^(١) . وحرص الخلفاء أن يولوا عهدهم لابنائهم في حياتهم بعد استشارة أشياخ الموحدين والعرب^(٢) . ولم تشهد الدولة الموحدية ولاية عهد لأكثر من شخص واحد فتجنب الموحدون المشاكل التي يثيرها مثل هذا النوع من العهد غير أن الموحدين لم يضعوا نظاماً ثابتاً لولاية العهد . ومنذ أن خلع عبد المؤمن أكبر أبنائه عن عهده فتح ثغرة في نظام ولاية العهد ، إذ لم يقر مبدأ وراثته الابن الأكبر كما ان مبدأ الكفاية والصلاح اتخذ مطية لكل طامع من "السادة" ، وعقب كل ولاية خليفة جديد يخرج عليه بعض اخوته أو عمومته مدعين عدم كفايته وصلاحه . فلما خلف يوسف بن عبد المؤمن أباه توقف أخواه أبو محمد وأبو سعيد عن بيعته مدة^(٣) ، ويبدو ان اخاه أبا الحسن لم يكن راضياً ايضاً ولكنه بايع عن كره منه^(٤) . والراجح أن محمداً المخلوع من العهد حاول الثورة عليه فسجن^(٥) . ولما استخلف المنصور تلكأ اخوته وعمومته

(١) راجع المن بالامامة ص ٢١٦ - ٢١٧ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٣١ ، المعجب ص ٢٦٠ ، ٣٠٧ ،

رسائل موحدية ص ١٩٢ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٥٤ - ٥٥ ، ١٤٠ - ١٤١ ، ٢١١ ،

روض القرطاس ص ١٣٢ ، ١٣٥ .

(٢) رسائل موحدية ص ١٦١ - ١٦٢ .

(٣) المن بالامامة ص ٢٣٢ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٥٨ ، روض القرطاس ص ١٣٧ وقد وردت

الاسماء محرقة في المصدر الأخير .

(٤) المن بالامامة ص ٢٣٨ - ٢٣٩ . (٥) أخبار المهدي ص ١٢١ .

عن بيعته لأنهم لا يرونه اهلا للإمامة فاسترضاهم بالاموال^(١) ، لكن بعضهم ظل يرتقب الفرصة التي واتتهم عقب كل خروج لغزو^(٢) .

ووضع سوء نظام ولاية العهد بعد وفاة يوسف المستنصر (١٢٢٣ / ٦٢٠) الذي لم يعقب أو يول عهده لأحد ، فدب الخلاف بين بني عبد المؤمن فاراد أبناء المنصور أن يحصروا الخلافة فيهم ، فقام العادل بمرسية مطالبها بالخلافة لأن الموحدين في مراكش بايعوا عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن وهو ليس من ولد المنصور ولا عم المستنصر^(٣) . وخرج على الواثق أبي دبوس آخر خلفاء الموحدين السيد عبد العزيز بن الخليفة السعيد لأن أبا دبوس ليس من بني المنصور^(٤) . وثار الخلاف بين أبناء المنصور وطالب أبناء الناصر بالخلافة لأن الاخ اولى من العم وقد كان هذا الرأي أساس حجة يحيى بن الناصر لما نافس المأمون في الخلافة^(٥) .

وكان من اثار هذا النزاع أن تعدد الخلفاء في الفترة من ٦٢٠ - ٦٣٣ / ١٢٢٣ -

١٢٣٦ وقام غير خليفة في وقت واحد . فزاحم العادل عمه عبد الواحد ، ونافس ابو محمد عبد الله البياسي العادل ، ومع المأمون قام خليفتان هما يحيى بن الناصر وابو موسى ابن^(٦)

(١) المعجب ص ٢٦٠ .

(٢) المصدر ذاته ص ٢٧٨ ، ٢٨٠ - ٢٨١ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٧١ - ١٧٣ ،

روض القرطاس ص ١٤٣ .

(٣) المصدر الاخير ص ١٦٢ .

(٤) البيان المغرب ج ٣ ص ٤٥٩ - ٤٦٠ .

(٥) المصدر ذاته ج ٣ ص ٢٦٣ .

(٦) المصدر ذاته ج ٣ ص ٢٤٩ ، العبر ج ٦ ص ٥٢٧ .

المنصور ، وزاحم يحيى بن الناصر الرشيد أربعة أعوام^(١) . وعطلوا الجهاد الذي كان شعار الدولة في عصر ازدهارها ، بل استعان كثير منهم بالنصارى في إسبانيا لتدعيم مركزهم^(٢) .

ولعل أخطر اثر لهذا الصراع على العرش هو ما أفسحه من مجال لعناصر الدولة المتعددة للتسلط والاستبداد بمقدرات الدولة ، فأصبح اختيار الخلفاء في فترة تعددهم بيد أشياخ الموحدين والعرب . فولوا الخلافة من أرادوا وخلعوا من كرهوا ، وقتلوا من خشوا . ولقد كانت بيعة عبد الواحد بن يوسف برأيهم ، ثم نقموا عليه فخلعوه ثم قتلوه وبائعوا منافسه العادل ، وأدخلوه مراکش^(٣) ، ونقم الأشياخ من الموحدين على العادل فقتله عرب الخلط^(٤) ، فبايع أشياخ الموحدين أخاه المأمون ، ولكنهم خافوا أن ينتقم لعمه وأخيه ، فحولوا بيعتهم لفتى صغير هو يحيى بن الناصر^(٥) .

وعلى الرغم من محاولات المأمون وخلفائه لتقليم أظافر هؤلاء الأشياخ فلم يستقر

-
- (١) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٧٦ ، ٣٢٩ ، روض القرطاس ص ١٦٦ ، ١٦٩ ، العبر ج ٦ ص ٥٣١ وقد أخطأ ابن خلكان وجعل وفاة يحيى في أيام المأمون (وفيات الاعيان ج ٦ ص ١٦) .
 - (٢) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٤٩ ، ٢٦٤ ، روض القرطاس ص ١٦٧ ، العبر ج ٦ ص ٥٢٧ ، الاحاطة ج ١ ص ٤١٩ .
 - (٣) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٤٧ ، روض القرطاس ص ١٦٢ - ١٦٣ .
 - (٤) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٥٢ .
 - (٥) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٥٣ ، روض القرطاس ص ١٦٧ .

لخليفة قرار الا برضاهم ، وقد كان هذا هو حال العادل والمأمون والرشيد والواثق
أبي دبوس (١) .

وأغرت سيطرة أشياخ الموحدين والعرب عناصر أخرى بالتدخل في تعيين
الخلفاء وقد تمت بيععة الرشيد عقب وفاة ابيه بسعي أمه الرومية وقواد الروم (٢) .

ولما توفي الرشيد حاول بنوعبد المؤمن أن يحصروا اختيار الخليفة في اسرتهم
دون تدخل غيرهم ولكن أحد الاشياخ هو الذي فرض عليهم الخليفة الجديد ، فلم يسع
" السادة " الا الموافقة طوعا وكرها (٣) . ولما قتل السعيد واصل الاشياخ استبدادهم
في تعيين الخلفاء فولوا المرتضى (٤) .

وهكذا بدأت دولة الموحدين وتعيين الخليفة كان برأى اشياخ الموحدين ، ولكن
براعة عبد المؤمن السياسية وقوة شخصيته مكتناه من تحويل الخلافة الى ملك وراثي
في بنيه ، وقد واتته الظروف التي استجدت بعد قيام الدولة واتساع رقعتها ودخول
عناصر كثيرة فيها ، فخشي السابقون من الموحدين غلبة العناصر الجديدة ، فسالموا
عبد المؤمن ، وسمعوا له واطاعوا ، ولما سنحت الفرصة بتدخلهم من جـراء

(١) راجع لبيان المغرب ج ٣ ص ٢٤٧ ، ٢٥٤ - ٢٥٥ ، ٣٠٥ ، روض القرطاس

ص ١٦٤ ، ١٦٦ - ١٦٧ ، العبر ج ٦ ص ٥٣٣ .

(٢) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٨٢ ، روض القرطاس ص ١٧٠ ، الاحاطة ج ١ ص ٤٢٥ .

(٣) البيان المغرب ج ٣ ص ٣٥٨ - ٣٥٩ ، العبر ج ٦ ص ٥٣٨ .

(٤) البيان المغرب ج ٣ ص ٣٨٩ - ٣٩٠ ، روض القرطاس ص ١٧٢ .

نزاعات بني عبد المؤمن على السلطة فرضوا ارادتهم في تولية من أرادوا فكان الاختيار بأيديهم في عصر الانحلال .

نظام البيعة :

اتبع الموحدون تقليدا بدأ مع عبد المؤمن فبايعوا خلفاءهم بيعتين : خاصة وعامة واستمر هذا التقليد في عهدى الازدهار والانحلال . فقد كان ولي العهد في طور الازدهار بحاجة لكتمان الوفاة حتى يستوثق من تأييد اكابر السادة والاشياخ ، ومتى نال تأييدهم بايعوه بيعة خاصة مختصرة ، ثم تعلن الوفاة وتؤخذ البيعة العامة (١) . وفي دور الانحلال كانت العناصر المستبدة بالأمر بحاجة لذلك الكتمان ريثما تتفق على خليفة جديد ، ثم تعلن الوفاة وتسمح بالبيعة العامة ، وهذا ما تم عقب كل اختيار لخلفاء تلك الفترة . ولهذا لم يكن للبيعة الخاصة مكان معين او وقت محدد ، فحيثما كانت الوفاة كانت البيعة الخاصة ، فقد يبيع يوسف في سلا ، ويبيع المنصور في الطريق من شنترين الى اشبيلية في أوبة الجيش من غزوته ، يبيع الرشيد في وادي ام الربيع (٢) .

أما البيعة العامة فقد كانت تستوعب كل من حضرها . ويأذن الوزير وكبير القراة وكبير أشياخ الموحدين الى الناس ، فيتوالى الموحدون على طبقاتهم : السادة فاشياخ الموحدين فاشياخ العرب فأعيان الوفود فعامة قبائل الموحدين ثم عامة الناس من القبائل الاخرى على

(١) المعجب ص ٣٦٣ ، ٣٢٦ ، الكامل ج ١١ ص ٢٩١ ، ٢٩٢ ، البيان المغرب

ج ٣ ص ١٤٠ ، ١٤١ ، ٢١١ ، ٢٨٢ ، روض القرطاس ص ١٤٢ ، نهاية الارب ص

٢١٧ .

(٢) البيان المغرب ج ٣ ص ٥٨ ، ١٤١ ، ٢٨٢ .

ترتيب أشياخهم وأعيانهم ، ويعطون صفقة أيديهم للخليفة فردا فردا . ولهذا كانت البيعة تستمر أيا ما (١) . وفي أثناء المبايعة يقرأ كبير الكتاب نص البيعة لكل جماعة (٢) . وقد اختلفت كلمات ذلك النص باختلاف الكتاب ، غير أن كل نص وصلنا اشتمل على عبارات محددة وأكد على معان معينة من أن المبايع يبائع الخليفة على ما بويح عليه الامام المعصوم والمهدي المعلوم وخلفاؤه الائمة امراء المؤمنين من الايمان والامانة والعدل والعبادة والسمع والطاعة في المنشيط والمكروه (٣) . وقد أسقط اسم المهدي من بيعة الرشيد لأن أباه كان قد أسقط رسوم المهدي (٤) . والاصرار على المبايعة مصافحة بالايدي ربما كان اقتداءً بعمل الخلفاء الراشدين . وقد كان متمشيا مع التقاليد القبلية .

ولم يكن للبيعة العامة مكان محدد ، فقد بويح يوسف والرشيد في دار الخليفة ~~ف~~ في مراكش (٥) ، وبويح المنصور باشبيلية (٦) ، وحرص خلفاء دور الانحلال على البيعة في جامع المنصور تبركا (٧) .

-
- (١) رسائل موحدية ص ١٦٢ - ١٦٣ ، المعجب ٣٢٦ ، البيان المغرب ، ج ٣ ص ٢١١ .
 - (٢) رسائل موحدية المعجب ص ٣٢٦ .
 - (٣) رسائل موحدية ص ١٦٢ ، المن بالامامة ص ٣٤١ ، ٣٤٣ ، المعجب ص ٣٢٦ .
 - (٤) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٨٧ - ٢٨٨ .
 - (٥) البيان المغرب ج ٣ ص ٥٩ ، ٢٨٥ .
 - (٦) المصدر ذاته ص ١٤٢ .
 - (٧) روض القرطاس ص ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٧٣ ، ١٧٤ .

وعلق خلفاء طور الازدهار على بيعة الولايات اهمية خاصة وعدوها كاملا لبيعتهم وتعاما لها^(١) ، وعظموا تلك المناسبة ، وانعموا على الناس بالاحسان الوفير والانعام الجزيل^(٢) ، وعفوا عن المسجونين ، وغفروا للعمال الخائنين^(٣) ، ايدانا ببداية عهد جديد .

وكان الوالي في كل ولاية يأخذ بيعة أهلها حاضرهم وبأديهم بعد ان يقرأ خطاب البيعة في منبرها^(٤) ، ثم يأخذ خطوط المبايعين اشهادا على أنفسهم ويبعث ببيعتهم ممهورة بخطوطهم مع وفد من أعيان الولاية الى الحضرة^(٥) . ونتيجة لهذه البيعة المؤكدة بصفقة الايدى الموثقة بخطوط المبايعين كان يصعب خلع خليفة حتى في طور الانحلال الا اذا شهد على خلع نفسه بحضرة القاضي والفقهاء والاشياخ^(٦) ، وقد كانت الخطوط هي

-
- (١) رسائل موحدية ضي ١٦٣ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٢١٢ .
 - (٢) المن بالامامة ص ٣٥٣ ، الكامل ج ١٢ ص ١٤٦ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٧٥ ، ١٣٨ ، ١٤٢ ، ٢١٢ ، روض القرطاس ص ١٤٣ ، نهاية الارب ص ٢٢٩ .
 - (٣) المن بالامامة ص ٤٩ ، ١٤٩ ، ٤٣٣ ، ٤٩٥ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٩١ .
 - (٤) المن بالامامة ص ٣٣٩ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٧٣ ، روض القرطاس ص ١٦٧ .
 - (٥) المن بالامامة ص ٣٤٢ ، ٣٤٤ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٢٨٧ ، الحلل الموشية ص ١١١ ، ١٢٢ ، روض القرطاس ص ١٦٣ ، تاريخ الدولتين ص ٩ .
 - (٦) روض القرطاس ص ١٦٣ .

حجة المأمون في قتل أشياخ الموحدين الذين نكثوا في بيعتهم له (١).

ولم تكتسب بيعة الولايات في دور الانحلال تلك الأهمية التي كانت لها في العهد الأول إذ قام كثير من "السادة" الولاة بادعاء الخلافة فعلق كل مدع أهمية كبرى على بيعة العاصمة وحرص كل طالب خلافة على نيلها بشتى السبل (٢).

وكان خلفاء عصر الأزد هاريجدون بيعتهم في كثير من المناسبات مثل الاحتفال للخروج

في غزو أوقبيل بداية معركة (٣)، أو مقتل نائر على أمرهم العزيز (٤)، أو في احتفال بعيد (٥). غير أن مظاهر الفرحة بالبيعة من احسان وعتو وتجديد توقفت في عصر الانحلال إذ لم يجمع الناس على خليفة واحد.

وتجدر الإشارة إلى أن بيعة ولاية العهد لم تختلف عن إجراءات البيعة العامة للخليفة الجديد (٦).

(١) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٦٥، الاحاطة ج ١ ص ٤١٩.

(٢) راجع البيان المغرب ج ٣ ص ٢٤٨ - ٢٤٩، ٢٥٥، ٢٦٤، ٢٨٤، ٢٨٥.

روض القرطاس ص ١٦٢، ١٦٤، ١٦٦، ١٦٧.

(٣) المن بالامامة ص ٤٩، ١٤٩، ٤٣٣، البيان المغرب ج ٣ ص ٩١.

(٤) المن بالامامة ص ٥٢٥.

(٥) المصدر ذاته ص ٤٥٧، ٥١١.

(٦) مثلاً قابل بيعة ولاية عهد محمد بن عبد المؤمن (رسائل موحدية ص ٥٧ - ٦٠) مع

ما أوردناه هنا عن البيعة العامة.

- الناس في الصلوات الخمس ، غير أن المنصور انقطع عن تلك الامامة بعد أشهر من خلافته (١) .
وكان الخلفاء يعلنون الجهاد على اعداء الدين .
وكان خلفاء هذه الفترة يهيمنون على شئون الحكم ويشرفون على دقائق الامور ، فيقودون
الجيش في المعارك الهامة ويعينون قادة الجيوش في المعارك الصغرى ، ويولون الوزراء والولاة
والقضاة والعمال (٢) ، ويستقبلون رسل الملوك (٣) ، ويشرفون على اعمال البناء حتى بعد
انتداب لجان للقيام بها (٤) . ويسيروا أمور الدولة بمركزية مستحكمة (٥) ، فلا يقوم الموظفون
بعمل الا بعد استشارة الخليفة (٦) ، ويحيطونه علما بكل ما يحدث (٧) . وكان الخلفاء يتعقبون
أرباب الوظائف ويسألون الرعية او يسمعون منها عن احوال اولئك الموظفين (٨) ، ويستدعون من بعد

(١) المعجب ص ٢٨٥ .

(٢) انظر الفصول الثلاثة القادمة .

(٣) المن بالامامة صفحة ٣٦٩ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٧٨ ، ٢١٩ ، ٣٨٦ .

(٤) راجع رسائل موحدية ص ٩٧ - ٩٨ ، المن بالامامة ص ١٣٨ - ١٣٩ ، البيان المغرب

ج ٣ ص ١٠٧ ، ١٢٦ .

(٥) راجع رسائل موحدية ص ١٣ ، المن بالامامة ص ٢٨٥ - ٢٨٦ ، الكامل ج ١١ ص ٤٦٨

البيان المغرب ج ٣ ص ١٨٣ .

(٦) انظر المن بالامامة ص ٣٩٠ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٠٣ .

(٧) المصدر الاخير ص ١١٨ .

(٨) المعجب ص ٢٨٥ - ٢٨٦ ، المن بالامامة ص ١٧٨ ، ٤٢٠ .

الى الحضرة لاستطلاع أحوالهم^(١) ، وعندما يقومون بحملة يتفقدون احوال العمال في المناطق التي يمرون عليها^(٢) .

اشراف

وبالرغم من اشرف الخلفاء المباشرين فقد استبد بعض ارباب الوظائف فكثرت امتحانهم

ونكباتهم^(٣) . وقد ساعد على تنفيذ خلفاء هذه الفترة ان الفكرة المهدية كانت غضة في نفوس

اهلها ، وكانت شخصيات الخلفاء قوية ونافذة وعلمهم غزير^(٤) ، وتجربتهم واسعة ، فما تولى الخلافة

أحدهم الا بعد ان عمل في الولايات او الادارة المركزية ، فقد تولى يوسف بن عبد المؤمن اشبيلية

وكان مسؤولا عن الاندلس لفترة غير يسيرة (٥٥١ - ٥٥٨ / ١١٥٦ - ١١٦٢)^(٥) وصرف يعقوب

بن يوسف اعباء الوزارة في حياة أبيه (٥٧٣ - ٥٨٠ / ١١٧٧ - ١١٨٤)^(٦) وعمل محمد بن

المنصور تحت اشرف والده آخر عام في حياة المنصور (٥٩٤ - ٥٩٥ / ١١٩٧ - ١١٩٨)^(٧) .

وفي الثلث الاخير من حياة الناصر بدأ استبداد الوزراء بالامور فكان الوزير ابو سعيد

عثمان بن جامع يصرف الاعمال دون علم الناصر او استشارته . ولما استخلف المستنصر صغيرا استبد

أعمامه وأشياخ الموحدين بسلطاته ومعه بدأت مرحلة ضعف الخلفاء وتنفيذ الاشياء

(١) المن بالامامة ص ١٨٢ ، ١٨٧ ، ٢٠٦ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٤٤٨ .

(٢) المصدر ذاته ص ١٧٨ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٣١ ، ١٨١ ، ١٨٨ ، ٢٠٠ .

(٣) راجع الفصل القادم قسبي الوزراء والعمال .

(٤) راجع المن بالامامة ص ٢٣٣ ، المعجب ٢٣٧ - ٢٣٩ ، ٢٧٨ - ٢٨٠ ، الكامل ج ١٢

ص ١٤٥ - ١٤٦ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٣٨ ، نهاية الارب ص ٢٢٣ ، ٢٢٨ .

(٥) البيان المغرب ج ٣ ص ٣٤ .

(٦) انظر الملحق الثالث " جدول الوزراء " .

(٧) البيان المغرب ج ٣ ص ٢١١ .

والوزراء واستمرت الى دخول المأمون مراکش (١٢٢٧ / ١٢٢٩) ، وامتدت مع يحيى بن الناصر حتى قتل سنة ١٢٣٦ / ٦٣٣^(١) . وبالرغم من ضعف خلفاء هذه الفترة فقد حاولوا ان يستردوا سلطاتهم ، غير ان محاولاتهم كانت قليلة غير مشرفة^(٢) .

ومع المأمون وتعاقب خلفاء أقبيا من بنييه ، بدأت محاولات الخلفاء الجديدة ~~للإستعادة~~ لاستعادة سلطاتهم . وأراد المأمون ان يظهر الدولة من الاشياخ المستبدين ، فقتل اشياخ هنتاته وأهل تينمطل وجميوة ، وقد كانوا المتحكمين في سياسة الدولة في عهد ضعف الخلفاء ، ويبدو ان المأمون اراد ان يسقط شرعية وجودهم من الدولة ، فأسقط رسم المهديية^(٣) . ويصعب ان ~~نفسه~~ وقدادت سياسته هذه الى تقلص اراضي الدولة ففقد افريقية والاندلس ، وانقسم المغرب الاقصى بين خليفتين ، الا أن المأمون كان المسيطر على القسم الاكبر منه . وأغلب الظن انه استبدل اشياخ الموحدين من تلك القبائل باشياخ من هسكورة ومن شايعة من الروم وعرب الخلط ، اذ كانت هذه العناصر هي المتنفذة في أيامه وسعيها استخلف ابنه الرشيد وسيطروا عليه عامين ، ولما تمكن الرشيد من مقاليد الامور بطش بالخلط وهسكورة^(٤) . وتقرب الى اشياخ جميوة وهنتاته وأهل تينمطل ، واعاد رسم المهديية ارضاء لهم^(٥) . ولكن الرشيد

(١) راجع القسم "المجالس الاستشارية" من هذا الفصل والفصول الثلاثة القادمة عن استبداد

الاشياخ والوزراء وأثر ذلك في الادارة الموحدية .

(٢) أنظر البيان المغرب ج ٣ ص ٣١٨ - ٣٢٠ ، روض القرطاس ص ١٦١ .

(٣) البيان ج ٣ ص ٢٦٧ - ٢٦٨ ، روض القرطاس ص ١٦٧ - ١٦٨ ، العبر ج ٦ ص ٥٣٠ ،

الاحاطة ج ١ ص ٤١٩ - ٤٢٠ .

(٤) البيان المغرب ج ٣ ص ٣٩٨ - ٣٠٣ ، العبر ج ٦ ص ٥٣٧ .

(٥) المصدران ذاتهما ج ٣ ص ٣٠٥ ، ج ٦ ص ٥٣٣ .

وخلفاءه السعيد والمرضى وأبا دبوس الواثق كانوا في صراع مستمر مع أشياخ العرب
والموحدين^(١) ، فعادت للخليفة سلطاته ولكن رقعة حكمه كانت صغيرة ، وكل يوم في نقصان
أما بانضمام مناطق الى حفص بن تونس ، وأبني مرين . ولئن استعاد خلفاء هذه الفترة
سلطاتهم وكبحوا جماح العناصر المستبدة بالامر في عهد أسلافهم خلفاء فترة الضعف
فسلطتهم كانت في دولة صغيرة لم تكن هي دولة خلفاء عصر الازدهار .
اذن فقد مرت سلطة الخليفة الموحدى بأربعة اطوار ففي طور التأسيس كان الخليفة
مقيدا بتنظيمات الموحدين ، وفي عصر الازدهار كان مطلق اليد وفي بداية طور الانحلال
استبدت عناصر الدولة بمقدرات الخلافة ، غير ان الامر اختلف ابتداء من المأمون . ولما
عادت للخلفاء سلطاتهم نتيجة نضالهم ضد العناصر المتنفذة كانت الدولة قد تقلصت وانحصرت
في ارض ضيقة شاركهم فيها قوة جديدة هي قوة بني مرين .

أهل الدار (الحاشية الخاصة)

لا يسع الدارس لنظام الخلافة الا ان يشير الى دور حاشية الخليفة الخاصة ، وعلى
الرغم من ان تلك الحاشية لم تكن من نظم الدولة ، ففي كثير من دول الاسلام في العصور
الوسطى لعبت دورا في توجيه شئون الحكم ، لاسيما في فترات ضعف تلك الدول . فما
هو دور الحاشية الموحدية ؟

(١) راجع البيان المغرب ج ٣ ص ٢٩٨ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ ، ٣٣١ ، ٣٤١ ،

٣٦٣ - ٣٦٥ ، ٣٧٠ ، ٣٧٩ - ٣٨٦ ، ٤٠٧ - ٤١٠ ، ٤٢٢ ،

٤٣١ - ٤٣٣ ، العبير ج ٦ ص ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٣ ،

من الثابت ان المهدي ابن تومرت اتخذ حاشية خاصة سماها أهل الدار . واحتل أهل الدار " الطبقة السادسة " في أصناف الموحدين في رواية اليسع^(١) ، الأمر الذي يوحي بأن اليسع اعتبرهم جزءاً من تنظيمات الموحدين ، غير ان رواية كتاب الانساب تذكرهم قبل اصناف الموحدين ، فكان الرواية أراد ان يقول أنهم صنف خاص ، وليس من التنظيمات ولا سيما وانه يقول ان واجبهم هو خدمة الامام المهدي ليلاً ونهاراً^(٢) . ويؤيد رأيه هذا ما يرويه عبد الواحد المراكشي عن اعباء أبي محمد وسنار ، أحد أهل دار المهدي ، فيقول المراكشي ان المهدي اختصه بخدمته " لما رأى منه شدة في دينه وكتمانه لما يرى ويسمع ، فكان يتولى وضوءه وسواكه والاذن عليه للناس وحجابته والخروج من بين يديه " ^(٣) . وهذا النص فضلاً عما يوضحه من واجبات أهل الدار يشير الى ان المهدي كان يتوخى في أهل داره صفات خاصة . ويبدو ان بعض أهل الدار كان يقوم بمهام ادارية وعسكرية ودعائية هي من اختصاص أهل الجماعة حتى وهم بعض الرواة وذكر من يقوم بتلك الاعباء بين أهل الجماعة^(٤) . واغلب الظن ان اختصاصهم الاساسي كان خدمة المهدي الخاصة ، ولا سيما وان ثلث أهل الدار العشرين كانوا من هرة قبيلة المهدي ، وكان فيهم أخوا المهدي عيسى وعبد العزيز^(٥) والراجح ان المهدي كان يختص بعض أهل داره بخصوصيات أكثر من غيرهم مثل ابي موسى الصودي وابي محمد وسنار وابي محمد عبد العزيز الغيثي وعبد الواحد الشرقي وعبد الكريم افعوا ولم ~~يكن~~ جميعهم جميعاً أهل الدار في مرتبة

(١) نظم الجمان ص ٣٣ .

(٢) أخبار المهدي ص ٢٩ .

(٣) المعجب ص ٣٣٨ .

(٤) راجع الملحق الثاني " أهل الجماعة " .

(٥) انظر اسما أهل دار المهدي حسب رواية كتاب الانساب في أخبار المهدي ص ٢٩ .

واحدة^(١) . واذن فقد كان أهل دار المهدي يقومون بخدمته الخاصة وقد يشارك بعضهم في الاعمال العامة .

ولم نسمع عن وجود هذه الهيئة مع عبد المؤمن ، والراجح أن عبد المؤمن أهمل الهيئة كتنظيم واستفاد من رجالها في اعماله وفق خطته في تغيير التنظيمات الموحدية ، فقد ظهر ولاة وقادة في مرحلة التأسيس كانوا من أهل دار المهدي مثل عبد الواحد الشرقي و ابراهيم بن جامع وعبد العزيز وعيسى أخوى المهدي والشيخ ابي محمد يصلاسن^(٢) ، ومن شاقق منهم عبد المؤمن بعد استقرار الدولة نكبه وقتله وقد أشرنا في غير موضع من هذه الدراسة لشورتي اخوى المهدي ، أما من ظل على ولائه للخليفة فقد توارث بنوهم مكانة رفيعة في ظل الخلفاء المتعاقبين مثل بني عبد الواحد الشرقي و ابراهيم بن جامع^(٣) ، فهل يعني ذلك أن عبد المؤمن لم يتخذ حاشية خاصة ؟ .

ان المصادر المتوفرة حتى الآن لا تعطي معلومات عن نشأة البلاط الموحدى وتركيبه ومن الراجح ان ذلك البلاط لم يبدأ يتخذ شكله في حياة عبد المؤمن ، ان اتسم عهد عبد المؤمن بالبساطة ، وربما بدأ بالتكون في عهد يوسف واخذ صورته النهائية في ايام المنصور

(١) أخبار المهدي ص ٢٩ ، نظم الجمان ص ٣٣ .

(٢) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٠ ، الحلل الموشية ص ١٠٢ ، العبير ج ٦ ص ٤٧٨ - ٤٧٩

(٣) المن بالامامة ص ٢٣٧ - ٢٣٨ ، الحلة السيرة ج ٢ ص ٢٣٩ - ٢٤١ ، ٢٩٣ ،

البيان المغرب ج ٣ ص ٥٨ - ٥٩ ، ٦٥ .

ففي ايام يوسف بدأ اتخاذ العبيد حجابا (١) ، ومع المنصور كان خواص الحشم يخرجون معه الى الصلاة (٢) .

ومن المفيد أن نتتبع دور الحریم والجواری والعبيد في تسيير دفة الحكم ولقد قام الحریم بدور كبير في توجيه السياسة في دولة المرابطين منذ حكم يوسف بن تاشفين (٣) ، غير أن دولة الموحدين سلمت من تدخل النساء في طورى تأسيسها وازدهارها (٤) . واغلب الظن أن ذلك يرجع الى تعصب الموحدين الديني في بداية أمرهم . وقد وصلتنا بعض الاشارات عن تدخل النساء في دور الانحلال . ان حباة الرومية زوجة المأمون وأم الرشيد هي التي كتبت وفاة زوجها ، وسعت في بيعة ابنها بما بذلت من اموال على كبار القواد وخاصة بنسي جنسها من الروم (٥) ، وربما كانت تسيير سياسة ابنها الرشيد فهي التي استدعت ابنها

(١) المعجب ٢٤٤ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٤١ .

(٢) المعجب ص ٣٤٣ .

(٣) البيان المغرب (ط . دار الثقافة) ج ٤ ص ٥٧ ، ٩٧ ، الاحاطة ج ١ ص ٤٥٥

(٤) لقد روى ان زينب اخت المهدي ابن تومرت كانت بين القلة التي علمت أمر وفاته (أخبار المهدي ص ٨١ نظم الجمان ص ١٣٠) ولم يذكر أنها سعت أو اشتركت في بيعة عبد المؤمن ويبدو انها كانت تحضر مجالس المشاورة التي كان يعقدها كبار الموحدين قبل اعلان الوفاة لأنها كانت تتم في بيت ابن تومرت (العبر ج ٦ ص ٤٧٢) ولكن لم يرد انها اشتركت في المناقشات .

(٥) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٨٢ ، روض القرطاس ص ١٧٠ ، الاحاطة ج ١ ص ٤٢٥ .

من إحدى الغزوات لما توالى جيوش خصمه يحيى بن الناصر على مراكش^(١) . ويبدو أنها كانت متنفذة حتى أن السعيد لما خلف أخاه الرشيد حبسها وأغرمها مالا^(٢) . وأغلب الظن أن السعيد نفسه كان واقعا تحت تأثير اخته عزونة إذ أن المرتضى لما تولى الخلافة سجنها "وأغرمها مالا كثيرا وحليا خطيرا"^(٣) .

وعلى الرغم من أن بعض خلفاء الموحدين اتخذوا الجوارى ، وعكفوا على الملذات وعقدوا مجالس اللهو والشرب بعد العقاب فلم نسمع عن تدخل الجوارى في شئون الحكم أو استخدامهم من قبل المجموعات المتصارعة للسيطرة على الخلفاء أو التخلص منهم ، إلا ما يرويه صاحب روض القرطاس في مقتل الناصر ، إذ يقول في إحدى رواياته أن وزراء الناصر لما أرادوا الخلاص منه دسوا إليه من يسمه من جواريه^(٤) .

إذن لم يلعب النساء دورا كبيرا في حياة دولة الموحدين السياسية . وعندى أن ذلك يرجع إلى نظرهم الدينية المتعصبة وربما خاف الخلفاء والمتنفذون أن ينسب إليهم أنهم من أدوات النساء ، وربما لم يقصد السعيد والمرتضى بسجن وغرامة حيازة وعزونة إلا الإساءة إلى سلفيهما .

أما العبيد فقد كان لهم دور كبير في الدولة . وقد اتخذ الخلفاء حجابهم من

(١) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٩٠ - ٢٩١ .

(٢) المصدر ذاته ج ٣ ص ٣٥٩ .

(٣) المصدر ذاته ج ٣ ص ٣٩٠ .

(٤) روض القرطاس ص ١٦٠ .

بينهم ، اذ لم يرد اسم حاجب الا وكان مولى خصيا^(١) . وقد زعم ابن خلدون ان اسم
الحاجب لم يكون معروفا في دولة الموحدين^(٢) .

وهذه رواية لا تجد سندا من الروايات المعاصرة التي تقطع بان الحاجب عرف منذ حكم يوسف
بن عبد المؤمن^(٣) . وقد عرفت الحجابة في عهد ابن تومرت وكان ابو محمد وسنار يقوم

بها كما سبق ان اشرنا ولكنه لم يسم حاجبا ، ولم يرد ذكر حاجب مع عبد المؤمن^(٤) . فان

صحت رواية ابن خلدون على فترة المهدي وعبد المؤمن فهي لا تنطبق على حال الدولة بعد ذلك .

وهنا يجب ان نفرق بين الحاجب والوزير لان بعض المصادر المتأخرة اطلقت الحاجب

على الوزير احيانا ، ولا سيما وان الوزراء كانوا يقومون ببعض واجبات الحاجب مثل الاذن بالدخول

بين يدي الخليفة^(٥) . وهذا امر يجعلنا في حيرة بالنسبة لوظيفة الحاجب الموحدي ، وربما لم يكن

الحاجب الموحدي الا حارسا لباب مجلس الخليفة وربما كان يسمح للناس بالدخول باذن من الوزير ،

والذي يدعوننا الى القول بهذا الرأي هو ان الحاجب كان شيخ العبيد او قائدهم^(٦) . ووجد

الحجاب في اضطراب احوال الدولة في دور الانحلال فرصة عظيمة ، فتمكنوا وتنفذوا وتدخل

بعضهم في تعيين الخلفاء^(٧) .

(١) المعجب ص ٢٤٤ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ ، ٣١١ ، ٣٢٤ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٤١ ، ٢٨٣ .

(٢) العبيد ج ١ ص ٤٣٢ .

(٣) راجع من هذا الفصل ص ١٦٧ ت (١) والمصادر المذكورة في تعليق رقم (١) من هذه الصفحة .

(٤) يرى هوبكنز ان ابا محمد وسنار ربما كان حاجبا لعبد المؤمن كما كان مع المهدي لانه تولى
قبريهما بالحراسة بعد وفاته وهذا رأى لم نجد في المصادر ما يؤكده .

() (Hopkins; p. 16)

(٥) راجع الفصل القادم - فقرة الوزراء .

(٦) البيان المغرب ج ٣ ص ٣٥٩ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ .

(٧) المصدر ذاته ج ٣ ص ٣٥٩ .

ويدل على عظم سيطرة بعضهم على الخلفاء قول ابن عذارى عن صاحب يحيى بن الناصر :
" وكان المتولي على باطن يحيى والحاجب له والناظر عليه والكافل لاموره والضابط لنفقاته والمرجوع
اليه في مصالحه وداره وحرمه ومملكته على تقلصها فتى اسمه بلال يكنى ابا حمامة " وتولى الكتابة
بالعلامة في الظهائر بمداد الخلفاء الاحمر (١) . وكان ابوالمسك حاجب السعيد مسيطرا
على كثير من اموره حتى ان المرتضى اضطر لنكبته لما تولى الخلافة اتقاء شره (٢) .

ولم يشهد دور الانحلال تدخل الحریم واستبداد السعيد وحدهما، فقد ظهر المنجم
في حاشية الخلفاء ابتداء من حكم السعيد ، غير ان امره قد يسمع حيناً وقد يخالف حيناً آخراً (٣) .
وفي هذا الفصل لم نتعرض للحاشية بمعنى الندماء من شعراء واطباء ومستشارين لان هؤلاء
لم يسموا في الرسوم الموحدية حاشية بل كانوا ضمن المجالس الاستشارية للخلفاء ولهذا أثرنا
ان نعالج دورهم في دراسة تلك المجالس .

من كل ما سبق يتضح ان الخلافة الموحدية كانت تتميز بطابعها الديني المهدوي ونظامها
مرباطوار مختلفة حسب الظروف المحيطة بالخليفة ، وخضع اختيار الخلفاء وسلطاتهم لتلك
الظروف ، وحتى في طور الازدهار الذي تميز بخضوع نظام الخلافة لنسق واحد وكانت فيه
سلطة الخلفاء مطلقة فقد لعبت المجالس الاستشارية الموحدية دورا غير قليل . فما هي تلك
المجالس وما هو دورها ؟

(١) البيان المغرب ج ٣ ص ٣١٩ - ٣٢٠ .

(٢) المصدر ذاته ج ٣ ص ٣٩٠ .

(٣) المصدر نفسه ج ٣ ص ٣٧٠ ، ٣٨٦ .

المجالس الاستشارية :

كان خلفاء دور الازدهار بالرغم من سلطاتهم الواسعة في شئون الدين والدنيا يستشيرون جماعات خاصة في مسائل معينة . وقد مرّ معنا كيف تكونت المجالس الاستشارية في حياة المهدي ، وكيف اكتسبت اهمية خاصة بعد وفاته حتى خشيها عبد المؤمن فبدل التنظيمات الموحدية وأقام تنظيما واحدا جديدا هو هيئة أشياخ الموحدين . وقد تألفت الهيئة من الموحدين الاولين اولى السبق في الدعوة . وضم عبد المؤمن اليهم مجموعات جديدة لاسيما من كومية قبيلته . وبعد ان توسعت الدولة وضمت عناصر جديدة استوعبها عبد المؤمن في نظم الدولة ، فظهرت هيئتان استشاريتان اخريان هما هيئة اشياخ العرب وهيئة أشياخ الاندلس . وفي خلافة يوسف بن عبد المؤمن كونت هيئة رابعة من " السادة " بني عبد المؤمن .

وكانت هيئة اشياخ الموحدين تتكون من اشياخ تلك القبائل التي قام عليها الامر واشياخ كومية وهسكورة وشنهاجة ، وتوارث ابناؤهم مكانتهم . وأما هيئة اشياخ العرب فقد تكونت من زعماء العشائر الهلالية التي " وُحِّدَت " ولم تصلنا اشارة عن تدخل خليفة في طور الازدهار في اختيار اشياخ تلك القبائل . واما في طور الانحلال فان كانت القبيلة موالية فكثيرا ما يقر الخليفة شيخها على رئاستها ، وان كانت معادية فاقرار شيخ القبيلة على رئاسته يتم بين أبناء تلك القبيلة . ومن اسماء اشياخ القبائل تبين لنا ان مشيخة القبيلة كانت وراثية في اسرة بذاتها (١) . وأما اشياخ الاندلس فقد تكونت هيئتهم من المنتزعين السابقين بالاندلس ، مثل أبي محمد سيد راي بن وزير وابن مردنيش (٢) .

(١) راجع العبر ج ٦ ص ٥٣٤ ، ٥٤٢ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ .

(٢) المن بالامامة ص ٢١٨ ، ٣٩٩ - ٤٠٠ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٨٥ .

- وكانت مشورة هذه الهيئات تنحصر في المسائل العسكرية وقد تشاور كل مجموعة بمفرد ها (١) او في اجتماع يضم الهيئات الاربعة (٢) . وغالبا ما ينفذ الخليفة ما يشيرون به (٣) . ولم يكن نفوذ هذه الهيئات متساويا ولا اختصاصها واحدا . ولم تزد استشارة اشياخ الاندلس الا في قضايا بلدهم . أما اشياخ العرب فقد اخذ رأيهم في كل الاعمال العسكرية التي اشتركوا فيها ، وجرت مشورة بشأنها .
- ولم يصلنا ما يدل على وجود هاتين الهيئتين باستمرار بينما وجدت هيئة اشياخ الموحدين وهيئة السادة وجودا دائما مستمرا . وتجاوز اختصاصهما المسائل العسكرية الى شئون الامن (٤) والادارة (٥) والاموال العامة (٦) . واشترك اشياخ الموحدين في الادارة بصورة فعالة ، ومنذ ان ولى عبد المؤمن ابناؤه الولايات بعث معهم اشياخ الموحدين وزراء وأشياخا في الاحكام (٧) . وغدا فعله ذاك تقليدا اقتدى به خلفاؤه (٨) .

-
- (١) نظم الجمان ص ٢٢٦ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١١٣ ، ١٣٠ ، ١٩٨ ، ٤٩٤ ،
الحلل الموشية ص ١١٨ ، روض القرطاس ص ١٤٦ ، ١٤٧ .
- (٢) المن بالامامة ص ٢١٨ - ٢٢٠ ، ٤٩٨ ، ٥٠٢ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ .
- (٣) المصدر ذاته ص ٥٠٢ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٨٠ ، ١٥١ .
- (٤) البيان المغرب ج ٣ ص ١٧٣ .
- (٥) المن بالامامة ص ٣٠٢ .
- (٦) رحلة التيجاني ص ٣٤٦ .
- (٧) نظم الجمان ص ١٣٢ .
- (٨) البيان المغرب ج ٣ ص ١١١ - ١١٢ .

ببيعة

وقد سبق أن أشرنا الى ان رضى الاشياخ من الموحدين كان ضروريا لتتم ااية خليفة منذ تأسيس الدولة حتى سقوطها .

ومن مظاهر وجود هيئة اشياخ الموحدين المنتظم ، ان الخلفاء كانوا يختارون رئيسا او مزورا للاشياخ ، وهو حلقة الوصل بينهم وبين الخليفة وينوب عنهم في البيعة الخاصة . وربما بدأت هذه الوظيفة مع عبد المؤمن وقبل فتح مراكش اذ ينفرد المراكشي ويسمى عمر أصناج أول وزير لعبد المؤمن وهو أمر غير ثابت (١) . ولكن من المؤكد ان هذه الوظيفة أخذت مكانها بين الوظائف الموحدية بعد استقرار الدولة وتولاها عمر الهنتاتي في خلافة عبد المؤمن ثم يوسف (٢) . وخلف عمر الهنتاتي ابنه ابو محمد عبد الواحد وظل في وظيفته تلك مع المنصور ثم الناصر (٣) ، حتى عينه الناصر في سنة ٦٠٣ / ١٢٠٦ واليا على افريقية بسلطات استثنائية ليقتضي على ثورات الميورقيين وحلفائهم العرب والافزاز في تلك المنطقة (٤) . وخلف أبا محمد عبد الواحد على رئاسة اشياخ الموحدين ثلاثة نفر هم ابو محمد عبد العزيز بن عمر بن ابي زيد الهنتاتي وابو علي عمر بن موسى بن عبد الواحد الشرقي وابو مروان عبد الملك بن يوسف بن سليمان من أهل تينملل . وهم الذين بايعوا المستنصر البيعة الخاصة نيابة عن اشياخ الموحدين (٥) .

(١) انظر الفصل القادم - فقرة الوزارة .

(٢) المن بالامامة ص ٢٢١ ، ٢٣٢ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٥٥ ، ٥٩ .

(٣) المعجب ص ٣١٣ .

(٤) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٢٥ ، رحلة التيجاني ص ٣٦٢ ، العبر ج ٦ ص ٥٨٣ ،

تاريخ الدولتين ص ١٨ .

(٥) المعجب ص ٣٢٦ .

ولما اسقط المأمون رسوم المهديّة انقطع وجود الهيئة . ولما أعاد الرشيد تلك الرسوم أصبح ابو عثمان سعيد بن زكريا الجدميوي المقدم على الاشياخ لانه اول من رجع الى الرشيد وسعى في ارجاع الآخرين^(١) . اذن فقد كانت رئاسة اشياخ الموحدين في عهد الخلفاء الثلاثة الاول محصورة في اسرة عمر الهنتاتي ، ثم بعد ذلك أصبحت لكل من يملك قلب الخليفة بدالة . وفي الانحلال تولاهها غير شخص في آن واحد^(٢) .

وأما هيئة السادة فقد كان لهم دار اجتماع خاصة تدعى " دار القرابة " ^(٣) . ورئيسهم يلقب بـ " السيد الاعلى " ^(٤) . وكان يقوم بالبيعة الخاصة . وقد تولّى رئاسة السادة في خلافة يوسف بن عبد المؤمن السيد عمر بن عبد المؤمن^(٥) ، وأما في خلافة المنصور السيد ابوزيد عبد الرحمن بن عمر بن عبد المؤمن^(٦) ، وأما في خلافة الناصر فقد تولاهما سيدان هما ابوزكريا يحيى بن عمر بن عبد المؤمن وأبو موسى عيسى بن عبد المؤمن ، وهو اخر من بقي من ولد عبد المؤمن لصلبه^(٧) . وكانت في خلافة الرشيد من نصيب عمه السيد ابي محمد سعد^(٨) ، وواضح ان هذه الوظيفة كانت في اسرة السيد أبي حفص عمر بن عبد المؤمن في اغلب الاحيان .

(١) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٩٣ - ٢٩٤ ، العبير ج ٦ ص ٥٣٣ .

(٢) العبير ج ٦ ص ٥٣٧ .

(٣) البيان المغرب ج ٣ ص ٣٥٨ .

(٤) المن بالامامة ص ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٦٠ .

(٥) المن بالامامة ص ٢٢١ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٥٥ .

(٦) المعجب ص ٢٦٥ ، ٣٩٣ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٤١ .

(٧) المعجب ص ٣٢٦ .

(٨) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٨٦ .

وكانت درجتا كبير السادة ورئيس اشياخ الموحدين رفيعتين ، وهما فوق درجة الوزارة اذ يجلس متولياهما قرب الخليفة ^(١) ، وربما يشير المراكشي الى شيء من هذا عندما يقول ان عبد المؤمن رأ بقدر عمر آهناج عن الوزارة (؟) فولها أبا جعفر ابن عطية ، ورأى يوسف ان اخاه عمر اعلى من الوزارة فقلدها الى ابن جامع ^(٢) ، وقد بينا أن الاول ربما كان اول رئيس لأشياخ الموحدين والثاني كان أول مزوار للسادة بني عبد المؤمن .

والى جانب هذه الهيئات الاستشارية كانت هناك هيئة استشارية عليا هي مجلس الخاصة ^(٣) . ويستشار هذا المجلس في المسائل الكبرى . ويتكون من اكابر السادة واشياخ الموحدين وشيخ طلبة الحضر وخطيب الخلافة وقاضي الجماعة وفي حالات الحرب يضاف اليهم من يحضر الغزوة من الولاة وقضاة الولايات الكبرى واكابر اشياخ العرب ولم يظهر هذا المجلس الا ابتداء من خلافة يوسف بن عبد المؤمن ^(٤) .

ولم تتجاوز اية هيئة من هذه الهيئات نطاق الاستشارة الى التفد والتحكم والاستبداد في اتخاذ القرارات في خلافة عبد المؤمن بعد فتح مراكش او في خلافة يوسف او المنصور . واغلب الظن ان اشياخ الموحدين بما نالوا من حظوة ودرجة رفيعة عملوا

(١) المن بالامامة ص ٢٣٨ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٢٨٦ .

(٢) المعجب ص ١٦٨ ، ٢٤٤ .

(٣) المصدر ذاته ص ٢٥٨ .

(٤) راجع المعجب ٢٥٨ ، المن بالامامة ص ٤٩٣ - ٤٩٥ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٥٠٢ .

- للاستعلاء على الناصر ، وحتى يفسحوا المجال لتنفيذهم وتحكمهم بسياسة الدولة ، سعوا في ابعاد رئيس اشياخ الموحدون الشيخ ابي محمد عبد الواحد الحفصي ، وزينوا للناصر أهمية تعيينه على افرقية ليقضي على الفتن فيها ففعل^(١) ، فسيطروا على امور الحضرة في غيبتهم فكبهم الناصر قبيل موقعة العقاب^(٢) . فلم يخلص الموحدون في القتال في تلك الموقعة بسبب ما فعله الناصر بأشياخهم ، فهم الخليفة ببطشهم بطشة كبرى فعاجلوه قبل ان يعاجلهم^(٣) . ولما خلفه ابنه المستنصر استبدوا بالامور دونه لصغر سنه^(٤) .
- ولعل اخطر ما اصاب اشياخ الموحدون في هذه الفترة هو صراع ابناء القبيلة الواحدة على التنفيذ والتحكم والسيادة . وحسبنا ان نشير الى ان ابناء ابي حفص عمر الهنتاتي كانوا اعداء لابناء عمومتهم بني يوجان . وكان كل فريق يدبر المكائد لابعاد خصمه عن مجال القيادة والسلطة . وقد علق ابن عبد المنعم الحميري على تلك الخصومة قائلاً : " وجعل الله تعالى بين هذين البيتين ما جعل بين بني هاشم وبني امية " ^(٥) .
- وقد اثر هذا النزاع على هيبة السلطة المركزية ، ولم يخلص المعارض منهما النصح للخليفة لما يتولى خصمه الوزارة او القيادة العسكرية ، ولا يطمئن الوزير او القائد لمشورة خصومه .

(١) رحلة التيجاني ص ٣٦٠ .

(٢) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٤٠ - ٢٤١ .

(٣) روض القرطاس ص ١٦٩ .

(٤) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٤٣ ، روض القرطاس ص ١٦٠ .

(٥) الروض المعطار ص ٧٠ وانظر عن هذه الخصومة روض القرطاس ص ٦٩ - ٧٠ .

هنا
وكان من أهم أسباب نكبة العقاب^(١) ، ولم يسمع المتنفذون من أشياخ إراء خصومهم فقلت
فعالية الدولة في مواجهة خصومها في الداخل والخارج^(٢) .

ومنذ وفاة المستنصر انقسم أشياخ الموحدين إلى كتلتين متصارعتين كل واحدة
منهما أرادت أن تستبد بالأمور وكل واحدة منهما استعانت بالعرب الهلالية . وكانت هنتاتة
وأهل تينملل وكدميوية يمثلون تجمعا واحدا واستعانوا بعرب سفيان^(٣) ، وعارضتهم هسكورة
وتحالفت مع عرب الخلط . فلما بايع تجمع هنتاتة عبد الواحد بن يوسف ، وقفت هسكورة وعرب
الخلط مع العادل . فلما انضمت هنتاتة إلى العادل خرجت عليه هسكورة^(٤) ، وقتلوه
وبايعوا المأمون^(٥) ، ودخل مراكش بسعيهم^(٦) . ولما تبدل موقف الرشيد عن سياسة
أبيه المأمون وقرب أشياخ الموحدين من هنتاتة وحلفائها صحب ذلك تبدل في موقف هسكورة
وعرب الخلط فانضموا إلى يحيى بن الناصر^(٧) .

وهكذا رافق تنفيذ الأشياخ من الموحدين والعرب أنقسام بينهم خطير أفضى إلى انهيار

(١) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٤١ ، روض القرطاس ص ١٥٧ - ١٥٨ .

(٢) انظر مثلا ما ينقله عنان عن مخطوط الذيل والتكملة لعبد الملك المراكشي (عنان ق ٢٠
ص ٣٤٦) ويكفي أن نذكر بما أشرنا إليه آنفا من ^{أن} المستنصر لم يخرج لقتال في

مدة خلافته .

(٣) العبر ج ٦ ص ٥٦٨ .

(٤) البيدرذاتة ج ٦ ص ٥٢٨ .

(٥) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٥٢ ، العبر ج ٦ ص ٥٢٨ - ٥٢٩ .

(٦) العبر ج ٦ ص ٥٣٠ .

(٧) راجع البيان المغرب ج ٣ ص ٢٦٣ ، ٢٨٨ ، ٣٢٣ ، العبر ج ٦ ص ٥٢٧ ، ٥٢٨ ،

السلطة المركزية وجعلها تحت رحمة هذه الجماعة او تلك . وقد ساعدتهم على السيطرة
ان القوات العسكرية الاساسية للدولة كانت تتكون منهم فأصبح الخلفاء رهن اشارتهم .
ولا عجب بعد هذا ان يفكر المأمون في استجلاب الروم ليسند حكمه ، ويعيد هيئته ، ويلغى
رسوم المهديّة ، ويقتل اشياخ الموحدين . ويبدو ان الامتيازات كانت هي محور الصراع بين
المأمون واشياخ الموحدين فانظر كيف يصور ابن عذارى تلقي اشياخ الموحدين نبأ اعادة
الرسوم في خلافة الرشيد ان يقول " فيا لله ماذا بلغ من سرورهم وما كانوا فيه من الارتياح
عند سماعهم وانطلاق السنتمهم بالدعاء الى الله تعالى في نصر خليفتهم وتأيدده واعلاء
أمره وتجديده ، وشملت الافراح الكبير منهم والصغير وعم الجذل الحاضر والبادئ " (١)
غير ان استعادة الرسوم والامتيازات لم تكن ان اولئك الاشياخ وجدوا السلطة التي
بها أيام ضعف الخلفاء فقد كان الرشيد يتبعهم ويبطش بمن يحاول السيطرة وخاصة العرب (٢) ،
وسار السعيد على هداة (٣) ففرت جماعات منهم لاسيما من هنتاته وكدمسيوة الى حفصبي
تونس (٤) . وأصبح وجود الهيئات الاستشارية غير منتظم .
ومن خلال سير احداث الدولة نلاحظ ان الهيئات التي بدأت استشارية مع الخلفاء
الاقوياء استبدت بالامور في ايام الضعف ولما تعاقب خلفاء اقوياء تبدد شمل هذه الهيئات .

(١) البيان المغرب ج ٣ ص ٣٠٥ .

(٢) انظر العبر ج ٦ ص ٥٣٧ .

(٣) البيان المغرب ج ٣ ص ٣٦٣ - ٣٦٤ ، العبر ج ٦ ص ٥٣٨ .

(٤) المصدران ذاتهما ج ٣ ص ٣٦٨ - ٣٧٠ ، ج ٦ ص ٥٣٩ .

الفصل الخامس

الجهاز الإداري

الفصل الخامس

الجهاز الادارى

من المفيد ان نميز بين نوعين من الادارة الموحدية : الادارة المركزية والادارة الاقليمية ، وذلك لان النوعين اختلفا في نشأتها والتغييرات التي طرأت عليهما ، فبينما بدأت الادارة المركزية بنظم قليلة تكاثرت مع مر الزمن نتيجة الحاجات العملية والتأثر بنظم البلاد المفتوحة ، كانت الادارة الاقليمية وريثة نظم الولايات المفتوحة التي تفاوتت باختلاف المناطق . فادارة المرابطين في المغرب الاقصى والصنهاجيين في المغربيين الاوسط والادنى كانت بسيطة في شكلها ، بينما كانت ادارة الاندلس معقدة وكثيرة النظم وواضحة الاختصاصات لانها نتيجة تطور منذ ايام الفتح الاولي ، واستقرت على نظام ثابت على عهد أمويي قرطبة ، وحافظ ملوك الطوائف ثم المرابطون في الاندلس على ذلك الهيكل الادارى في شكله العام وأقر الموحدون تلك النظم في البلاد التي فتحوها ثم عدلوها .

الادارة المركزية :

كان على قمة الادارة المركزية وزير هو حلقة الوصل بين الخليفة ومختلف نظم الدولة التي تكونت من دواوين الكتابة والعسكرية والمالية .

الوزارة :

لم يذكر الرواة أن ابن تومرت اتخذ وزيرا وانما كان يختص "العشرة أهل الجماعة" بالمشورة في الامور العظام . ولم يطلق مؤرخ على هؤلاء "العشرة لقب الوزراء غير

.../...

ابن القطان^(١) ، وقد لا تعني كلمة "وزراء" الا كلمة "مستشارين" ان لم ترد في المصادر المعاصرة الاخرى ولم يذكرها ابن القطان الا في موضع واحد. وابن القطان كان يتجاوز في اطلاق المصطلحات فقد سعى اسيخ الموحدين الذين بعثهم عبد المؤمن مع ابنائه لما ولاهم الولايات "وزراء"^(٢) الامر الذي لا تؤكد الروايات الاخرى .

وقد بدأت مؤسسة الوزارة تتخذ مكانها بين نظم الدولة في خلافة عبد المؤمن ، ولكن المعلومات عن اوليتها مضطربة ومتناقضة . ويذكر بعض المؤرخين ان عبد المؤمن اتخذ وزيرا قبل فتح مراكش . فالبيدق يقول ان الوزير - ولا يذكر اسمه - اشرف على جمع غنائم مراكش لما فتحت^(٣) ، ويقول المراكشي ان عبد المؤمن استوزر ابا حفص عمر اصناج " الى ان استقر الامر واستقل عبد المؤمن ، فاجلس ابا حفص عن هذه الوزارة وربما بقدرة عنها ان كان عندهم فوق ذلك ، واستوزر ابا احمد (كذا) بن عطية فجمع الوزارة والكتابة^(٤) " . ان عمر اصناج توفي عام ١١٤١ / ٥٣٧^(٥) قبل فتح مراكش بربع سنين وابن عطية لم يستكتب الا بعد القضاء على الماسي في اواخر ١١٤٢ / ٥٤٨^(٦) ، والمصادر الاخرى لم تذكر وزيرا قبل ابن عطية^(٧) . فان نرجح ان كلمة وزير قبل ابن عطية أطلقت على رئيس اسيخ الموحدين الذي هو عمر اصناج ثم خلفه عمر المهناتي . ولا نستطيع ان نقطع بان عبد المؤمن أطلق عليه لقب

(١) نظم الجمان ص ٧٤ .

(٢) المصدر ذاته ص ١٣٢ .

(٣) أخبار المهدي ص ١٠٥ - ١٠٦ .

(٤) المعجب ص ١٩٨ .

(٥) Huici; v.1, p. 103

(٦) المن بالامامة ص ٢٢٤ ، الحلة السيرة ج ٢ ص ٢٣٨ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٨٣ ، روض القرطاس ص ١٢٥ ، ١٣٤ ، العبر ج ٦ ص ٤٩٣ ، ٤٩٦ .

(٧) المن بالامامة ص ٢٢٤ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٥٦ ، روض القرطاس ص ١٣٤ .

وزير ، وأغلب الظن ان اول وزير كان ابن عطية الذي استكتب او اخر ٥٤٢ هـ او اوائل ٥٤٣ / ١١٤٨ هـ ، ثم رقي الى رتبة الوزارة^(١) ، وهكذا ظهرت رتبة الوزارة واستمرت حتى نهاية الدولة الموحدية بالمغرب^(٢) .

ولئن اتخذ الخلفاء وزراء فهل تعدد الوزراء في وقت واحد ؟ يرى ابن خلدون ان الموحدين سموا الوزير حاجبا مقلدين اموي قرطبة^(٣) ، وتوكا عدد من الدارسين على اشارة ابن خلدون هذه وقالوا بتعدد الوزراء ورئاسة وزير حاجب^(٤) . وقد سمت بعض المصادر المشرقية وبعض المصادر المغربية المتأخرة عن فترة الموحدين الوزير حاجبا^(٥) . ولم ترد الكلمة في المصادر المعاصرة للفترة

(١) المن بالامامة ص ٢٢٤ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٥٦ ، روض القرطاس ص ١٣٤ .

(٢) راجع الملحق الثالث : ثبت الوزراء .

(٣) العبر ج ١ ص ٤٢٩ - ٤٣٠ .

(٤) اشياخ ص ٤٨٥ ، عنان ق ٢ ص ٦٢١ .

(٥) سمي ابن الاثير السيد ابا حفص عمر بن عبد المؤمن حاجب ابيه ثم اخيه (الكامل ج ١١ ص ٢٩١ وانظر ايضا النويري : نهاية الارب ص ٢١٧) فالمشاركة ربما نقلوا عن رواية اندلسي كان متأثرا بما كان سائدا في بيئته ، ويسمى ابن عذارى ابا حفص عمر بن عبد المؤمن مرة حاجبا (البيان المغرب ج ٣ ص ١٤٠) بعد ان سماه وزيرا من قبل (البيان المغرب ج ٣ ص ٥٨ - ٥٩) . ويكثر صاحب روض القرطاس من اطلاق لفظة حاجب على الوزير (راجع روض القرطاس ص ١٣٥ ، ١٥٣) وابن عذارى وصاحب الروض متأخران وكتبا في العصر المريني .

الموحدية لإسيما عند " البيذق وابن صاحب الصلاة والمراكشي وابن القطان ، بل ان ابن صاحب الصلاة يقول عن وزارة السيد أبي حفص عمر لأخيه يوسف " وتوالى استبداد السيد أبي حفص على معنى الوزارة والامارة بانقياد الاوامر السلطانية على أمره على ما كان عليه عند ابيه" (١) ومن الثابت ان الخلفاء في دور الازدهار لم يتخذوا غير وزير واحد في وقت واحد ، وأما في دور الانحلال فقد اتخذ يحيى المعتمد والسعيد وزيرين ، ولم نستطع معرفة الحال مع المأمون والمرضى والواثق (٢) . ويبدو ان اضطراب المعلومات عن الوزارة في دور الانحلال يعود الى ان المتنفذين كانوا غير واحد ، والناس منذ عصر ملوك الطوائف تجاوزوا في تحلية الناس بلقب الوزير (٣) ، ويقول المقرئ نقلا عن ابن سعيد المغربي في المغرب ان اللقب صار عاما " لكل من يجالس الملوك ويختص بهم " (٤) . ومن ذلك عدة أمثلة في العصر الموحدى (٥) . وعلى هذا فربما صنف مؤرخو العصر المريني كل متنفذ من الاشياخ بين الوزراء .

كان الخليفة يختار وزيره الا أن موافقة أشياخ الموحدين كانت ضرورية اذ ان الوزير كان ينقل أوامر الخليفة الى الاشياخ وعليه فلا بد من ثقتهم فيمن يتقلدها (٦) ويرأى اشياخ الموحدين

-
- (١) المن بالامامة ص ٢٣٧ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٥٨ - ٥٩ .
 - (٢) راجع الملحق الثالث .
 - (٣) الاحاطة ج ١ ص ٣٢٨ - ٣٢٩ .
 - (٤) نفع (ط . الرفاعي) ج ٢ ص ٩٩ .
 - (٥) لقد اطلقت كلمة وزير على الطبيب وشيخ القبيلة والكتاب وبعض كبار أشياخ الموحدين وبعض الولاة (راجع اختصار القدر ص ٩٨ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٨٣ ، روض القرطاس ص ١٤٢ ، العبر ج ٦ ص ٥٤٩) ومثل هذه الاشارات جعلت بعض الدارسين لا يميز بين من تقلد الوزارة او من اضيفت اليه الكلمة تشريفا وتعظيما ، وعلى سبيل المثال قابل قائمة هوبكنز عن وزراء الموحدين (Hopkins; pp. 153-155) بالملحق الثالث من هذه الدراسة .
 - (٦) المن بالامامة ص ٢٣٧ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٥٩ .

- عزل عبد المؤمن وزيره عبد السلام الكومي وولى ابنه السيد أبا حفص الوزارة (١) .
ويبدو ان موافقة الاشياخ لم تصبح ضرورية بعد استقرار الخلافة فقد ظل ابو سعيد عثمان بن جامع
وزيرا على الرغم من شكوى الاشياخ منه في خلافة الناصر ثم المستنصر (٢) .
وفي فترة تسلط اشياخ الموحدين (٦١٠ - ٦٢٢ / ١٢١٣ - ١٢٢٤) أصبح تعيين الوزراء
يتم بايعاز من المتنفذين من الاشياخ (٣) . ولما استرد الخلفاء سلطاتهم منذ خلافة المأمون
انفرد الخلفاء بتعيين وزراءهم الا في ايام الرشيد الاولى حيث أخرج الرشيد وزيرا بأمر شيخ متنفذ (٤) .
وكان وزراء الدولة الموحدية اما من السادة بني عبد المؤمن أو من أشياخ الموحدين لاسيما
اولئك الذين ربطتهم صلة القربى او النسب ببني عبد المؤمن (٥) ، ولا استثناء لهذه القاعدة
الا تعيين اول وزير موحدى وهو أبو جعفر أحمد بن عطية . فقد كان ابن عطية كاتباً مرابطياً
وصهرا لبني يوسف بن تاشفين ، فاستكتبه عبد المؤمن مدة يسيرة ، ثم عينه وزيرا ، واستمر في منصبه
من ٥٤٢ أو ٥٤٣ الى ٥٥٢ / ١١٤٨ - ١١٥٨ . ويبدو ان استكتابه ثم استيثاره كانا بسبب
من مؤهلاته الادارية (٦) .

وواضح ان تلك الفترة التي كان فيها ابن عطية كاتباً ثم وزيرا هي الفترة التي بدأ فيها عبد المؤمن
ينظم ادارة دولته الوليدة فاحتاج الى اصحاب الخبرة الادارية . وأما خلف ابن عطية فقد كان عبد

(١) المن بالامامة ص ١٧٧ - ١٧٨ .

(٢) العبر ج ٦ ص ٥٢٥ ، الروض المعطار ص ٦٨ .

(٣) المصدران ذاتهما ج ٦ ص ٥٢٥ ، ص ٦٧ .

(٤) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٨٩ .

(٥) راجع الملحق الثالث .

(٦) المعجب ص ١٩٨ ، ١٩٩ ، اعتبار الكتاب ص ٢٢٦ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٢٦ - ٢٧ .

الاحاطة ج ١ ص ٢٧١ - ٢٧٢ .

السلام الكومي وهو اخو عبد المؤمن لأمه ، وقد جاء استيزاره عقب اعلان الحكم الوراثي وما رافقه من تدمير ، وربما أراد عبد المؤمن ان يكون وزيره من عصبية حتى يطمئن الى تنفيذ قراراته ، ولكن عبد السلام اعتمد على اقرباء عبد المؤمن له واستعلى على الموحديين وابناء عبد المؤمن نفسه ، فجاروا بالشكوى فعزل بالسيد ابي حفص بن عبد المؤمن^(١) . ومن بعد ذلك كان الخلفاء كثيرا ما يعينون الوزراء من السادة بني عبد المؤمن او من اشياخ الموحديين الذين لعبوا دورا في بيعتهم او سعوا في توطيد حكمهم . فالوزارة لا يتقلدها الا اهل ثقة الخليفة الامر الذي يدل على اهمية هذه الرتبة في نظم دولة الموحديين .

والوزير هو الذي يبلغ اوامر الخليفة الى جهات الاختصاص ، ويشرف على تنفيذها ، فقد كان الوزير في عهد الخلفاء الثلاثة الاول هو الصلة بين الخليفة وتنظيمات الموحديين ونظم دولتهم^(٢) . فهو يشرف على تنفيذ الاجراءات العسكرية^(٣) ، وقد يكلف باخضاع ثائر^(٤) او ادارة معركة على الرغم من اشتراك الخليفة فيها^(٥) . وقد يطلب منه تفقد الاحوال في منطقة مضطربة^(٦) . وكان وزراء

(١) المن بالامامة ص ١٧٤ - ١٧٧ .

(٢) المن بالامامة ص ١٧٧ ، ٢٣٨ ، ٤٠٩ - ٤١٠ ، نظم الجمان ص ١٣٨ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٣٥ ، ٥٩ ، ٨٨ ، ١٣٠ .

(٣) المن بالامامة ص ٢٧٠ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٩٤ .

(٤) المعجب ص ٣١٤ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٢٧ ، ٢٨ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، روض القرطاس ص ١٢٦ الاحاطة ج ١ ص ٢٧٣ .

(٥) المن بالامامة ص ١٧٥ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٩٤ .

(٦) المن بالامامة ص ١٧٤ ، ٢٥١ ، نظم الجمان ص ١٤٠ ، الاحاطة ج ١ ص ٢٧٣ .

هذا الدور مسؤولين عن الدواوين المالية^(١) حتى فعلت تحت اشراف رجل مختص في خلافة المنصور^(٢) . والى جانب هذه المهام كان الوزير مسؤولا عن اعداد الاحتفالات الرسمية وترتيب الدخول على الخليفة^(٣) ، ويشرف على اجراءات البيعة للخليفة الجديد بالاشتراك مع كبير السادة ومزوار أشياخ الموحدين^(٤) . ويحضر مجالس العلم التي يعقدها الخلفاء ويراقب الحضور وحسن استماعهم^(٥) . وعقب الصلوات كان يؤمن على دعاء الخليفة^(٦) . وجماع مهام الوزير يصورها المراكشي خير تصوير في حديثه عن وزارة المنصور لابيه فيقول " وولى الوزارة أيام أبيه فبحث عن الامور بحثا شافيا وطالع أحوال العمال والولاة والقضاء وسائر من ترجع اليه الامور

(١) المن بالامامة ص ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٤٣ - ٤٤ ، رحلة

التيجاني ص ٣٤٦ .

(٢) راجع ص ١٩٦ من هذا الفصل .

(٣) البيان المغرب ج ٣ ص ٤٥ ، المن بالامامة ص ٤٩ ، ٤٢٠ ، ٤٣٠ - ٤٣١ ، ٤٧٣ ، ٥٢٤ ،

٤٥٧ ، نظم الجمان ص ١٣٩ ، روض القرطاس ص ١٢٥ .

(٤) البيان المغرب ج ٣ ص ٦٠ ، المن بالامامة ص ٢٥٠ - ٢٥١ ، المعجب ص ٣١٣ ، ٣٢٦

(٥) المعجب ص ٢٥٥ .

(٦) المصدر ذاته ص ٣٤٥ .

مطالعة افادته معرفة جزئيات الامور فدبرها بحسب ذلك " (١) . ومن هذه الاعباء يتضح ان مهام الوزير كانت كثيرة فلماذا فقد يختار الخليفة شخصا ليعاون الوزير في اداء اعباء الوزارة كادريس بن جامع مع السيد أبي حفص ، والبي محمد عبد الله بن ابي اسحاق بن جامع مع أخيه ادريس وابي بكر بن يوسف الكومي مع السيد يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن (٢) .

ولم تكن سلطات وزراء دور الازدهار تفويضية ان ليس لهم الاستبداد برأى او اتخاذ قرار فمن شعر الخلفاء باستبداده او فساده نكبوه وربما قتلوه . فقد نكب عبد المؤمن أبا جعفر ابن عطية وقتله (٣) ، وصرف عبد السلام الكومي ثم سمه (٤) ، ونكب ابو يعقوب يوسف ابا العلا ادريس بن جامع وغيره (٥) . غير ان الوضع تبدل منذ النصف الثاني من خلافة الناصر وحتى خلع عبد الواحد بن يوسف (٦٠٥ - ١٢١٢ / ٦٢١ - ١٢٢٣) فاستبد الوزراء وصرفوا شئون الدولة دون اخذ رأى الخلفاء ، وتعتبر فترة يحيى بن الناصر امتدادا لهذه الفترة التي تنفذ فيها الوزراء . وخلال هذه الحقبة من عمر الدولة الموحدية كان الوزراء يلعبون الدور الاساسي في تولية الخلفاء وعزلهم (٦) ، ويوقعون على

-
- (١) المعجب ص ٢٦٢ ، وفيات الاعيان ج ٦ ص ٤ .
(٢) المن بالامامة ص ٢٣٨ ، ٤٢٠ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٥٩ ، ١٤٠ ، روض القرطاس ص ١٣٥ .
(٣) الحلة السيرة ج ٢ ص ٢٣٨ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٣٥ - ٣٦ ، روض القرطاس ١٢٨ .
الاحاطة ج ١ ص ٢٧٣ - ٢٧٥ .
(٤) المن بالامامة ١٧٣ - ١٨٠ ، المعجب ص ١٩٨ ، الحلة السيرة ج ٢ ص ٢٣٨ - ٢٣٩ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٤٣ - ٤٤ .
(٥) المن بالامامة ص ٢٣٧ - ٢٣٨ ، المعجب ص ٢٤٤ ، الحلة السيرة ج ٢ ص ٢٣٩ - ٢٤١ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٥٨ - ٥٩ ، ٦٥ .
(٦) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٤٣ ، العبر ج ٦ ص ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، تاريخ الدولتين ص ١٩ .

المكاتبات (١) ، ويوجهون السياسة العسكرية (٢) ، ويتصرفون في الاموال (٣) ، ويستقبلون رسل ملوك الروم ويعقدون الهدنة ويبرمون السلم معهم (٤) . وقد حسد كثير من اشياخ الموحيدين وزراء هذا الدور على سلطاتهم الواسعة (٥) . وقد فقد خلفاء هذا الدور القدرة على تتبع وزراءهم ومحاسبتهم فاهمل كثير من الوزراء واجباتهم فاختلفت احوال الخلافة وفقدت هيبتها واضطرب حبل الامن واهتز الاستقرار (٦) .

ولكن منذ ان اعتلى العادل سدة الخلافة عمل الخلفاء على تعقب وزراءهم ومحاسبتهم ومنع استبدادهم (٧) . فاسترد الخلفاء سلطاتهم واصبحت مهمة الوزير تنفيذية كقيادة حملة (٨) او انفاذ كتاب (٩) او جباية منطقة (١٠) او توصيل اوامر الخليفة الى جهات التنفيذ دون استبداد برأى (١١) . فان ان السمة البارزة للوزارة الموحدية هي التنفيذ ولم يستبد وزير بالتفويض الا مع خليفة ضعيف .

-
- (١) تاريخ الدولتين ص ١٩ .
 - (٢) المعجب ص ٣٢٢ ، روض القرطاس ١٥٧ - ١٥٨ ، الروض المعطار ص ١٣٧ .
 - (٣) المعجب ص ٢٨٣ ، الروض المعطار ص ١٣٨ .
 - (٤) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٤٤ ، ٢٤٦ ، العبر ج ٦ ص ٥٢٤ ، الروض المعطار ص ١١٦ .
 - (٥) العبر ج ٦ ص ٥٢٥ ، الروض المعطار ص ٦٨ .
 - (٦) عنان ق ٢ ص ٣٤٦ نقل عن مخطوط الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي .
 - (٧) البيان المغرب ج ٣ ص ٣٧٠ ، ٣٩٢ ، روض القرطاس ص ١٦٢ ، الروض المعطار ص ٦٨ .
 - (٨) البيان المغرب ج ٣ ص ٣٢٩ ، العبر ج ٦ ص ٥٣٤ ، ٥٤٦ .
 - (٩) المصدر الاخير ج ٦ ص ٥٤٩ .
 - (١٠) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٩٨ ، ٣٢٩ ، العبر ج ٦ ص ٥٣٥ .
 - (١١) البيان المغرب ج ٣ ص ٣٣٠ ، ٣٨٧ ، ٤٤٣ ، ٤٤٥ .

الكتابات

أولى الموحدون منذ بداية دعوتهم أهمية للرسائل وكتّابها ، وعلى الرغم من أن ابن تومرت كان يكتب رسائله بنفسه في بعض الأحيان (١) فقد خصص أحد العشرة أهل الجماعة لكتابة الرسائل وهو أبو الربيع سليمان الحضرمي الذي توفي في معركة البحيرة (٢) . وكان يساعد أبا الربيع في الكتابة ملول بن إبراهيم بن يحيى الصنهلجي وهو من آخى المهدي بينه وبين هرغسة ، ويصفه صاحب كتاب الانساب بالفصاحة والبداهة والعلم باللسن ، وقد أقام بتينملل حتى توفي (٣) ، وعليه فقد تكون وفاته قبل فتح مراکش إذ ان تينملل كانت العاصمة حتى ذلك التاريخ .

ونحن لانعلم هل استكتب عبد المؤمن ملولا ؟ ولا ندرى هل اتخذ عبد المؤمن كاتباً قبل فتح مراکش ؟ غير ان ابن القطان حفظ لنا رسالة من عبد المؤمن الى الموحدين بتينملل عن فتح السوس سنة ١١٣٥ / ٥٢٩ (٤) ، وأسلوبها بسيط ومباشر ولم يتكلف كاتبها المعاني ، ولم يحكم الالفاظ ، الامر الذي يبعث على القول بأن عبد المؤمن وان استكتب احدا لم يكن ذلك الكاتب من أدباء العصر . وأغلب الظن أن عبد المؤمن لم ينظر في تدوين الدواوين الا بعد فتح مراکش ولعل هذا يفسر اضطراب المصادر في كتابه وعددهم وأوقات كتابتهم له (٥) . ويبدو ان عبد المؤمن كان يبحث عن كتاب لهم خبرة ودراية بالاعمال الادارية فلما انتصر عمر الهنتاتي على الماسي في أواخر ٥٤٢ وبحث عن يكتب له

(١) الحلل الموشية ص ٩٠ و ٩٣ .

(٢) أخبار المهدي ص ٣٣ .

(٣) المصدر ذاته ص ٣٩ .

(٤) نظم الجمان ص ٢١٠ - ٢١٢ .

(٥) راجع الملحق الرابع : جدول الكتاب .

الى الخليفة ودل على أبي جعفر احمد بن عطية فكتب رسالة بليغة ما ان وقعت في يد عبد المؤمن حتى استقدمه فاستكتبه ثم استوزره ، وجمع له الكتابة والوزارة^(١) . غير أن المراكشي يقول ان الكتابة افردت عنه بعد فتح بجاية (١١٥٢ / ٥٤٢) حينما استكتب عبد المؤمن أبا القاسم القالمي من أهل بجاية وأحد نبهاء الكتاب^(٢) ، ويبدو ان هذه الاشارة غير دقيقة ، فقد وصلتنا رسائل من انشاء أبي جعفر بعد هذا التاريخ وحتى نكبتة في اوائل ٥٥٣ / ١١٥٨^(٣) . ونرجح ان عبد المؤمن وان استكتب المالقي بعد فتح بجاية فقد ظلت خطا الكتابة والوزارة مجموعتين لأبي جعفر ابن عطية ، وربما لا يكون المالقي غير كاتب مساعد . وهذا افتراض له ما يدعمه من الشواهد الاخرى . فقد كان ابو عقيل عطية بن عطية كاتباً مساعداً لآخيه أيام كتابته ووزارته وقد وصلتنا عدة رسائل من انشائه^(٤) . ولقد كتب لعبد المؤمن عدة كتاب في وقت واحد فقد صحبه في احدى غزواته ثلاثة كتاب للرسائل^(٥) . وكان ابو بكر محمد المرخي كاتباً مع ابيه أبي الحكم المرخي ليوسف بن عبد المؤمن^(٦) .

(١) انظر الملحق الثالث : الوزراء والمراجع المذكورة عن ابن عطية .

(٢) المعجب ص ١٩٨ .

(٣) انظر رسائل موحدية رسالة رقم ٩ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ وقد وردت رسالتان أخريان

(رسائل موحدية رقم ١٩ ، ٢٣) ونسبتا الى أبي جعفر وتاريخ أولاهما ذى القعدة

١١٥٩ / ٥٥٤ وأخراهما ربيع الاول ٥٥٦ / ١١٦٠ ونشك في نسبتهما الى ابي جعفر

لأنه نكب في أوائل ٥٥٣ / ١١٥٨ وقد ذهب عبد الهادي التازي الى الرأي ذاته فيما

يتعلق بالرسالة الاولى (راجع المن بالامامة ص ١٣٦ ت ٤) .

(٤) رسائل موحدية رسالة رقم ٨ ، ١٦ ، ١٧ .

(٥) المصدر ذاته انظر رسالة رقم ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ .

(٦) برنامج الرعيبي ص ٩٦ .

وعليه فالتاريخ الذي نستطيع ان نحدده لانفصال خطة الكتابة عن الوزارة هو نكبة ابن عطية واستيوار عبد السلام الكوي ان لا نعلم^١ احدًا جمع بين الوزارة والكتابة بعد ذلك .
ولا نعلم ان الرسائل الرسمية او المصادر المعاصرة سمت متولي الكتابة غير الكاتب ولما كان عدد الكتاب في الحضرة كبيرا ربما كان يميز كبير الكتاب بلقب " رئيس الكتاب " (١) ولا يشهد عما ذكرناه الا المراكشي فيدعو كاتب الرسائل بكاتب " الانشاء " (٢) والغبريني فيسمى ابن محشرة " كاتب سر الخليفة " (٣) . وربما كان المراكشي متأثرا بالمصطلحات المشرقية ، واما الغبريني فهو متأخر عن الفترة الموحدية ويصعب بناء حكم على اشارته طالما لم يرد ما يؤيدها في المصادر المعاصرة .

ومن جدول الكتاب المرفق بهذه الدراسة (٤) يتضح لنا ان خطة الكتابة لم يتولها احد من بني عبد المؤمن ارسلا لة الموحدين اولى بالسبق والفضل في الدعوة الا في فترة المهدي ابن تومرت . ويبدو ان الخلفاء توخوا في اختيار كتابهم الخبرة الادارية والعلم والبراعة الادبية فكان كتابهم في خلافة عبد المؤمن اما ممن خدم المرابطين في المغرب والاندلس ، او عمل في دولة بني حماد الصنهاجيين . ولما استقرت الدولة جاء كتابهم من رجال تدرجوا في المناصب الكتابية في العاصمة او الولايات (٥) ، وكانوا من المع كتاب المغرب والاندلس ، وقد بدأ عمل الاندلسيين في المغرب منذ حكم المرابطين وكان كل كتابهم منهم ، وحرص علي بن يوسف بن تاشفين

(١) ورد هذا اللقب مرة عند ابن عبد الملك المراكشي راجع الذيل والتكملة ج ٥ ص ٦٣٣ .

(٢) المعجب ص ٢٦٣ - ٢٦٤ .

(٣) عنوان الدراية ص ٣٠ .

(٤) الملحق الرابع .

(٥) راجع بالاضافة للملحق الرابع والمصادر المذكورة فيه امثلة اخرى عن تدرج الكتاب في

اختصار القدر ص ١٢٤ ، الذيل والتكملة ج ٥ ص ٢٦ - ٢٧ ، ١٠٧ ، ١٠٧ ، ٦٠٧ صلة الصلة ص ٢٦

على طلبهم من الاندلس (١) . وقد ساعد على هجرة الكتاب الاندلسيين الى المغرب في دولة المرابطين ثم الموحيدين ان المغرب اصبح مركز الثقل في توجيه شئون الاندلس التي اصبحت منطقة خاضعة لحكام المغرب فرحل الكتاب الى مراكز طلبا للجاء والشهرة ، ولما ضعفت الدولة الموحدية توجه كثير من ادياء الاندلس نحو تونس (٢) ، ومن دخل منهم المغرب الاقصى ظل فيه وقتا قصيرا ، فان لم يظفر ببغيته يم شطر تونس . وقد قال الرعيني عن ابن عميرة " ولم يزل منذ فارق جزيرة الاندلس معمورا بالخاطر بالتخلص الى افريقية " (٣) .

لقد كان الكاتب الموحدى يقوم بكتابة نص البيعة للخليفة الجديد وخلال البيعة العامة يقرأ الكاتب ذلك النص لكل مجموعة من المبايعين فيبايعوا على مقتضاه (٤) . ويكتب الكاتب الرسائل الرسمية والظواهر و " كل ما ترتب عليه وقوع العلامة من وجوه الاوامر " (٥) . وفي العمل

(١) راجع المعجب ص ١٧٣ Hopkins; p 12 ، حركات : النظام السياسي

والحربي في عهد المرابطين ص ٩٤ - ٩٥ .

(٢) خير مثال على ذلك ابن اباراديب شرق الاندلس (راجع اختصار القدح ص ١٩١ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٣٤٥) ويسمى ابن سعيد المغربي تونس " محط الرحال وكعبة الآمال " (اختصار القدح ص ٤٢) وعن رحلة الكتاب من الاندلس الى المغرب ثم تونس راجع (اختصار القدح ص ٢٠ ، ٢٨ ، ٤٢) .

(٣) ابن شريفة ص ١٣٥ نقل عن مخطوط الذيل والتكملة لعبد الملك المراكشي وراجع اختصار القدح ص ٤٩ .

(٤) انظر المعجب ص ٣٢٦ .

(٥) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٣١ ، والظواهر جمع ظهير وهو المرسم انظر Dozy; V2p.88

لم يكن مطلق التصرف ولا بد من ان يطلع الخليفة على ما يكتب ولا تنفذ الرسالة الا اذا وضع الخليفة عليها علامته بخط يده وهي " الحمد لله وحده" (١) . وحتى في حالة الخلفاء الضعفاء لم يجد الكاتب فرصة للتنفذ والتسلط فقد كان يضع العلامة الغالبون على الخلفاء (٢) . وهذا لا يعني ان خطبة الكتابة كانت حقيرة او قليلة الاهمية فلقد لعبت الرسائل دورا كبيرا عند الموحيين وكانت الرسائل وسيلة الدعاية الاساسية لاعمال الدولة . وجل الرسائل التي وصلتنا كانت من هذا الضرب الدعائي . وقد حرص الخلفاء على تعميمها على جميع بلاد الموحيين . وتؤكد كل رسالة في خاتمتها على وجوب اذاعتها في الناس حاضرهم وباديهم (٣) ، فتقرأ من فوق المنابر (٤) . ويدلنا على ما علقه الخلفاء من اهمية على الرسائل ان الناصر لما هزم في العقاب بعث رسالة يخفف من هول الهزيمة على الناس ويقلل من شدة وطأتها عليهم (٥) . فمهمة الكاتب والحالة هذه هي الاشراف على العمل الدعائي في الدولة . وعلى الرغم من ان الموحيين قد نظموا اعمال البريد فلم يرد ان خليفة قد عين صاحب بريد فرما كان كاتب الرسائل كان مسؤولا عن البريد .

-
- (١) المن بالامامة ص ٣٠٢ ، نظم الجمان ص ١٦٤ ، البيان المغرب ج ٦ ص ٤٩٧ - ٤٩٨ .
 - (٢) البيان المغرب ج ٣ ص ٣٢٠ ، تاريخ الدولتين ص ١٩ ولقد تدخل كثير من الخلفاء مع كتابهم فيما يكتبون وكيف يكتبونه (راجع المعجب ص ٢٢٥ ، الحلل الموشية ص ١١٣) .
 - (٣) على سبيل التمثيل راجع رسائل موحدية ص ٦ ، ٩٨ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١٢٠ ، ١٥٧ .
 - (٤) المن بالامامة ص ٣٠٧ ، ٣٠٩ ، نظم الجمان ص ١٦٣ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٢٦٧ .
 - (٥) المن بالامامة ص ١٣٥ ، ٢٧٦ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٢٣١ - ٢٣٢ .
 - (٥) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٤١ - ٢٤٢ ، الروض المعطار ص ١٣٨ .

وكان كاتب الرسائل بطبيعة عمله وثيق الصلة بالخليفة ومقربا منه مكرما لديه ، وكان منصب
منصب كاتب الرسائل مرغوبا فيه ومن نقل من الكتابة الى القضاء كان يندم على ما فاته ويندب حظه^(١) .
واما طريقة الكتاب فقد كانت ان تسير على نسق واحد لولا الاختلاف اليسير في بعض الجزئيات
فالرسالة تبدأ بذكر " من امير المؤمنين " الى من ترسل اليه فالدعاء المناسب للمرسل اليه
فالسلام فالبعدية فالتحميد فالصلاة على النبي وقد يصلى على آل النبي وعثرته^(٢) ، فالترضية
على الصحابة^(٣) فالمهدى غير ان ذكر المهدي قد اهل في خلافة المامون واول خلافة الرشيد
لما ازيلت رسوم المهدي . ومنذ خلافة يوسف بن عبدالمؤمن جرت العادة بالترضية على سلف
الخليفة ، ثم يذكر مكان الكتابة ثم يوتى على المقصود ويختتم الخطاب بذكر تاريخ الرسالة وفي حالة
واحدة ذكر التاريخ بعد مكان كتابة الرسالة^(٤) . والنمط ذاته اتبع في نص البيعة من الولايات^(٥)
وكتب بالولاية الى الحضرة^(٦) .

-
- (١) انظر قصة ابن عميرة لما نقل من الكتابة الى القضاء عند ابن شريفة ص ١٢٣ - ١٢٤ .
 - (٢) مثاله رسائل موحدية رسالة رقم ٧ - ١٠ ، ١٢ ، ١٩ ، ٢٣ .
 - (٣) وكثيرا ما تغفل راجع رسائل موحدية رسالة رقم ٢٦ - ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٠ .
 - (٤) رسائل موحدية : رسالة رقم ٣ وقد كتبت سنة ٩٥٤٣ هـ فهي من اول موحدة ما كتب من
الرسائل مما يدعو الى القول ان نسق كتابة الرسائل لم يستقر بعد في ذلك التاريخ .
 - (٥) المصدر نفسه رقم ٤٤ - ٤٦ .
 - (٦) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٨٠ .

البريد :

كان حامل البريد يسمى "رقاصا" (١) وكان الرقاص يكلف بحمل جميع انواع الرسائل مدنية (٢) او عسكرية (٣) . وقد نظم البريد منذ فتح مراكش على اسس معلومة فتكفلت الدولة بالدواب وعلفها وزاد الرقاصين لكيلا يكلف الرقاصون الناس مؤنة ذلك ، وحددت المنازل التي ينزلونها والزمن الذي يستغرقونه في رحلاتهم (٤) ، فكان الرقاص يسرى الليل ويسير النهار (٥) ، وكان البريد يقطع المسافة من المهدية الى غرناطة في اربعين يوما (٦) ، ومن مرسية الى مراكش في ستة عشر يوما " وهذا غاية السير" (٧) . ومع هذا التنظيم المتقن لاعمال البريد لا نعلم ان خليفة قد عين صاحبا للبريد ولهذا رجحنا في حديثنا عن مهام كاتب الرسائل ان ذلك الكاتب ربما كان يشرف على عمل البريد .

كاتب استقبال رسل الملوك :

كان استقبال رسل الملوك الى خلفاء الموحدين يتم بصورة عفوية (٨) ، ولم يرتب الخلفاء طريقة استقبال اولئك الرسل وانزالهم وتضييفهم والترجمة عنهم بشكل منظم . وفي اواخر دور الازدهار - ولعل ذلك في اواخر خلافة المنصور - نظم الخلفاء خطة لاستقبال رسل الملوك الملوك

-
- (١) المن بالامامة ص ١٢٩ ، ١٩٠ ، نظم الجمان ص ١٢٢ ، Dozy; V.1, 547
 - (٢) المن بالامامة ص ١٨٩ - ١٩٠ ، روض القرطاس ص ١٦٤ .
 - (٣) المن بالامامة ص ١٢٩ - ١٣٠ ، ٢٧٤ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٤٣ ، ٦٥ ، ٣١٠ .
 - (٤) نظم الجمان ص ١٦٢ .
 - (٥) المن بالامامة ص ١٩٠ .
 - (٦) قابل رسائل موحديّة ص ٩٥ ، ٩٩ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٤٢ .
 - (٧) المن بالامامة ص ٢٧٤ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٦٥ .
 - (٨) راجع المن بالامامة ص ٣٦٨ - ٣٧٢ ، ٥٢٦ - ٥٢٧ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٨٣ ، ١٨٩ .

- لاسيما الروم ففي سنة ٦٠٧/١٢١٠ أخر الناصر عنها ابن عوبيل وقدم عليها أبا الجيش محارب^(١) واكتسبت هذه الخطة أهمية كبرى منذ خلافة المأمون الذي اعتمد كثيرا على الجند القشتالي وعقد حلفا مع ملك قشتالة وتوثقت صلة الخلفاء الموحدين منذ ذلك الوقت بنصاري اسبانيا لاسيما في خلافة السعيد والمرضى^(٢) .

ديوان " التمييز " او ديوان العسكرية :

- اختص المهدي أحد " أهل العشرة " في رواية المراكشي - ايوب الجدميوي - بتوزيع الاقطاع على الموحدين^(٣) ، وربما كان ذلك بداية ديوان الجيش ولكننا لانعلم شيئا عنه في خلافة عبد المؤمن بيد أنه منذ خلافة يوسف بن عبد المؤمن كان هنالك كاتب خاص بالجيش يسميه المراكشي " كاتب الجيش "^(٤) ويسميه ابن صاحب الصلاة " كاتب العسكرية "^(٥) أو " كاتب ديوان التمييز "^(٦) . وكان هذا

(١) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٣٤ .

(٢) راجع عنان ق ٢ ص ٥٣٦ - ٥٤٠ ، ٦٢٤ .

(٣) المعجب ٣٣٨ .

(٤) المصدر ذاته ص ٢٤٤ .

(٥) المن بالامامة ص ٤٥٣ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٤١ .

(٦) المن بالامامة ص ٤٣٦ ، وذهب عنان الى ان شؤون الجيش قد اوكلت الى ديوانيين : ديوان

العسكر وديوان التمييز معتمدا على اشارتي ابن صاحب الصلاة وابن عذارى الآفتين (عنان ق ٢ ص ٦٣٨) ولكن ابن صاحب الصلاة ذكر الاسمين لديوان واحد وقد تولاه شخص واحد ولا يكفي اختلاف الاسم للاستنتاج بان ادارة الجيش كانت من اختصاص ديوانيين وربما تعددت

المصطلحات للديوان الواحد في المصدر الواحد .

الكاتب يحتفظ بسجلات باسماء جميع الموحدين وسائر الاجناد المرتزقين وكلما ميزت الجيوش (اي عرضت) استعدادا لغزوة عارض جريدته الجديدة على سجلاته السابقة فان وجد فرقا عرضه على الخليفة لاتخاذ قرار بشأنه ، ومتى أقر الخليفة قوائم الجيوش انقذ لهذا الكاتب " البركات " (المرئيات) على مقتضاها (١) . وقد ذكر صاحب شغل الموحدين " في اشبيلية وغرناطة (٢) وهو غير صاحب العمل والمشرف والوالي وقد لا يكون صاحب هذه الخطة غير الكاتب لشئون العساكر النظامية في الولايات ان اختص باشغال الموحدين في الولاية . والموحدون كانوا الجند النظامي الاساسي في الولايات .

الادارة المالية :

كان الوزير مسؤولا عن مالية الدولة في خلافة عبد المؤمن ويوسف ولا نعلم ان احدا قد استقل بالادارة المالية في الحضرة غير الوزير في عهد هذين الخليفين (٣) . وقلد المنصور ابا زيد بن يوجان اشغال البرين في سنة ٥٩٣ / ١١٩٢ (٤) ومنذ ذلك التاريخ بدأت خطة مالية جديدة هي خطة صاحب الاشغال ، ولا نعلم خليفة لم يتخذ صاحب الاشغال بعد المنصور . ولفظة صاحب الاشغال مصطلح

- (١) المن بالامامة ص ٤٣٦ .
- (٢) المصدر ذاته ص ٢٠٧ ، ٢٩٨ .
- (٣) يشذ صاحب القرطاس ويقول ان يوسف بن عبد المؤمن ولي ابن الصقر (وقد وردت عنده ابن الطغر) الخزائن وبيوت الاموال (روض القرطاس ص ١٣٦) واعتمد هويكنز اشارته هذه (راجع Hopkins; p. 57) وقد وهم صاحب روض القرطاس في هذا القول ان المصادر الاخرى تجمع على ان تلك الخزائن هي خزائن الكتب (راجع الفصل السادس من الخطط الدينية ص ٢٤٨) .
- (٤) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٠٠ - ٢٠١ .

- الموحدين^(١) . ولا يكون تعيينه الا من قبل الخليفة ، ولا نعلم ان احدا عينه شخص آخر
الا ابن وين الخير الذي قلده الاشغال المخزنية الوزير ابو زكريا بن الغمر وزير الرشيد^(٢) .
وكان صاحب الاشغال يشرف على استخراج الاموال وجمعها وضبطها وصرفها^(٣) .
وكان مسؤولا عن الاعمال المالية في الولايات ومحاسبة العمال بأمر من الخليفة^(٤) . ولصاحب
الاشغال كتاب يقيدون المجابي^(٥) ويضبطونها بالشهود^(٦) ثم يرفعها الى الخليفة في خرائط
فيختتمها الخليفة بخاتمه^(٧) ، وتدفع الاموال الى امين المخزن لحفظها^(٨) . ويبدو ان من تولوا
هذه الخطة كانوا في غاية الامانة والضبط فلم يذكر ان احدا من اصحاب الاشغال قد نكب سوى
مرة واحدة^(٩) .

-
- (١) راجع عن توليها البيان المغرب ج ٣ ص ٢٠١ ، ٢٢٧ ، ٢٣٧ ، ٢٨٩ ، ٣٢٨ ، ٣٥٨ ،
العبر ج ٦ ص ٥٢٠ ، ٥٢٤ ، تاريخ الدولتين ص ١٩ .
(٢) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٨٩ .
(٣) المصدر ذاته ج ٣ ص ٢٠٠ - ٢٠١ ، العبر ج ١ ص ٤٣٨ .
(٤) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٢٧ ، ٢٣٧ .
(٥) المصدر ذاته ج ٣ ص ١٤١ .
(٦) نسخ (ط . رفاعي) ج ٢ ص ١٠١ .
(٧) المعجب ص ٢٥٦ .
(٨) المن بالاملمة ص ٤٨٥ .
(٩) العبر ج ٦ ص ٥٢٥ .

ولا نستطيع ان نعالج الادارة المالية المركزية الا اذا تعرضنا الى الادارة المالية في الولايات لأن كثيرا ما يختلط أمر صاحب الاشغال باعمال صاحب الاعمال والمشرف . ولئن اشرف صاحب الاشغال على أعمال الدولة المالية فقد قام بواجباته في عواصم الولايات اصحاب الاعمال . فادارة مالية الولايات كانت في اغلب الاحيان مستقلة عن سلطة الولاية ، وتخضع مباشرة الى الادارة المالية في الحضرة . ففي كل ولاية وجد الوالي ووجد العامل^(١) . وحافظت الادارة الموحدية على هذا التمييز بين الوالي والعامل حتى في اقسام الولاية^(٢) . وتخلط مصادر العصر المريني بين العامل والوالي احيانا قليلة فقد تسمي الوالي عاملا^(٣) أو العامل واليا^(٤) . وقد تسمي العامل مشتغلا^(٥) ، وفي حالة واحدة سمي ابن عذارى كلا من المشرف وصاحب المدينة وخازن المال وخازن الطعام عاملا^(٦) . ونعت ابن خلدون الشيخ ابا سعيد ابن الشيخ ابي حفص الذي تولى عمالة افريقية في ولاية السيد ابي زيد ابن ابي حفص بن عبد المؤمن رديفا^(٧) .

(١) المن بالامامة ص ٢٠٣ - ٢٠٤ ، ٢٩٤ ، ٢٩٨ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٨٣ ، ٩٠ ، ١٤١ - ١٤٣ ، ١٥٩ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ٢٠١ ، ٢٠٤ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٣٣١ ، العبر ج ٦ ص ٥٣٥ - ٥٣٦ ، تاريخ الدولتين ص ١٣ .

(٢) راجع نفع (ط . محي الدين) ج ٦ ص ٢٩ .

(٣) راجع البيان المغرب ج ٣ ص ٣٣٢ ، روض القرطاس ص ١٦٤ ، العبر ج ٦ ص ٤٩٥ .

(٤) انظر البيان المغرب ج ٣ ص ٢٤٠ حيث سمي عاملي فاس ومكناسة واليين مع أنه قد ذكرهما من قبل كما ملين (راجع ج ٣ ص ٢٣٧) .

(٥) البيان المغرب ج ٣ ص ٣٤١ = ٣٤٢ .

(٦) المصدر ذاته ج ٣ ص ١٣١ .

(٧) العبر ج ٦ ص ٥١٥ .

والعامل هو صاحب المخزن في الولاية (١) ، ويشرف على أعمال الجباية (٢) ، وصرف مرتبات الموظفين ، والأعمال العمرانية ماليا (٣) ، ويستشير والي الولاية في امر تجهيز الحملات العسكرية (٤) ، ويطلب منه الخليفة اعداد السلاح والمؤمن اذا اراد الخروج في غزوة وان كانت الجيوش مستمر بمنطقته يطلب منه اصلاح الطرقات ونصب الجسور (٥) . وقد يؤمر بالاشتراك مع وال جديد في القبض على وال معزول (٦) . وكان العامل يشرف على عمل العشرفين وعمال النواحي ويبدوا ان تعيينهم كان من اختصاصه (٧) ، وكثيرا ما ينكب عامل فينكب معه جميع الذين خدموا في ولايته في مدة عمله (٨) .

وقد توخى الخلفاء منذ خلافة عبد المؤمن الخبرة فيمن يتولى عمالة الولايات فاقروا المسؤولين عن الادارة المالية على اعمالهم في المناطق التي فتحوها (٩) . وعينوا عددا من الولاة المناطق المفتوحة عمالا (١٠) . وعين عبد المؤمن احد رجال العهد المرابطي البارزين عاملا على عموم الاندلس (١١)

(١) المن بالامامة ص ٢٥٣ .

(٢) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٠ ، ١٣١ ، ٢١٩ ، ٣٢٥ ، ٣٢٩ ، ٣٣٢ ، العبر ج ٦ ص ٥٣٥ - ٥٣٦ .

(٣) المن بالامامة ص ١٣٨ ، ٢٠١ ، ٤٦٧ .

(٤) البيان المغرب ج ٣ ص ٣١ .

(٥) المصدر ذاته ج ٣ ص ٩٠ ، ١٧٤ ، ١٨٥ ، ٢١٨ .

(٦) المصدر ذاته ج ٣ ص ٣٠ .

(٧) المن بالامامة ص ٢٠٤ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٢٣٤ .

(٨) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٣٧ .

(٩) اخبار المهدي ص ١٠٢ .

(١٠) الاستبصار ص ١٥١ ، رحلة التيجاني ص ٧٦ .

(١١) العبر ج ٦ ص ٤٨٧ ، ٤٨٨ .

ولما استقر وضع الدولة تولى عدد من اسيخ الموحدين عمالة الولايات^(١) ، وفي بعض الاحيان بعث الخليفة وزيرا مصروفا الى عمل بعض الولايات^(٢) .

وكان خلفاء دور الازدهار يشرفون على اعمال عمهالهم فيتفقدونها^(٣) ، ويسألون الناس عن حالهم مع العمال ويستمعون الى شكوى الناس منهم^(٤) ، فكثرت نقل العمال ونكباتهم وكان يتولى محاسبة العامل قبل نكبته صاحب الاشغال او لجنة مختارة من العمال والكتاب بحضور شاهدين عدلين^(٥) .

فاذا وضح لنا أن صاحب الاشغال هو المسؤول المالي في العاصمة وصاحب الاعمال هو المسؤول المالي في قسبة الولاية فما هي مهمة المشرف ؟

عرفت الاندلس خطة الاشراف منذ خلافة بني أمية في قرطبة وورث ملوك الطوائف الخطة عنهم^(٦) . ولم يعرف المغرب الاقصى هذه الرتبة المالية الا في اواخر حكم المرابطين في بعض الولايات^(٧) . واما في خلافة الموحدين فلم يكن ثمة مشرف في العاصمة الموحدية الا في اواخر حكم بني عبد المؤمن وابتداء من خلافة الرشيد حيث اتخذ الخلفاء مشرفا مع وجود صاحب الاشغال^(٨) ، بينما كان للمشرف وجود في الولايات منذ خلافة عبد المؤمن الذي اقر المشرفين الذين وجدهم في المدن التي

(١) المن بالامامة ص ٣٩٦ ، العبر ج ٦ ص ٥١٥ .

(٢) البيان المغرب ج ٣ ص ٢١٤ ، ٢٣٠ .

(٣) المصدر ذاته ج ٣ ص ١٤٣ ، ٢٢٦ ، ٢٣٠ ، ٢٤٩ .

(٤) المصدر ذاته ج ٣ ص ١٧٨ .

(٥) المن بالامامة ص ٤٥٣ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٩٤ ، ١١٢ ، ١٢٧ - ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٨١ .

٢٢٦ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

(٦) Hopkins ; p. 51 .

(٧) اخبار المهدي ص ١٠١ .

(٨) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٨٣ ، ٤٥٥ .

فتحتها على اعمالهم^(١) . وفي جميع اطوار الدولة وجدنا مشرفا في كل المدن الهامة مثل سجلماسة وتلمسان وفاس ومكناسة وتازا وبجاية وافريقية واشبيلية ومرسية وغرناطة وازمور ومنورقة^(٢) . ومن الراجح ان المشرف غير صاحب العمل اذ كان في عاصمة الولاية عامل ومشرف^(٣) . فما هي مهمة المشرف ؟ كان المشرف في الاندلس قبل قيام دولة الموحدين يقوم بكل الواجبات والحقوق اللازمة عن الايراد والاصدار للسلع^(٤) . واغلب الظن ان هذه المهمة لم يكلف بها في بداية الدولة الموحدية بعد ان استقر وضع عبد المؤمن لأن الموحدين في بداية امرهم ابطالوا المكوس والضرائب والقبالات وحافظوا على هذه السياسة فترة حتى فرض عبد المؤمن الخراج عام ١١٦٠/٥٥٥ ونظم جبايته ثم تخلى خلفاء عبد المؤمن تدريجيا عن ابطال المكوس والضرائب والقبالات^(٥) . ولهذا فقد كانت مهمة المشرف ولفترة طويلة من الزمن هي جباية الخراج^(٦) ، واتخذت دار الاشراف مكانا لمحاسبة العمال الخائنين غير ان المشرف لم يكن متولي تلك المحاسبة فقد قام بها اما صاحب الاشغال او صاحب الاعمال^(٧) ، واما اتخاذ الخلفاء للمشرفين في حضرتهم في اواخر ايام الدولة ربما يدل على أن المكوس اصبحت هي الدخل الاساسي للدولة التي تقلصت اراضيها وحتى تلك الاراضي التي كانت تحت

(١) مثلا هذا ما فعله مع ابن خير الجياني مشرف فاس (اخبار المهدي ص ١٠٢) .

(٢) البيان المغرب ج ٣ ص ١٠٣ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٧٢ ، ٤٤٩ .

اختصار القدح ص ٢٨ ، ١٣٦ ، ١٣٧ .

(٣) المصدر ذاته ج ٣ ص ١٠٨ ، ١٧٢ .

(٤) انظر المن بالامامة ص ١٨٧ ت ٣ ومراجعة في ذلك .

(٥) راجع الفصل الثامن : النظام المالي .

(٦) البيان المغرب ج ٣ ص ١٠٣ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٧٢ ، الذيل والتكملة ج ٥ ص ٣٠١ .

(٧) المصدر ذاته ج ٣ ص ١٠٨ ، ٢٣٦ - ٢٣٧ .

طاعتهم اجتاحتها الثورات والفتن فأصبحت الجباية من واجبات الجيش الاساسية ويقوده الخليفة او الوزير لهذا الغرض (١) .

واذا تبين لنا مهام اصحاب الاشغال والاعمال في ادارة الاموال العامة (المخزن) فمن كان يشرف على ادارة الاموال الخليفة الخاصة ؟

لا يذكر الرواة شيئا عن ادارة اموال الخليفة الخاصة قبل خلافة المنصور فقد ذكر أن أبا بكر بن ملول بن ابراهيم الصنهاجي كان "أمينا على الضيا ع زمن المنصور" (٢) . ويحدثنا ابن غدارى ان المنصور عين يوسف بن عمر صاحبا للمستخلص بالشرف ومدينة لبلة واستمر في عمله هذا حتى نكبه الناصر (٣) . ولا نعرف هل كان أبو بكر تحت نظر صاحب الاشغال او هل كان يوسف خاضعا لصاحب الاعمال في اشبيلية في المادة التي بين ايدينا لا تسعف على معرفة اتحاذ الخلفاء مسؤولا عن اموال الخليفة في الحضرة .

خلاصة ونتائج :

من دراستنا هذه لنظام الادارة المركزية يتضح ان الادارة الموحدية بدأت بسيطة في شكلها في خلافة عبد المؤمن وبالتدرج ونتيجة للحاجات العلمية اقتبس الموحدون نظم الدول التي سبقتهم ولكنهم بدلوها شيئا قليلا وهذا ما حدث في نظام الوزارة والادارة المالية ، وواضح ان التخصص في الاعمال اكثر ما حدث في خلافة المنصور . ومن الملاحظ ان الخطط الادارية الكبرى مثل الوزارة والاشغال المخزنية في الحضرة لم يتقلدها غير كبار الموحدون اولى السبق في الدعوة ثم احفادهم ، بينما استوعبت العناصر التي وحدث بعد فتح مراکش في الكتابة والادارة المالية في الولايات وكان اكثرهم من "طلبة الحضرة" .

(١) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٩٠ ، ٢٩٨ ، ٣٢٩ ، العبر ج ٦ ص ٥٣٤ ، ٥٣٥ .

(٢) اخبار المهدى ص ٤٠ .

(٣) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٠٠ - ٢٢٢ - ٢٢٨ .

ادارة الولايات :

كانت ولايات الدولة الموحدية في طور ازدهارها تتكون من السوس وسجلماسة ومراكش وفاس وسلا وسبتة وتلمسان وبجاية وافريقية^(١) ومالقة وولاية الغرب (شلب وأحوازاها) واشبيلية وقمرطبة وجيان وغرناطة ومرسية وبلنسية . وهذه الولايات هي التقسيم الادارى ذاته الذى ورثه الموحدون عن الدول التي خلفوها اذ ان ولاية افريقية (وتسمى احيانا تونس) هي مملكة بني باديس فسي المهدية بالاضافة الى المناطق التي فتحها الموحدون الى الشرق منها بما في ذلك طرابلس . وولاية بجاية هي مملكة بني حماد نفسها^(٢) ، واما ولايات المغرب الاقصى فهي ولايات المرابطين ذاتها باستثناء سلا التي جعلها الموحدون ولاية قائمة بنفسها ، بينما اتخذ المرابطون من مكناسة ولاية مستقلة^(٣) . ومما يدل على ان الموحدين اقروا اقسام المرابطين الادارية ان عبد المؤمن جعل مكناسة ولاية مستقلة في اول امره وعين عليها واليا^(٤) ، ولكن لم يرد في المصادر ان واليا قد عين عليها بعد اعلان الحكم الوراثي ، ويبدو انها قد ضمت الى ولاية فاس التي كانت تسمى

(١) اعتمدنا في احصاء الولايات الموحدية في مختلف اطوار الدولة على جدول الولاية المرفق

بهذه الدراسة (الملحق الخامس) وقد اغفلت المصادر التي بين ايدينا ذكر الولايات

في مكان واحد غير ان المراكشي اورد احصاء دقيقا عن ولايات الموحدين في المغرب الكبير

ولم يغفل الا ولاية السوس (راجع المعجب ص ٢٥٥) .

(٢) عن حدود هاتين الولايتين راجع المعجب ص ٢٠٠ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

(٣) راجع عن ولايات المرابطين عنان ق ١ ص ٤١٥ .

(٤) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٠ .

في بعض الاحيان " ولاية المغرب " وحدود ولاية فاس كانت من رباط تازا الى مكناسة (١) .
واما سلا فقد صيرها الموحدون ولاية مستقلة منذ فتحها (٢) وقد اكتسبت اهمية خاصة أيام
الموحدين ان بنى عبد المؤمن قلعة رباط الفتح قبالتها وتكامل بنيانها في خلافة يوسف ثم المنصور (٣)
ومن هذه القلعة كانت الجيوش التوحديّة تتحرك الى كل غزوة في افريقية او الاندلس (٤) .
واما في الاندلس فقد حافظ الموحدون على الاقسام الادارية المرابطية بصورة عامة باستثناء
سرقسطة التي لم يتمكن الموحدون من استرجاعها من ايدي النصارى ، ومالقة التي لم يعهد عن
المرابطين انهم قد جعلوها ولاية ، بينما كانت في التقسيم الاداري الموحدى ولاية خاضعة لادارة
والي سبتة وغرناطة في البداية (٥) ، ثم مستقلة منذ خلافة يوسف ، وولاية الغرب التي جعلها الموحدون
ولاية قائمة بذاتها (٦) ، ولكن بعد اعلان الحكم الوراثي ضمت الى اشبيلية (٧) ثم رجع الموحدون

(١) المعجب ص ٢٥٥ .

(٢) لقد وهم عنان وظن ولاية مسلا من الولايات التي استحدثت بأخرة (عنان ق ٢ ص ٦١٨)

بينما كانت ولاية في خلافة عبد المؤمن (راجع الملحق الخامس) .

(٣) المن بالامامة ص ٤٤٨ - ٤٤٩ .

(٤) راجع الفصل السابع : التنظيم العسكري .

(٥) الكامل ج ١١ ص ٢٢٣ ، نهاية الارب ص ٢٠٩ .

(٦) الحلة السيرة ج ٢ ص ٢٧١ .

(٧) المن بالامامة ص ٢٠٧ ومن مظاهر ضم ولاية الغرب الى اشبيلية ان قاضي اشبيلية كان

يعرف باهل ولاية الغرب عند الدخول على الخليفة (راجع المن بالامامة ص ١٤٩ ،

روض القرطاس ص ١٢٧ ، ١٢٩ ، العبر ج ٦ ص ٤٩٣) .

في خلافة يوسف الى فصلها كما كانت ايام المرابطين وتتابع عليها الولاة (١) . وفي حالات قليلة كانت تجمع ادارة ولايتين متجاورتين تحت نظر وال واحد (٢) .

وكل ولاية من هذه الولايات قسمت الى اقسام ادارية صغرى كان على حكمها احد الحفاظ (٣) . وفي المغرب راعى الموحدون الاوضاع القبلية وجعلوا كل منطقة قبلية وحدة ادارية ضمن اقسام الولاية (٤) .

وفي دور الانحلال تقلصت اراضي الدولة الموحدية . ومنذ خلافة المأمون لم تخضع لسلطة الخلفاء ولا غير ولايات المغرب الاقصى الذي لم يستطع الخلفاء السيطرة على بواديه بسبب من فتن القبائل العربية (٥) والقبائل المرينية (٦) فلم يعد للخلفاء سلطة خارج نطاق المدن الرئيسية ، فعدت تلك المدن تمثل ولايات الدولة في تلك الفترة مثل تازا (٧) وازمور (٨) وانغمات (٩) ودرعة ومكناسة (١٠) بالاضافة

-
- (١) البيان المغرب ج ٣ ص ١٠٥ - ١٠٦ ، ١٠٧ ، ٢١٨ ، ٢٣٤ ، العبر ج ٦ ص ٥١٣ .
 - (٢) المن بالامامة ص ٢٠٧ ، الكامل ج ١٢ ص ٢٢٣ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٢٥٢ ، روض القرطاس ص ١٢٩ ، نهاية الارب ص ٢٠٩ ، العبر ج ٦ ص ٤٩٢ .
 - (٣) البيان المغرب ج ٣ ص ١١٩ ، ١٥٣ ، ٢٣٥ ، رحلة التيجاني ص ٧٦ ، ١١٠ .
 - (٤) راجع اخبار المهدي ص ١١٧ .
 - (٥) انظر البيان المغرب ج ٣ ص ٢٥٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٢٩٦ ، ٣٠٦ ، ٣٥٩ ، ٣٦٧ - ٣٦٨ ، العبر ج ٦ ص ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٣٢ ، ٥٣٤ .
 - (٦) روض القرطاس ص ١٦٣ .
 - (٧) البيان المغرب ج ٣ ص ٣٩٣ ، العبر ج ٦ ص ٥٤٢ .
 - (٨) البيان المغرب ج ٣ ص ٣٧٢ ، روض القرطاس ص ١٧٥ .
 - (٩) البيان المغرب ج ٣ ص ٣٧١ .
 - (١٠) المصدر ذاته ص ٣ ص ٣٣١ ، العبر ج ٦ ص ٥٣٥ .

الى المدن الاخرى التي كانت عواصم للولايات .

وكصانت مراكش، فضلا عن كونها مركزا لولاية مراكش، عاصمة للدولة الموحدية منذ ١١٤٧/٥٤١ لما فتحت فترك عبد المؤمن تينملل التي كانت مركز الحركة الموحدية منذ ان هاجر اليها ابن تومرت سنة ١١٢٤/٥١٨ . ولم يعرف عن خلفاء الموحدين انهم عينوا نائبا للخليفة وعندما يغيب الخليفة عن عاصمته لزيارة قبر المهدي في تينملل او في غزوة كان يستخلف احد اهل ثقته على مراكش والمستخلف اما ان يكون من السادة بني عبد المؤمن^(١) او احد كبار اشياخ الموحديين^(٢) .

والى جانب مراكش كانت اشبيلية تعتبر عاصمة للموحدين في الاندلس ولكن الخلفاء لم يتخذوا نوابا لهم بالاندلس على الرغم من ان والي اشبيلية كان يكلف في احوال قليلة بالاشراف على عمل بقية ولاية الاندلس ، مثل طلب يوسف بن عبد المؤمن من والي اشبيلية ان يجدد له البيعة في جميع ولايات الاندلس^(٣) . والحالة الوحيدة التي ورد فيها ذكر نائب بالاندلس بل جاءت في روض القرطاس حيث نعتت الرواية ابا العلاء ادريس بن المنصور والي اشبيلية نائبا عن اخيه العادل في الاندلس^(٤) ، وليس هناك ما يؤكد هذا الزعم . وعندما نقول ان اشبيلية كانت تعتبر عاصمة للموحدين بالاندلس نعني ان الخلفاء عندما يجتازون الى الجزيرة يقيمون بها ، ومن اشبيلية كانت تنطلق جميع حركاتهم العسكرية ففيها يتم الاستعداد من تجميع للجيش واعداد للمؤمن^(٥) ،

(١) البيان المغرب ج ٣ ص ٩٩ ، ١١٠ ، ١٥٧ ، ١٧٣ ، ٢٩٠ ، روض القرطاس ص ١٢٩ ،

العبر ج ٦ ص ٥٤٠ ، ٥٥٠ .

(٢) البيان المغرب ج ٣ ص ١٢ ، ٢٨ ، ٣٨ ، ٢٩٠ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٢ ،

روض القرطاس ص ١٢٥ ، العبر ج ٦ ص ٤٩٤ ، ٥٣٢ .

(٣) المن بالامامة ص ٣٣٨ - ٣٣٩ .

(٤) روض القرطاس ص ١٦٤ .

(٥) راجع المعجب ص ٢٨٢ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٣٢ ، ١٨٦ ، ١٩٣ ، ١٩٦ ، ٢٠٠ ، ٢٠٤ ، ٢٣٧ ،

ولا نجد استثناء لذلك الا حملة المنصور على شلب فقد انطلقت من قرطبة^(١) غير ان الامدادات جاءت اثناء الغزوة من اشبيلية^(٢)، ثم ان المنصور لما رجع من شلب استقر في اشبيلية^(٣) .
والى جانب هذا المنحى العسكري فقد كان صاحب الاعمال باشبيلية يشرف على الاعمال المالية في جميع الولايات الاندلسية^(٤) . واستمرت اشبيلية عاصمة بهذا المعنى منذ ان فتحها الموحدون وحتى خرجت عن طاعتهم في سنة ٦٢٦ / ١٢٢٩ الا لفترة قصيرة خلال عام ٥٥٧ / ١١٦٢ حين أمر عبد المؤمن ان تكون قرطبة مقرا للامر لانها موسطة الاندلس ثم عاد عن قراره بعد اشهر قليلة^(٥) ويبدو أن الرجوع عن القرار يعود الى طبيعة اهل قرطبة التي يصفها المقرئ فيقول ان قرطبة صعب رياض اهلها^(٦) . فما هي الدوافع التي حدثت بالموحدين لاتخاذ اشبيلية مقرا لحكمهم في الاندلس ؟ ...

اولا : كانت اشبيلية اول قاعدة هامة من قواعد الاندلس تدخل في " التوحيد " .^(٧)

-
- (١) رسائل موحدية ص ٢٢٣ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٨٨ .
 - (٢) البيان المغرب ج ٣ ص ١٧٩ .
 - (٣) المصدر ذاته ص ١٨٠ .
 - (٤) المن بالامامة ص ٢٠٣ - ٢٠٤ ، ٢٠٧ ، العبر ج ٦ ص ٤٨٧ ، ٤٨٨ .
 - (٥) المن بالامامة ص ٢٠٣ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٥٣ .
 - (٦) نفع (ط . الرفاعي) ج ٤ ص ١١١ - ١١٢ .
 - (٧) البيان المغرب ج ٣ ص ٣٧ ، العبر ج ٦ ص ٥٩٢ .

والموحدون كانوا يقدمون اولى السبق في " التوحيد " على المتأخرين فيه .
ثانيا : كانت اشبيلية بعيدة نسبيا عن قشتالة ، ولما خضعت الاندلس لحكم الموحدين
بعد فتح مراكش لم يجد عبد المؤمن فسحة من الوقت للتفرغ لشئون الجزيرة ولم يلتفت اليها
بصورة كاملة الا بعد ضم افريقية (تونس) فبنى مدينة جبل الفتح كمقدمة لاعماله في الاندلس
فربما خشي ان تكون عاصمته قريبة من حدود الممالك النصرانية فيدفعه ذلك الى الدخول في
صراع معها في غير ما استعداد له .

ثالثا : كانت اشبيلية متصلة بالبحر بواسطة نهر الوادي الكبير وارضها الخلفية غنية
بالمواد الزراعية مما يؤهلها لاستقبال الجيوش الموحدية .

الولاية :

كان الخلفاء - خلال دور الازدهار - يعينون ولاية الولايات وحكام اقسامها وفي حالات
قليلة عين بعض الولاة (١) او بعض القادة العسكريين من رؤوسا السادة (٢) او مزارير اشياخ
الموحدين (٣) حكام اقسام الولايات التي كانت تحت نظرهم او في مجال عملهم . واما في دور
الانحلال فقد فقد الخلفاء السيطرة على كثير من المناطق فثار طامع او استبد وال وقنع الخلفاء
من مثل هؤلاء بالطاعة الاسمية التي كثيرا ما ضن بها المنتزون فكانوا يبائعون من يخشون
سوطه . ومن نوع ولاية الاستبداد هذا كان محمد بن يوسف بن نصر في غرناطة (٤) ويغمراسان

(١) البيان المغرب ج ٣ ص ٣٧ ، العبيد ج ٦ ص ٥٩٢ .

(٢) المن بالامامة ص ٤٠٥ - ٤٠٦ ، ٤٨٦ .

(٣) المن بالامامة ص ٣٩٢ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٩٣ .

(٤) البيان المغرب ج ٣ ص ٣٤٣ ، ٣٥٥ ، العبيد ج ٦ ص ٥٣٧ .

في تلمسان (١) وابن خلاص (٢) ثم العزفي في سبتة (٣) وعبد الله بن زكرياء الهزرجي (٤) وابوزيد عبد الرحمن بن زكرياء الجدميوي (٥) ومحمد القطرافي (٦) في سجلماسة ، ووجد العامة في دور الانحلال فرصة فعينوا من ارادوا في تونس ومراكش واشبيلية وسبتة (٧) .

ولنتبين من اي صنف من الموحدين كان الولاة اليك البيان التالي الذي استخرجناه من جدول

الولاة المرفق بهذه الدراسة (٨)
عبد المؤمن

الخليفة	قبل الوراثة	بعد الوراثة	يوسف	المنصور	الناصر	المستنصر	عبد الواحد	العاقل	المعتصم	العامون	الرشيد	السعيد	المرضى	الواثق	المجموع
السادة	٠١	٠٩	١٧	١٣	١٤	٠٧	٠٨	٠٤	-	٠٦	٠٣	٠٣	٠١	٠١	٨٧
الاشياخ	٠٩	٠٣	٠٣	٠٢	٠٦	٠٥	٠١	٠٤	٠١	٠١	٠٤	٠٢	٠٥	٠٢	٤٨
الحكام السابقين	٠٣	-	٠٣	٠٢	-	-	-	-	-	-	٠١	-	-	-	٠٩

- (١) البيان المغرب ج٣ ص ٣٦٠ - ٣٦١ ، العبر ج ٦ ص ٥٣٨ - ٥٣٩ ، ٥٤١ ، ٥٤١
- (٢) المصدران ذاتهما ج ٣ ص ٣٧٩ ، ج ٦ ص ٥٤٠ - ٥٤١
- (٣) المصدران ذاتهما ج ٣ ص ٤١٤ ، ج ٦ ص ٥٤٢
- (٤) البيان المغرب ج ٣ ص ٣٦٠ ، العبر ج ٦ ص ٥٣٨
- (٥) المصدران ذاتهما ج ٣ ص ٣٦٥ ، ج ٦ ص ٥٣٩
- (٦) المصدران ذاتهما ج ٣ ص ٤١٦ - ٤١٩ ، ج ٦ ص ٥٤٤ - ٥٤٥
- (٧) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٨٤ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٤٠ ، العبر ج ٦ ص ٥٨٧
- (٨) راجع الملحق الخامس

ومن نتيجة هذا الاحصاء يتضح ان الغالبية العظمى من الولاة كانوا من السادة بني عبد المؤمن ، ولفظة " السادة " في ذلك العصر كانت لا تطلق الا على بني عبد المؤمن (١) . ولكن النظرة الفاحصة في البيان تكشف عن ثلاث مراحل مرت بها تعيينات الولاة واصنافهم . فقد كان تعيين الولاة من اشياخ الموحدين وسلالة الحكام السابقين في الحقبة التي سبقت عهد الموحدين والصرطمة اعلان الحكم الوراثي ولم يرد ذكر الولاة واحد من ابناء عبد المؤمن . والمرحلة الثانية هي دور الازدهار ابتداءً من اعلان الحكم الوراثي وفيها كان خمسة وسبعون بالمائة من الولاة من " السادة " والمرحلة الثالثة هي دور الانحلال وفيها كادت ان تتساوى نسبة اشياخ الموحدين بـ " السادة " فما هو تعليل هذا التباين في نسب الاصناف الثلاثة ؟ ان المرحلة التي سبقت اعلان الحكم الوراثي هي مرحلة تأسيس للدولة ولم تكن فيها سلطة عبد المؤمن مطلقة فاحتاج لمعاونة اشياخ الموحدين - وهم عصب الحركة الموحدية - لارساء قواعد الدولة وتدعيمها فلا غرابة ان عين عبد المؤمن اكثرية الولاة في تلك الفترة من بينهم . واما الحكام السابقون فقد عينهم عبد المؤمن في الاندلس لما " وحد " المنترون في انحائها . ويبدو ان عبد المؤمن اراد ان يتألف بقية المنترين يمثل هذه السياسة ولكن لما ثارت القبائل المغربية بعد فتح مراكش خرج اولئك المنترون السابقون ثائرين (٢) ، فلما اخضع الاندلس مرة اخرى لم يترك غير أبا بكر محمد بن سيد راي بن وزير واليا لانه الوحيد من حكام الاندلس والسابقين الذي ظل على ولائه ايام الفتنة فعينه واليا على شلب وأحوازها . وظل في منصبه الى عام ١١٥٢/٥٥٢ (٣) حينما اضيفت منطقة الغرب الى ولاية اشبيلية (٤) . وسياسة

(١) نفتح (ط . محي الدين) ج ٤ ص ١٠٦ .

(٢) راجع العبر ج ٦ ص ٤٨٥ - ٤٨٦ .

(٣) الحلة السيرة ج ٢ ص ٣٧١ .

(٤) البيان المغرب ج ٣ ص ٣٤ .

التألف هذه اتبعها يوسف بن عبد المؤمن عندما فتح شرق الأندلس فولى بطشسية = بلنسية
أحد بني مردنيش الذين افتتحت من أيديهم (١) . وهذه السياسة هي التي تفسر تعيين الحكام
السابقين. ولاية، ومن ظل على ولائه لبني عبد المؤمن فقد لقي حظوة توارثها بنوه من بعده (٢) .
ولما تبدل موقف عبد المؤمن وأصبحت سلطته مطلقة ونقل الحكم إلى بنيه ، رافق إعلان
الحكم الوراثي تبدل في سياسة عبد المؤمن في تعيين الولاية ، فأسس مدرسة الحفاظ وتخرج
منها ثلاثة عشر من بنيه فولاهم الولايات سنة ١٥٥١ / ١٥٥٦ (٣) . وربما خشي عبد المؤمن
خروج الولايات عن طاعته أن ولاها لغير بنيه بعد أن أعلن الحكم الوراثي فاتبع الدبلوماسية
ذاتها التي اتبعها في إعلان الحكم الوراثي وترك الأمر يأتي من أهل الولايات نفسها (٤) . وتعيين
أبنائه ولاية كان خطوة نحو تركيز الحكم الوراثي نفسه . وقد فعل عبد المؤمن هذا سياسة
اتباعها الخلفاء من بعده (٥) وخاصة أن القرابة والأبناء لم يكونوا قليلي العدد (٦) .

-
- (١) البيان المغرب ج ٣ ص ١٥٩ .
(٢) الحلة السيرة ج ٢ ص ٢٧٢ - ٢٧٣ ، ٢٩٩ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٣١٤ .
(٣) رسائل موحدية ص ٦٦ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٣٤ . الكامل ج ١١ ص ٢١١ ،
نهاية الأرب ص ٢٠٨ ، الحلل الموشية ص ١٢٥ ، ولكن صاحب الحلل الموشية يقول كانت
التولية بعد تخريج الحفاظ ولا يذكر سنة . ولكن البيهقي يذكر تولية أبناء عبد المؤمن
في سنة ٥٤٨ (أخبار المهدي ص ١١٦) وفي روض القرطاس سنة ٥٤٩ (ص ١٢٦) وعند
ابن خلدون سنة ٥٤٧ (العبر ج ٦ ص ٥٠٣) وما قبلناه هنا اعتمادنا فيه على التاريخ
الذي تحدده الرسائل الرسمية .
(٤) راجع رسائل موحدية رسالة رقم ١٤ .
(٥) راجع الملحق الخامس .
(٦) كان الخلفاء الثلاثة الأول كثيرى الانجاب فلعل ما يقرب من الخمسة عشر ولدا راجع (المن
بالامامة ص ٢٢٢ - ٣٣٣ ، المعجب ص ١٩٨ ، ٢٤٥ ، ٢٦٢ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٥٦ ،
١٣٩ ، روض القرطاس ص ١٣٢ ، ١٣٩ ، ١٤٢) .

ولكن في دور الانحلال كان الخليفة اسيرا للعناصر التي سعت في بيعته فلهذا
كثر تعيين اشياخ الموحدين ولاة في هذا الدور . وبالرغم من تنفيذ الاشياخ وضعف الخلافة
فقد كان كثير من السادة ولاة في هذه الفترة ويبدو ان هذه الظاهرة تعود الى ان الناس
كانوا ينظرون لولاية السادة من بني عبد المؤمن في تجلة واحترام واعتبروها رمز الطاعة للخليفة ،
يدلنا على ذلك ان الولايات التي انسلخت عن بني عبد المؤمن عندما اراد اهلها بيعه للخليفة ،
ثانية قدموا على انفسهم سيدا (١) . بل ان حاكما مستبدا يأمر ولايته مستقلا بها مثل العزفي في
سبته عندما اراد ان يبايع الخليفة طلب منه سيدا ليكون الى جنبه (٢) .

سلطات الولاية :

كانت مهمة الوالي عسكرية في المقام الاول (٣) ، فيحفظ الامن الداخلي بالقضاء على الثورات (٤)
ويدفع الخطر الخارجي ، ويساهم في مساعدة ولاية مجاورة عسكريا (٥) ، ويشترك في غزوات الخليفة
الكبرى بنفسه وجنده او يساعد بعسكره ومؤنه (٦) ، ويشرف على بناء الحصون والقلاع

-
- (١) البيان المغرب ج ٣ ص ٣٣٧ ، ٣٤٠ .
 - (٢) المصدر ذاته ج ٣ ص ٤١٤ ، العبر ج ٦ ص ٥٤٢ .
 - (٣) راجع المعجب ٢٢٨ ، الكامل ج ١١ ص ٢٢٣ - ٢٢٤ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٦٨ ،
روض القرطاس ص ١٢٦ ، ١٣٠ ، نهاية الارب ص ٢٠٩ ، ٢٢٧ ، العبر ج ٦ ص ٤٨٨ .
 - (٤) البيان المغرب ج ٣ ص ٣٣٤ ، ٢٨٤ ، ٣٤٣ ، نفع (ط . مخي الدين) ج ٤ ص ١٠٤ .
 - (٥) المن بالامامة ص ٣٩٧ - ٣٩٨ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٥٤ ، ٢٢٩ .
 - (٦) المصدران ذاتهما ص ٢١٣ - ٢١٤ ، ج ٣ ص ٩٠ ، ١٤٢ ، ١٩١ - ١٩٢ .

الحريية (١) .

وقد يتصل بالدول المجاورة لتسهيل اعمال التجارة (٢) . وقد يقوم باعمال عمرانية مثل

انشاء القصور وزرع الجنان (٣) . ومع ان مهمة الوالي عسكرية في الدرجة الاولى ولم

يكن يشرف على الادارة المالية في طور الازدهار فقد وجد قلة من الولاة قد فوضوا تفويضا

كاملا لادارة ولايتهم لاسيما الاشراف المالي ، وقد كانوا اما من اهل ~~ال~~ ثقة الخليفة (٤)

اولان حالة ولايتهم استدعت مثل ذلك التفويض (٥) . غير ان الولاة استبدوا بادارة شئون

ولاياتهم منذ خلافة المستنصر (٦) فكثرت الولاة الاستبداد في دور الانحلال .

وكان الولاة في دور الازدهار يخضعون لمراقبة دقيقة ومحاسبة عسيرة من قبل الخلفاء .

وكان على الوالي ان يبلغ الحضرة كل ما يستجد في منطقتة من الاحداث ويجب ان يستشير

الخليفة فيما يريد ان يفعل وان يعلمه نتيجة ما فعل (٧) . وفي حالات الحرب ينبغي على الوالي الا

(١) المن بالامامة ص ١٢٩ ، ١٣٩ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ . البيان المغرب ج ٣ ص ٨٣ .

(٢) نفع (ط . محي الدين) ج ٤ ص ١٠٣ .

(٣) البيان المغرب ج ٣ ص ١٧٩ ، العبير ج ٦ ص ٥٢٠ ، الاحاطة ج ١ ص ٤١٩ .

(٤) البيان المغرب ج ٣ ص ١٧٤ ، ٢١٣ ، العبير ج ٦ ص ٥١٥ .

(٥) المصدران ذاتهما ج ٣ ص ٣٥٤ ، ج ٦ ص ٥٣٧ ، تاريخ الدولتين ص ١٨ .

(٦) روض القرطاس ص ١٦٠ .

(٧) المن بالامامة ص ٣٦٩ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩٨ - ٣٩٩ ، البيان المغرب

ج ٣ ص ٣١ - ٣٢ ، ٣٣ .

يعقد هدنة او يبرم سلما الا بعد موافقة الخليفة (١) . وتشديدا في مراقبة الولاية كان الخلفاء يستدعونهم الى العاصمة ويسألونهم عن اعمالهم (٢) ، ومن استبد برأى دون مشورة الامام نقل او عزل .
واذا القينا نظرة على جدول الولاية المرفق بهذه الدراسة يتبين لنا ان نقل الولاية كان سعة بارزة للادارة الموحدية في طوارزدها والدولة . وربما كان سبب هذه الظاهرة هو قصور بعض الولاية عن ادارة منطقة مضطربة فينقلون الى ما هي ايسر منها ادارة . وقد كانت التنقلات تحدث في الغالب الاعم نتيجة استعداد خليفة لغزوة فيولي المنطقة التي ستكون مكان اعماله العسكرية الى من يثق فيهم او من يتوسم فيهم الكفاية (٣) .

وعلى الرغم من سهر خلفاء دور الازدهار في محاسبة الولاية ومعاقبة المهملين والمستبدين منهم فقد اهل ولاية في اعمالهم ، واستبد اخرون بافعالهم ، فعزلوا او نقلوا (٤) . ويبدو ان هذه المحاسبة الدقيقة فقدت في دور الانحلال اذ لم نجد ان واليا قد عزل او نقل بسبب اهماله او استبداده .

(١) البيان المغرب ج ٣ ص ٣٤ ، العبر ج ٦ ص ٢٤٤ - ٢٤٦ .

(٢) البيان المغرب ج ٣ ص ٨٣ ، ١١٢ .

(٣) المصدر ذاته ج ٣ ص ١٧٤ ، ٢٣٣ - ٢٣٤ ، الكامل ج ١٢ ص ١٤٦ ، نهاية الارب ص ٢٢٧ ،

العبر ج ٦ ص ٥٢١ .

(٤) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٩ - ٣٠ ، ١٧٣ ، ٢١٩ ، نفح (ط . محي الدين)

ج ٦ ص ٢٩ .

حكم الولايات :

منذ ان عين عبد المؤمن ابناؤه على قواعد البلاد ارسل معهم كبار اشياخ الموحدين مستشارين وأرسل الطلبة والحفاظ اداريين وقادة عسكريين وبعث معهم فقهاء وقضاة وجندا من الغزات (١) وكتابا (٢) . وسار يوسف على ذلك النهج لما ولى ابناؤه قواعد البلاد (٣) . فاذن هيكل الادارة الاقليمية لم يختلف عن ذلك الذي كان في عاصمة الدولة وبيبرز التتابع بينهما بوضوح ابتداء من خلافة المنصور فوجد في الولاية الى جنب الوالي الوزير (٤) وكاتب الرسائل (٥) وصاحب الاعمال الذي شرحنا مهامه وبيننا مساعديه في هذا الفصل في مناقشة الادارة المالية المركزية .

وأما حكام اقسام الولاية فلم يرد ذكر لسيد بينهم الا نادرا جدا (٦) . وكان اغلب حكام الاقسام من الحفاظ من ابناء الموحدين اولى السبق في الدعوة (٧) أو من الحفاظ أو من ابناء

-
- (١) رسائل موحدية ص ٦٥ - ٦٦ وأشارت بعض المصادر الى بعض من ارسل انظر المعجب ص ٢٠٦ - ٢٠٧ ، ٢٢٤ ، نظم الجمان ص ١٤٠ .
 - (٢) الحلل الموشية ص ١٢٦ ، روض القرطاس ١٢٦ - ١٢٧ .
 - (٣) البيان المغرب ج ٣ ص ١٢٩ .
 - (٤) المصدر ذاته ج ٣ ص ١٤٠ ، العبر ج ٦ ص ٤٩١ ، ٤٩٧ .
 - (٥) المن بالامامة ص ١٢٧ ، برنامج الرعييني ص ٣٧ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٢٣ ، اختصار القدح المعلى ص ٤٢ ، ٨٩ ، ١١٤ ، ١١٨ ، الحلل الموشية ص ١٢٦ ، العبر ج ٦ ص ٥٨٤ ، تاريخ الدولتين ص ١٨ .
 - (٦) انظر البيان المغرب ج ٣ ص ١١٠ ، ٢٠٤ ، الكامل ج ١٢ ص ١٤٦ ، العبر ج ٦ ص ٥١٣ .
 - (٧) المن بالامامة ص ٣٩٢ ، ٣٩٦ ، ٥١٥ - ٥١٦ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٩٨ ، ١٠١ - ١٠٣ ، ١٠٥ - ١٠٦ ، ١٧٥ ، روض القرطاس ص ١٣١ .

المناطق المفتوحة (١) .

خلاصة ونتائج :

ان التقسيم الادارى الموحد يدل على ان الموحدين بنوا نظامهم على اساس من النظم الادارية التي سبقتهم فنظرتهم الدينية لم تحل دون استفادتهم من خبرات من اعتبروهم كفاراً مجسمين ، كما ان اختلاف التقسيمات الادارية في الفترات المختلفة في طور الازدهار يدل على مرونة الخلفاء في ذلك الدور الامر الذي يفسر فعاليات الدولة وقتذاك ومقدرتها على مواجهة المشاكل المتجددة ، غير ان حصر تعيين الولاة في السادة بني عبد المؤمن والمخلصين من اشياخ الموحدين للأسرة الحاكمة حال دون مراعاة الكفاية فيمن يتولون المناصب الادارية الكبرى وقد اثبتت هذه السياسة فشلها في مناطق الاحتكاك بقوة معادية منظمة هشل افريقية حيث دوخ بنو غامية جيوش الخلافة الموحدية ، والاندرلس حيث اضطر الخلفاء في دور الازدهار الى الجواز المستمر لروح الجيوش المسيحية بعد ان كان الولاة يفسلون في ردها ويتجلى الفشل خيراً ما يتجلى في ولاية الغرب (شلب واحوازا) وقد اورد ابن عذارى نقداً مركزاً للإدارة في هذه المنطقة (٢) .

ولئن افاد تعيين "السادة" على الولايات في دور الازدهار فساعد على تركيز حكم اسرة بني عبد المؤمن وامنوا نوعاً ما من استبداد اشياخ الموحدين بحكم ولاية فقد اضرب وجود السادة على الولايات في دور الانحلال بالدولة ووحدتها ضرراً بليغاً ان وجد كل سيّد ظامع في ادعاء الخلافة من جند ولايته ومواردها سندا وعضداً مكاناً .

(١) المعجب ٢٧٦ ، الحلة السيرة ج ٢ ص ٢٩٥ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٨٥ ، ١٨٥ .

(٢) البيان المغرب ج ٣ ص ١٠١ - ١٠٣ .

الانتزاع بمنطقته وادعاء الامر وشقاق الخليفة القائم^(١) الامر الذي اغرق
الخلافة في مشاكل داخلية فشغلت بها عن خطر انفصال الولايات البعيدة
التي فقدوها الواحدة تلو الاخرى بل ان المغرب الاقصى الذي بقي للموحدين نازعهم
عليه العرب والمرينيون .

الفصل السادس

(الخط الدينيّة)

الفصل السادس

الخطط الدينية

ميز الفاطميون في مصر بين مناصب الادارة المدنية ومناصب رجال الدين مع ان الذين كان جوهر فكرتهم وحجر الاساس في دولتهم . فقد اطلقوا على مناصب رجال الدين " الوظائف الدينية " (١) ، ولما عالج ابن خلدون النظم الاسلامية في مقدمته سعى الخطط التي تتناول شئون الدين بـ " الخطط الدينية " (٢) . ولا نعلم ان الموحدين اطلقوا مصطلحا مثل هذا على مناصب رجال الدين ، ولكننا رأينا من الاوفق ان نسمي هذا الفصل " الخطط الدينية " على الرغم من عدم استعمال الموحدين للمصطلح لاننا سنعالج فيه تلك الخطط التي عنيت بتطبيق الدين على واقع الحياة مثل القضاء وما يتعلق به من شورى وتوثيق وحسبة وشرطة ، ومثل الصلاة وما دخل في مضارها من امامة وخطبة ، كما واننا سنعالج وظيفة متولي الخزانة العلمية لان متوليها عند الموحدين لا يكون الا فقيها . اذ الى هذا ان هذه الخطط ارتبطت بتنظيم " طلبة الحضر " ارتباطا وثيقا اذ ان الخلفاء لم يعينوا ارباب هذه الخطط (٣) الا من " طلبة الحضر " ولم يذكر ان احدا من الموحدين اولى السبق في الدعوى والفضول

(١) صبح الاعشى ج ٣ ص ٤٨٦ .

(٢) العبير ج ١ ص ٣٩٢ .

(٣) هناك اشارات كثيرة الى ان من تولوا الخطط الدينية كانوا من " طلبة الحضر " انظر

مثلا عنوان الدرامية ص ١٣١ ، الديباج ص ٦٠ .

في قيام الدولة قد تولى هذه الخطط الا في حالات قليلة سنبينها في مواضعها من هذا الفصل ونشرح ظروفها .

ولما كانت طبيعة الخطط التي نحن بصددها دراسة هي تطبيق الحكم الشرعي رأينا من المفيد ان نبدأ بدراسة مصادر الاحكام عند الموحدين ثم نعقب ذلك بدراسة هذه الخطط .

مصادر الاحكام :

- ذكرنا في الفصل الثالث ان ابن تومرت حصر منابع التلقي في القرآن والسنة وقلنا ان الامام هو المفسر للمصدرين والمرجوع اليه فيما سواهما من امور الدين والدنيا (١) . وسار خلفاؤه على هذا النهج ، فأكدوا على وجوب التزام الكتاب والسنة (٢) وما يشير به الخليفة الامام حتى ان عبد المؤمن حذر اهلى الولايات من الاستبداد برأى في حكم يتطلب اجتهادا دون الرجوع اليه ، فهو يقول في رسالة بعثها سنة ٥٤٣ / ١١٤٨ الى كافة أقطار الموحدين " ولا تظنوا ان الاجتهاد في الامور يؤدى الى الهجوم عليها والاقترام ... ولا تجتهدوا في شيء لا تعلمون فيه حكما ، وشاورونا فيما يخفى عنكم وجهه لنرسم لكم فيه رسما ... " (٣) . ولما تولى يوسف الخلافة بعث رسالة تؤكد المعاني ذاتها (٤) . والتأكيد على سلطة الخليفة كمصدر من مصادر الاحكام مذهب يتمشى مع السياسة

(١) راجع الفصل الثالث ص ٩٨ .

(٢) انظر نظم الجملة ص ١٥٣ - ١٥٩ .

(٣) المصدر ذاته ص ١٥٩ .

(٤) راجع المن بالامامة ص ٣٠٢ - ٣٠٥ .

المركزية التي جعلها الموحدون اسلوبا لحكمهم . وسبب من هذا المصدر في الاحكام استطاع
الموحدون مخالفة ظاهر الشرع في احيان قليلة فلم تتعقد ذمة ليهودي او نصراني في دولتهم (١) ،
وقد قتل المنصور على السكر (٢) .

والى هذه المصادر الثلاثة اضاف عبد المؤمن مصدرا رابعا هو "عمل المهدي ابن تومرت"
ففي رسالة "الفصول" التي بعثها الى الولايات امرهم بامثال حكم المهدي ابن تومرت في تارك
الصلاة ومانع الزكاة ومن يأتي المحرمات . وينهمك في المحظورات من المفسدين والمفسدات اذ
ان الانقياد "لما يقضي [ابن تومرت] به واجب والاستمسك بأمره حتم ، والرجوع اليه في أمر
الدين والدنيا فرض لأن قضاءه وأمره هو قضاء ربه وأمره وارادته وحكمه " لأن "العصمة عليه منقولة
منصوصة ، فلا مطمع من الهداية الا منه ولا وجه لأخذ العلم ومعرفة الحقيقة الا عنه ومن لدنه" (٣) .

ويبدو ان عمل الصحابي "كان يعتبر مصدرا من مصادر الاحكام الا اذا رأى الخليفة
غير ذلك . فقد جوز الموحدون شرب الرب وبيعه اقتداء بعمر بن الخطاب لقول الرسول (ص)
"أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم" ولكن يوسف بن عبد المؤمن عاد وحرّم شرب الرب
لما توسع الناس في شربه من غير حصر فأمر بقطعه بالكلية لأنه رأى ذلك "أخلق بالاحتياط
لدينهم (الموحدين) وأجدر" (٤) .

(١) راجع الفصل الثالث ص ١٢٤ - ١٢٥ .

(٢) نفح (ط . محي الدين) ج ٤ ص ١٠٢ .

(٣) رسائل موحدية ص ١٣٥ . أخبار المهدي ص ١٤٢ .

(٤) رسائل موحدية ص ١٦٦ .

ولا نستطيع ان نختتم الحديث عن مصادر الاحكام عند الموحدين دون ان نشير الى
مسألتين شغلتا الناس أيام الموحدين هما علاقة الموحدين بالمذهب الظاهري والمذهب
المالكى .

في دراستها لافكار ابن تومرت في التوحيد رجحنا ان بعض آراء ابن حزم وجدت طريقها
الى آراء ابن تومرت في التوحيد^(١) ، وفي بداية هذا الفصل اشرنا الى أن الموحدين جعلوا
القرآن والسنة المصدرين الاساسيين لاحكامهم ، وفي غير موضع من هذه الدراسة نبهنا الى
تأسي ابن تومرت وخلفائه بالرسول (ص) في كثير من الافعال ، وكل هذه المظاهر تجعل الموحدين
اقرب الى المذهب الظاهري عن غيره من المذاهب . ويبدو ان الاتجاه نحو المذهب الظاهري
بدأ من خلافة يوسف بن عبد المؤمن . وربما كان دافعه للتمسك بظاهر القرآن والسنة تشعب
الآراء في المسألة الواحدة^(٢) ، ولكن الفقه الظاهري لم يتخذ مذهباً رسمياً الا في خلافة
المنصور فحمل الناس على الظاهر من القرآن والسنة^(٣) . ومنذ خلافته تولى فقهاء
من اهل الظاهر القضاء^(٤) ، وامتنح من انتقد ابن حزم^(٥) ، وربما آخرت مخالفة

(١) الفصل الثالث ص ٩٤ .

(٢) المعجب ص ٢٧٩ ، نهاية الارب ص ٢٢٨ .

(٣) المصدران ذاتهما ص ٢٧٩ ، ص ٢٢٨ ، نفع (ط) . محي الدين ج ٤ ص ١٠٠ .

(٤) مثلاً انظر الذيل والتكملة ج ٥ ص ٢٣٨ .

(٥) عنوان الدراية ص ١٤٦ - ١٤٧ ، الديباج ص ٢٨٦ .

ظاهر الشرع القاضي عن منصبه^(١) ولعل هذا ما يفسر لم غلب ابن حوط الله الانصارى
المالكي طريقة الظاهرية في قضاءه^(٢) . ويبدو ان التشديد في اتباع المذهب الظاهري
دفع بعض فقهاء المالكية الطامعين في تقلد الخطط الكبرى الى اظهار التشيع الى ابن
حزم . فقد ذكر الرعيني **إن** ابا القاسم احمد بن يزيد ممن استقضى " كان يرغب عن مذهب
مالك ، ويميل الى الظاهر وينزع الى ابن حزم ويتشيع له " ^(٣) . ومن الراجح ان هذه
السياسة الظاهرية المتشددة لم تستمر بعد المنصور امدا طويلا ان ابن عبد الحق بن
عبد الله تقلد قضاء الجماعة في ايام المستنصر وقد كان مالكيًا متشدداً وخصما للظاهريّة
وخلف كتابا في الرد على ابن حزم ^(٤) .

وربما كان اقتناع المنصور بالمذهب الظاهري هو دافعه للسياسة التي انتهجها
فقد روى ابن سعيد المغربي فيما نقله عنه المقرئ أن المنصور قال : " كل العلماء عيال
على ابن حزم " ^(٥) ، ولكن هذا الاقتناع الشخصي وحده لا يفسر الشدة التي اتبعها
المنصور في تطبيق المذهب الظاهري ولا يلقي ضوءا على العنف الذي واجه المنصور
به بعض المالكية . ويبدو لنا ان الامر ارتبط باحداث سياسية فعمقت هذه الاحداث الفكرة
عند المنصور . ولا اعرف خليفة موحديا قبل المنصور امتحن فقهاء المالكية . وقد جاء
امتحانهم بعد معاونة مالكية بجاية لبني غانية ^(٦) . وهناك روايات ربطت بين هذا
التعاون وتحول المنصور نحو الظاهرية بهذه الصورة العنيفة ^(٧) . وربما احنق المنصور

(١) عنوان الدراية ص ١٨ .

(٢) الديباج ص ١٤٢ .

(٣) برنامج شيوخ الرعيني ص ٥٠ .

(٤) نيل الابتهاج ص ١٨٤ . (٥) نفع (ط . محي الدين) ج ٤ ص ٢٢٢ .

(٦) الديباج ص ٢٣ - ٢٥ .

(٧) الكامل ج ١٢ ص ١٤٥ ، نهاية الارب ص ٢٢٨ ، وقد اورد المراكشي روايته عن اتجاه المنصور
الفقهي بعد حملة بجاية على بني غانية راجع المعجب ص ٢٢٨ .

تعاون المالكية في بجاية مع بني غانية فجاءت ردة الفعل شاملة للمذهب واهله . ولا سيما وانه كان متهيئا لمثل تلك السياسة بفضل ميله الى ابن حزم . ولهذا لا نستبعد ان يأمر بحرق كتب المذهب المالكي ويسعى في محوه فيأمر بتصنيف مجموع من كتب الحديث ويجعل الجعل السني لمن يحفظه^(١) حتى يكون بديلا لكتب الفقه المالكي . كما لا نستبعد ان يكون قد استقضى الشافعية في اواخر ايامه^(٢) لكاية بالمالكية .

ويستوقفنا تعليق ورد عند المراكشي لما روى سياسة المنصور تجاه المذهب المالكي ، يقول المراكشي " وهذا المقصد بعينه كان مقصد أبيه وجده " فهل اراد عبد المؤمن وابنه يوسف محو المذهب المالكي ؟ ان فقهاء المذهب المالكي كانوا اهل الحل والعقد في دولة المرابطين . ولم يكن امراء لمتونة يقومون بامر دون مشورة اولئك الفقهاء^(٣) ، ولما قام ابن تومرت بدعوته شن حربا عاتية على فقهاء المالكية لانهم اهل القيادة والتوجيه في الدولة المرابطية^(٤) ، ولكننا لا نعلم ان ابن تومرت انتقد الفقه المالكي مثلما انتقد عقيدة التوحيد عند المالكيين ، بل ان الموطا الذي صنفه كان مأخوذا عن موطا مالك مع حذف الاسانيد^(٥) ، فكان ابن تومرت قد ميز بين العقيدة والفقه

(١) المعجب ص ٢٧٩ . (٢) الكامل ج ١٢ ، نهاية الارب ص ٢٢٨ .
(٣) المعجب ص ١٧١ - ١٧٢ ، نظم الجمان ص ١٠٦ ، البيان المغرب (ط . دار الثقافة) ج ٤ ص ٤٦ ،
الحلل الموشية ص ٧٤ - ٧٥ ، ٧٩ - ٨٠ ، ٨١ .

(٤) راجع الفصل الثالث ص ٩٦ .

(٥) الدعوة الموحدية ص ٣١٤ نقلا عن مقدمة موطا ابن تومرت لجولد تسهير غير ان علام يقول ان الموطا التومرتي ليس من تصنيف ابن تومرت وانما صنف المهدي بعض فصوله مثل فصل الطهارة واما بقية الفصول

فقد صنفت بأمر المنصور على قرار فصول ابن تومرت (الدعوة الموحدية ص ٣٠٩) ويرى علام ان ابن تومرت كان مالكيا في الفقه (الدعوة الموحدية ص ٣٠٤) ولم نظفر بنسخة من موطا ابن تومرت حتى نبدو رايانا في هذه الاقوال لاننا لا نعلم ما هي الفصول التي صنفت في عهد ابن تومرت حتى نستنتج الى اية درجة كان ابن تومرت متقاربا مع المذهب المالكي ولكننا نقول انه لم نجد ما يفيد ان ابن تومرت وقف موقفا عدائيا من الفقه المالكي .

عند المالكيين ، كما فرق بين المذهب واتباع المذهب ، وقد كان فقهاء المذهب هم المتنفذون في مجتمع قام ابن تومرت لتغييره .

واما عبد المؤمن فقد روى صاحب القرطاس انه امر بحرق كتب الفروع وامر الناس بقراءة كتب الحديث^(١) . ولم تشر المصادر الاخرى الى هذا وربما نسب صاحب الروض الى عبد المؤمن ما نسبته المصادر الاخرى الى المنصور . وكيف ما كان الامر فان عهد عبد المؤمن لم يشهد سياسة متشددة مع فقهاء المالكية بعد فتح مراکش . ذكرنا في الفصل الثالث ان عبد المؤمن بدل مفهوم " التوحيد " حتى يضم كل من خضع للدولة الموحدية ، بل احدث تنظيمًا جديدًا سماه طلبة الحضرة ضم فقهاء العصر وعلماءه وقد كان اكثرهم مالكية^(٢) . ووضحنا في الفصل الخامس كيف استفاد عبد المؤمن من اداري المرابطين في الكتابة والادارة المالية وقد كانوا على المذهب المالكي^(٣) . والسياسة ذاتها اتبعها في الخطط الدينية ، فقد تولى القضاء في عواصم الولايات منذ فتح مراکش حتى نهاية الدولة رجال من كبار المالكية مثل ابن الصقروا بن رشد^(٤) وابن زرقون^(٥) وعبد المؤمن ابن الفرس وعن الاخيرين قال ابو بكر بين الجد " ما اعلم بالاندلس احفظ لمذهب مالك من عبد المؤمن ابن الفرس بعد ابي عبد الله بن زرقون " ^(٦) وغير هؤلاء الجسم

(١) روض القرطاس ص ١٢٧ ، الاستقصا ج ٢ ص ١٢٦ .

(٢) راجع الفصل الثالث ص ١١٨ وما بعدها .

(٣) راجع الفصل الخامس .

(٤) الاحاطة ج ١ ص ١٩٠ ، الديباج ص ٤٩ .

(٥) الديباج ص ٢٨٥ .

(٦) الذيل والتكملة ج ٥ ص ٦٢ ، الديباج ص ٢٨٦ - ٢٨٧ .

ان التقارب بين الموحدين وعدد غير قليل من المالكية امر لا نستبعده ، وربما تقرب بعض المالكية تقية ، وقد ذكرنا قبل قليل ان عددا منهم اظهر التشيع لابن حزم وورث عن مذهب مالك ومن جهة اخرى فان عددا ليس باليسير كان مالكيا في الفقه ولكنه في العقيدة نحا منحى عقليا كلاميا ويكفي ان نذكر القاضي ابن رشد الحفيد فيلسوف المغرب الاسلامي كدليل على ما نقول وهناك غيره^(١) ، ويبدو ان من لم يكن على حظ من علم الكلام واراد التقرب من بني عبد المؤمن كان يحاول ان يتعلم شيئا ليشترك في مجالس "طلبة الحضر" التي كانت تعقد بحضور الخلفاء . وابن عات النفزي الشاطبي (ت ٦٠٩ هـ) خير مثل على ذلك^(٢) .

ومن كل ما تقدم يتضح ان الدعوة الموحدية كانت متقاربة في فكرها الفقهي من المذهب الظاهري فلا عجب ان يكون المذهب الظاهري مصدرا من مصادر احكامهم . واما الفقه المالكي فلم يتضرر الا ايام المنصور وحرى بنا ان نفرق بين موقف الموحدين من آراء المالكية في العقيدة وبين آراء المالكيين في الفقه . كما يجب ان نفرق بين موقف الموحدين من الفقهاء المالكيين الذين والوهم وتقربوا منهم وبين موقفهم ممن ناصبهم العدا .

بقي الآن ان ننظر في النظم التي تولت اصدار الاحكام وفق هذه المصادر واعدت في اقرار الاحكام او باشرت تنفيذها .

القضاء :

منذ القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي اتخذ الخلفاء لقباً مميزاً لقاضي العاصمة

(١) الديباج ص ٤٥ ، ٤٨ ، ٥٥ ، ١٧٢ ، ٢٨٤ .

(٢) الديباج ص ٦٠ .

عن قضاة الولايات فلما عين الرشيد العباسي ابا يوسف صاحب ابي حنيفة قاضيا لقبه "قاضي القضاة" فاصبح لقبه هذا لقباً لقضاة العاصمة في المشرق . واما في المغرب فقد كان قاضي قرطبة عاصمة ولاية الاندلس يسمى " قاضي الجند " غير انه ابتداءً من امارة عبد الرحمن الداخل سمي قاضي العاصمة الاندلسية "قاضي الجماعة" . ويبدو ان المصطلح الجديد لم يشع استعماله الا بعد ان اندثر اللقب القديم في ختام القرن الثاني الهجري / بدايسة القرن التاسع الميلادي^(١) . وهناك ما يفيد ان لقب "قاضي الجماعة" الاندلسي يساوي لقب "قاضي القضاة" المشرقي في الاختصاصات^(٢) والنباهي بين الذين يذهبون الى هذا الرأي غير انه روى رواية لم يلتفت الى مدلولها وهي تفيد ان لقب "قاضي القضاة" عرف بالاندلس منذ ايام ملوك الطوائف الاول وهو اعلى مرتبة من "قاضي الجماعة"^(٣) ، ولا نستطيع من اشارة واحدة ان نصدر حكماً وربما اطلق راوي هذه الاشارة اللقب تشريفاً ومعظيماً ان الوقت الذي تتحدث عنه الرواية هو فترة ضعف الاندلس بعد سقوط دولة بني امية . ومهما كان الامر فان الاستعمال الغالب في المغرب هو "قاضي الجماعة" . وفيما يرويه النباهي ان الجماعة قد تعني جماعة القضاة ان تعينهم في بداية الامر كان من اختصاص قاضي الجماعة^(٤) .

(١) قضاة قرطبة ص ١٤ ، Hopkins; p. 120

(٢) المرقبة العليا ص ١١٧ ، نفح (ط . الرفاعي) ج ٢ ص ١٠١ .

(٣) المرقبة العليا ص ٨٦ .

(٤) المصدر ذاته ص ٤٢ .

وبالنسبة للفترة الموحدية التي ندرسها فان اغلب المؤرخين الذين كتبوا تاريخا عاما لا يذكرون اللقب وتلا تعني كلمة "قضاته" التي يذكرها مؤرخ الفترة مع كل خليفة يروى احداث خلافته الا قضاة الجماعة ، فقد اشار المراكشي لأحد هؤلاء القضاة في موضع واحد بلقب "قاضي الجماعة" ^(١) والمراكشي رجل معاصر للدولة الموحدية ، فلولا ان اللقب كان متداولاً لما استعمله ، وهناك شواهد من كتب الرجال المعاصرة تؤكد النتيجة التي توصلنا اليها وتدل على ان اللقب كان يستعمل رسمياً . فقد بعث ابو بحر صفوان بن ادريس (ت ٥٩٨) صاحب زاد المسافر برسالة الى قاضي الجماعة ابي القاسم ابن بقي حين قلد الخطة سنة ٥٩٢ / ١١٩٦ وتكرر لقب قاضي الجماعة فيها مرارا . ^(٢)

كما ان المنتزعين الذين استقلوا بولاياتهم في اواخر الدولة الموحدية كانوا يعينون قضاة للجماعة ^(٣) . وفي حالات قليلة وفي مصادر متأخرة عن العهد الموحدى لقب بعض قضاة الولايات بقضاة الجماعة ^(٤) . وربما اورد اصحاب هذه التراجم المتأخرة اللقب تشريفا للمترجم لهم .

(١) المعجب ص ٢٤٦ .

(٢) راجع الذيل والتكملة ج ٤ ص ١٤٠ - ١٤٢ .

(٣) انظر المصدر ذاته ج ٥ ص ١١٤ ، ٢٤٩ ، تاريخ الدولتين ص ٢٤ .

(٤) صلة الصلوة ص ٥٦ ، التشوف ص ٧٩ ، الديباج

ص ٤٨ ، ٨٠ ، ٢٨٤ ،

نيل الابتهاج ص ١٨٤ .

ومنصب القضاء ليس من الخطط التي استخدمت بعد قيام الدولة . فقد كان احد
" العشرة اهل الجماعة " وهو اسماعيل الهزرجي يقضي بين الناس عن اذن المهدي^(١) . ولما
تولى عبد المؤمن الامر قلد خطة قضاء الجماعة أبا عمران موسى صهره وهو أحد اهل خمسين .
وبعد ان استقوت الدولة لم يقلد الخلفاء احدا من الموحدين اولى السبق في الدعوة هذا
المنصب بل ولوها لفقهاء من " طلبة الحضرة "^(٢) . وغالبا ما يصل متولي هذه الخطة الى منصبه
بعد ان يكون قد تدرج في كثير من الخطط الدينية في الولايات^(٣) .
وكان قاضي الجماعة يشرف على قضاء ولاية مراكش ان أنه يعين قضاة نواحيها^(٤) ،
وقد يكلفه الخليفة بالنظر في المظالم واقامة الحدود^(٥) ، وكان يشترك في توجيه سياسة الدولة
لأنه عضو في مجلس الخاصة الذي هو أعلى هيئة استشارية في الدولة الموحدية^(٦) . ولما نكب
المأمون أشياخ الموحدين وأبطل رسوم المهديية أصبح قاضي الجماعة محل استشارة الخليفة ،
وظهر كرجل موجه أساسي لسياسة الدولة^(٧) . ويبعد وان مكان جلوس قاضي الجماعة هو قصر

-
- (١) أخبار المهدي ص ٣٣ .
 - (٢) راجع الملحق السادس: القضاة والمصادر المذكورة .
 - (٣) انظر الديباج ص ٤٨ ، نيل الابتهاج ص ١٨٤ .
 - (٤) التشوف ص ٧٩ .
 - (٥) المن بالامامة ص ٤٢٠ .
 - (٦) راجع الفصل الرابع ص ١٧٥ .
 - (٧) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٦٥ ، ٢٨٤ ، الاحاطة ج ١ ص ٤١٩ .

- الخلافة ، بل أن المنصور أمر قاضيه ان يجلس في مكان يستطيع أن يسمع منه أحكامه (١) .
- وكان قضاة الجماعة حريصين على تطبيق الاحكام التي يصدرونها حتى على أهل بيت الخليفة (٢) .
- وكان الخليفة يعين قضاة عواصم الولايات (٣) بظهير يحدد فيه سلطاتهم (٤) ، وكثير من القضاة كانوا من أهل المدينة التي استقضوا بها (٥) ، ولكن هذه الظاهرة لم تكن القاعدة فقد تقلد عدد غير قليل قضاة مدينة لم تكن لهم وطنا ، ولا سيما وان التنقلات كانت سعة بارزة في سلك القضاء الموحدى ، وفي أحيان كثيرة نجد اندلسيا قاضيا في المغرب ، وفي حالات قليلة يذكر مغربي كقاض في الاندلس ، وقد يتنقل الشخص الواحد قاضيا في اماكن متعددة (٦) . ولم نجد ما يفيد في معرفة الاسباب التي دعت الخلفاء للاكثار من التنقلات في السلك القضائي .
- وكان قاضي عاصمة الولاية ينظر في الانكحة والمواريث والشكايات ويشرف على شئون المحتسب (٧) . وهناك ما يشير الى ان الشرطة كانت من ضمن اختصاصات القاضي فسي

-
- (١) المعجب ص ٢٨٥ .
- (٢) وفيات الاعيان ج ٦ ص ١٠ - ١١ .
- (٣) نظم الجمان ص ١٣٢ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ .
- الاحاطة ج ١ ص ٥١٣ - ٥١٤ ، تاريخ الدولتين ص ١٤ .
- (٤) صلة الصلة ص ١٨ .
- (٥) برنامج شيوخ الرعيبي ص ١٣٠ ، ٤٨ ، اختصار القدر ص ١٣٠ ، الذيل والتكملة ج ٤ ص ١٦٤ ، ٢٢٤ ، ٥٢٨ ، ٦٨٧ ، ٦٨٩ ، ج ٥ ص ١٦ ، ٦٩ ، ٢٦٩ .
- (٦) برنامج شيوخ الرعيبي ص ١٣٢ ، ١٥١ ، ٤٠ ، صلة الصلة ص ١٨ ، ٣٤ ، ٦٥ ، ٧٢ ، ١٣٩ ، ١٩٤ ، ١٩٨ ، الذيل والتكملة ج ٥ ص ٣٨٨ ، ٤٤٨ ، ٥٧٢ ، ٦٧٦ ، عنوان الدراية ص ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٩ ، ١٦٠ ، الاحاطة ج ١ ص ١٨١ - ١٨٢ ، الديباج ص ٥٥ ، ١٤٢ ، ٢٨٥ .
- (٧) صلة الصلة ص ١٩ .

- الولايات (١) • ولم يكن من سلطة مثل هؤلاء القضاة الحكم في الدماء او قتل الخطأ وديات الشجاج وعقول الاعضاء وأروش الجراحات ووجه القصاص والقطع في السرقات والقضايا المشككة في الاموال واطلاقها واستحقاقها والرقاب واعتاقها واسترقاقها وملتبسات المناكحات والمعاملات وتحدد الرسائل الموحدية أن كل هذه القضايا هي من اختصاص الحضرة فيجب أن ترفع اليها بعد شرحها حسب ما وقعت عليه وتفيد البيئات بالشهود العدول وكتابة اقوال المظلومين وحججهم واقترارهم واعتراهم (٢) • وقد يعطى الخليفة بعض قضاة العواصم سلطة النظر في الدماء مثل الذي فعله المنصور مع ابن الفرس قاضي غرناطة (٣) •
- والى جانب هذه السلطات فللقاضي ان يعين قضاة مساعدين له في الانكحة (٤) والاحكام (٥) والمواريث (٦) • وله ان ينيب اذا مرض (٧) • وكان قاضي الولاية يعين قضاة المدن الصغرى

-
- (١) اختصار القدرج ص ١٢٣ ، الديباج ص ٥٤ •
- (٢) المن بالامامة ص ٣٠٤ - ٣٠٥ ، نظم الجمان ص ١٥٩ وما بعدها •
- (٣) صلة الصلة ص ١٩ •
- (٤) المصدر ذاته ص ١٣٩ ، عنوان الدراية ص ٣٧ ، ١٢٥ ، ١٣٠ ، ١٤٦ ، الديباج ص ٥٤ •
- (٥) التكملة ج ١ ص ٢٢٨ ، ٢٢١ ، صلة الصلة ص ٤ ، ١١٧ ، الذيل والتكملة ج ٥ ص ٢٣٨ ، عنوان الدراية ص ١٣٠ •
- (٦) التكملة ج ١ ص ٦٧ ، الذيل والتكملة ج ٥ ص ٥٥٥ •
- (٧) عنوان الدراية ص ١٧ •

التي تقع ضمن ولايته (١) ، وفي حالات قليلة لم تدخل الخلفاء في تعيين قضاة المدن الصغرى (٢) ، الذين غالبا ما يكونون من أهل البلد التي يستقضون بها (٣) ، وربما عزلوا عن عملهم اذا عزل قاضي عاصمة الولاية (٤) .

وكان القاضي في ولايته مسؤولا عن توزيع زكاة الفطر على الضعفاء والمساكين (٥) . وكان يتولى الخطبة والصلاة في المناسبات الكبرى مثل الاعياد (٦) . وقد يستعين به الوالي في تدبير شئون ولايته لاسيما في حالات القتال (٧) . وكان القاضي يقوم بالتعريف باسماء اهل الولاية في حالسة دخولهم على الخليفة (٨) . وقد يباشر التعليم بصفته الشخصية (٩) .

ان استقلال القضاة عن الولاية في الولايات حفظ للقضاة هيبتهم ومكثهم من مباشرة

(١) صلة الصلة ص ١٠٩ ، الذيل والتكملة ج ٥ ص ٦٧٦ ، ٥٠٥ .

(٢) صلة الصلة ص ١٨ ، الاحاطة ج ١ ص ١٩٠ .

(٣) صلة الصلة ص ٢٢ ، ١٣٠ ، ١٨٤ ، الذيل والتكملة ج ٥ ص ٦١ ، ١٦٨ ، ٢٨٠ ،

٣٠١ ، ٦٣٦ ، ٦٦٤ ، عنوان الدراية ص ١٤٥ ، الديباج ص ٥٢ .

(٤) الذيل والتكملة ج ٥ ص ٧٤ .

(٥) البيان المغرب ج ٣ ص ١١٦ .

(٦) المصدر ذاته ج ٣ ص ٢٥٤ .

(٧) المن بالامامة ص ١١٦ - ١١٨ .

(٨) المصدر ذاته ص ١٤٩ .

(٩) برنامج شيخ الرعيني ص ١٤٨ ، ٥٦ .

أعمالهم دون خوف أو وجل ، فقد عرف كثير من القضاة بشدتهم مع الحكام (١) . بل ان المنصور أوصى ولايته بالرجوع الى احكام القضاة (٢) . وحرى بالذكر أن القضاة الموحدى عرف بالنزاهة في الحكم وتجري العدالة والصلابة في الحق (٣) ، ولم نجد غير حالة واحد اتهم فيها قاض بالرشوة وحتى هذه الحالة فيها شك كبير (٤) . وقد وجدت بعض الحالات التي امتنع فيها رجال عن تقلد القضاء تعففا فحملوا عليه او استعفوا (٥) . وفي حالات قليلة امتنع قضاة عن أخذ المرتب وصرفه آخرون في الصدقات (٦) .

الشورى او الافتاء :

ان الشورى او الافتاء خطة مساعدة للقضاء في اصدار احكامه . ولا يكون المشاور

-
- (١) عنوان الدراية ص ١٣٣ ، ١٤٤ .
 - (٢) روض القرطاس ص ١٤٣ .
 - (٣) نجد مثل هذه الاشارات في تراجم عدد كبير من القضاة انظر مثلا برنامج شيخ الرعياني ص ٤٨ ، ٥٦ ، صلة الصلة ص ١٩ ، الذيل والتكملة ج ٤ ص ٢٢٤ ، ج ٥ ص ٣٨٨ ، ٥٢٨ ، الديباج ص ٥٤ . نيل الابتهاج ص ١٨٤ .
 - (٤) انظر نكتة ابى جعفر ابن ابى غالب قاضي مالقة في اختصار القدر ص ١٢٣ .
 - (٥) راجع صلة الصلة ص ١٠٩ ، الذيل والتكملة ج ٥ ص ١٧٠ ، ٦٦٧ ، عنوان الدراية ص ١٣٠ .
 - (٦) الذيل والتكملة ج ٥ ص ١٧٠ . عنوان الدراية ص ١٤٥ .

الافقيها مبرزاً^(١)، وعلى الرغم من أنه ~~أقل~~ رتبة من القاضي ماذ قد يرقى المشاور
قاضياً^(٢)، إلا انه يبدي رأيه في مسائل الاحكام وعليه اعتماد القاضي ويجلس معه في مجلس
حكيمه وربما كان تعيينه من قبل القاضي^(٣).

العدالة والشهادة او التوثيق :

وقد كانت هذه الخطة من الخطط المهمة في النظام القضائي الموحدى فقد أوجب بالخلفاء
على القضاة اشهاد شهود ومدول في الاجراءات القضائية^(٤). ويبدو ان الاشهاد كان ضروريا
في حالة التولية والعزل، فقد كان من الضروري ان يشهد القاضي شاهدين ان اراد عزل أحد
قضاة المدن الصغرى الذين عينهم^(٥). ومن تراجم الرجال الذين وصلتنا وقاموا بالتوثيق
تبين لنا أن ليس منهم الا فقيه مبرز^(٦). ويبدو ان عددهم كان كبيرا في العواصم الكبرى مثل

-
- (١) راجع التكملة ج ١ ص ٣٤، ٤٤، ٦٦، ٧١، ٨٦، ١٤٩، ٢٠٩، ٢٤٣، صلة الصلة
ص ٦٥، ٩٥، ١٠٥، ١٤٧، ١٨٣، الذيل والتكملة ج ٥ ص ٢٣٥، ٦٤٧، عنوان الدراية
ص ١٤٧، ١٥٠، الديباج ص ٣٥٤.
(٢) صلة الصلة ص ١٨٣ - ١٨٤، الديباج ص ١٥٢.
(٣) عنوان الدراية ص ١٤٧، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١.
(٤) المن بالامامة ص ٣٠٤.
(٥) عنوان الدراية ص ١٨.
(٦) برنامج شيوخ الرعيبي ص ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١٢٠، ١٣٤، ١٤٣، ١٤٦، ١٤٩، ١٥٠،
١٥١، ١٦٣، اختصار القدرح ص ٦٩، الذيل والتكملة ج ٤ ص ٦٧، ١٢٤، ج ٥ ص ٢١،
٧٦، ١٣٢، ١٥٤، ١٩٥، ٢٤٠، ٢٤٥، ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧.

- اشبيلية اذ كان لهم رئيس او كبير^(١) . ولا يقوم الموثق بعمله الا عن اذن القاضي^(٢) .
- ولم نعر على ما يفيد ان عملهم كان من الخطط الرسمية التي ينال صاحبها راتبا من الدولة .

النظر في المظالم :

- كان الخليفة يعتبر السلطة القضائية العليا . فقد ذكرنا في أمر الحدود ان قضاة الولايات يرفعونها للحضرة وكان ينظرها قاضي الجماعة تحت نظر الخليفة ومراقبته . وقد ساعد علم خلفاء دور الازدهار في احكام المراقبة وتتبع الاحكام^(٣) ، ووجد الخلفاء في الهيئة العلمية المكونة من " طلبة الحضرة " خير معين في مناقشة القضايا المستجدة التي تتطلب نظرا واجتهادا^(٤) . وكان النظر في المظالم من اختصاص الخليفة فهو ينظر فيما يرفع اليه من قضايا ويفصل^(٥) في ظلمات الناس بنفسه في المسجد^(٦) أو في قصر الحجر مقر الخلافة^(٧)

-
- (١) برنامج شيوخ الرعيبي ص ١٢٦ ، الذيل والتكملة ج ٥ ص ٣١٠ ، الديباج ص ٥٣ .
 - (٢) العبر ج ١ ص ٤٠٢ .
 - (٣) راجع عن علم خلفاء دور الازدهار الفصل الثالث .
 - (٤) الذيل والتكملة ج ٥ ص ٦٢ ، عنوان الدراية ص ١٢١ .
 - (٥) الفتاوى القدح ص ١٢٧ .
 - (٦) المن بالامامة ص ٤٢٠ .
 - (٧) المعجب ص ٢٨٥ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٤٤ - ١٤٥ .

او في اثناء نزوله بمدينة اذا خرج لغزو^(١) . ومنذ خلافة المنصور خصص الخليفة اياما معينة للنظر في المظالم^(٢) . وكان الناس يفدون على الحضرة بظلاماتهم^(٣) او يكتبون الى الخلفاء عنها ، فقد كتبت امراة شلبية الى المنصور تتظلم من ولاة بلدها وصاحب خراجها^(٤) فانصفها المنصور .

وذكرنا في حديثنا عن القضاء ان الخليفة قد يوكل قاضي الجماعة النظر في المظالم . ويبدو ان الوالي الذي يعين بسلطات استثنائية كان ينظر في المظالم ايضا . روى الزركشي ان الشيخ ابا محمد عبد الواحد الحفصي - الذي ولاه الناصر افريقية على ان يكون مطلق التصرف " - كان يجلس كل يوم سبت لمساءل الناس " (٥) .

الحسبة :

ولقد كانت الحسبة من الخطط التي تتعلق باعمال القضاء ولقد عرف العرب في المشرق والاندلس الحسبة منذ خلافة الامويين وحرى بالذكر ان العرب اخذوا هذه الخطة عن " صاحب السوق " في المدن اليونانية بعد ان نشر اليونان هذه الخطة في الشرق الادنى اثر استيلائهم عليه ، ثم مرت الحسبة عند العرب بمحاولات الفقهاء لتصنيفها وترتيبها وتحديدها وقد ارجعوا

(١) البيان المغرب ج ٣ ص ١٥٨ .

(٢) المعجب ص ٢٨٥ .

(٣) الذيل والتكملة ص ٢٤١ .

(٤) نفع (ط . محي الدين) ج ٦ ص ٢٩ .

(٥) تاريخ الدولتين ص ١٨ .

جذورها الى عصر النبي (ص) (١) . وفي الاندلس كان يطلق على المحتسب "صاحب السوق" وكان منصبه ذا اهمية كبرى يدلنا على ذلك الكتب التي صنفت في أواخر العصر المرابطي والتي حاولت ان تبين الشروط الواجبة فيمن يتولى الحسبة كما حددت واجباته ، فصنفت كل من أبي عبد الله محمد بن احمد السقطي ومحمد بن احمد بن عبدون الاشبيلي في اواخر العهد المرابطي رسالة في الحسبة (٢) ، وخلف كل من ابن عبد الرؤوف وعمر بن عثمان الجرسيني رسالة فيها والراجح انها من معاصري السقطي وابن عبدون (٣) . ولئن عرفت الاندلس الحسبة والمحتسب فليس هناك ما يؤكد ان المرابطين قد اخذوا الخطة عن الاندلس الى المغرب . فهل اتخذ الموحدون الحسبة خطة ؟

وجدنا اشارتين وردت فيهما كلمة المحتسب والاشارتان ترجعان الى الفترة السابقة لفتح مراكش فالاشارة الاولى اوردها ابن القطان في روايته عن انسحاب جيش الموحيدين المنهزم من مراكش الى تينمطل سنة ١١٣٠ / ٥٢٤ فقال ان عبد المؤمن لما خشي غدر هزرجه " عين ٠٠٠ خمسين رجلا محتسبا وأمرهم أن يسبقوا الى الفج " قبل

(١) الحسبة والمحتسب ص ٣١ - ٣٢ .

(٢) المصدر ذاته ص ٥٦ - ٥٨ ، Hopkins; p. 136

(٣)

ان تحمله هزرجة^(١) . وكلمة " محتسب " هنا لا تعني الا بيع النفس الى الله . وأما الاشارة الثانية فقد امدنا بها صاحب كتاب الانساب في روايته عن " اصناف الموحدين " فيسمى " صنفا " من هذه " الاصناف " المحتسبين " ويقول " المحتسبون وفقهم الله لهم من القبائل احدى وعشرون لكل قبيلة مزواران مزوار للقدم أعني الموحدين الاصيلين ومزوار للمضاف منهم " ^(٢) وقد جاءت كلمة محتسب هنا مرادفة لكلمة مزوار وهو الرئيس ، وربما كانت تعني القائد العسكري للمجموعة القبلية ، وربما اطلق الموحدون على مثل هذا الرئيس او المزوار لقب المحتسب في بداية الامر بسبب ماعلقوه على فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من اهمية في دعوتهم ، وفي هذه الحالة ربما كان هذا الرئيس يشرف على درجة تطبيق جنده لتعاليم المهدي . ومن الراجح ان الموحدين لم يعرفوا الحسبة والمحتسب في دور التأسيس بالمعنى المعروف في مختلف النظم الاسلامية ، ولكن عرفوا وظيفة الحسبة الاساسية وهي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . وقد كان ابن تومرت يباشر هذه المهمة خلال رحلته راجعا الى المغرب من المشرق ^(٣) ، ثم جعلها اساس دعوته وجوهـر فكرته ، وكانت فرضا على كل " موحد " أن يباشرها في كل وقت ^(٤) .

ولما قامت الدولة كان الخلفاء يعتبرون الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من واجباتهم الاساسية . وأول شيء يفعلونه من يتولى الخلافة كان يبعث رسالة تؤكده هذا المعنى وتحض على فعله وتتوعد من يتركه من الموحدين كافة والطلبة خاصة . وكانوا يتشددون في منع الخمر وقطع الملاهي والمفاسد . كما كانوا يتشددون في القيام بالقروض الدينية من اقامة للصلاة

(١) نظم الجمان ص ١٢١ .

(٢) اخبار المهدي ص ٤٦ - ٤٧ .

(٣) راجع الفصل الثاني ص ٣٦ - ٣٨ .

(٤) انظر الفصل الثالث ص ٩٧ .

وايتاء للزكاة (١).

واما الحسبة بمعنى الاشراف على السوق من ضبط للتعامل وحرص على سلامة السلع وصحة الموازين والمكاييل ووجوب مراعاة الشرع فيها فقد عرفها الموحدون في المغرب والاندلس بعد فتح مراكش استنتاجا من بعض التراجم التي وصلتنا عن تولوا هذه الخطة (٢). وتشير هذه التراجم ان متولي حسبة السوق يسمى "صاحب السوق" ويكون من الفقهاء. وربما كان تعيينه من قبل القاضي (٣). ولصاحب السوق اعوان في الاسواق. يقول المراكشي ان المنصور "كان قد أمر ان يدخل عليه امناء الاسواق واشياخ الحضريين كل شهر مرتين يسألهم عن اسواقهم واسعارهم وحكامهم (كذا وربما احكامهم) (٤). ولم نجد ما يفسر كلمة "اشياخ الحضريين" وأما الامناء فمن الراجح انهم اعوان (صاحب السوق). فقد أمر عبد المؤمن من طلبة الولايات في رسالة ان يعينوا امناء يشرفون على سوق الجوارى (٥). وفي رسالة اخرى أمر بتعيين امناء يشرفوا على مراقبة الصلاة بين العامة من الناس وتعليمهم أم الكتاب وسورة من القرآن (٦).

ونص المراكشي ذاته يدل على أمر آخر وهو اشراف الخليفة بنفسه على أعمال حسبة السوق وهو مظهر اخر من مظاهر الحكم المطلق الذي باشره الخلفاء في دور الازدهار.

(١) راجع الفصل الرابع ص ١٦٠.

(٢) انظر مثلا التكملة ج ١ ص ٨٢، الذيل والتكملة ج ٤ ص ١٧٧ - ١٧٨، ج ٥ ص ٤٦٠.

(٣) التشوف ص ٩٠.

(٤) المعجب ص ٢٨٥.

(٥) نظم الجمان ص ١٦٠.

(٦) رسائل موحديّة ص ١٣٧.

ويلاحظ القارئ أننا تجنبنا الاستفادة من كتب الحسبة التي وصلتنا ، لان هذه الرسائل كتبت قبل الفترة الموحدية بقليل او على ابعد الفروض بعد قيام الدولة بيسير ، فمن هنا لا تفيدنا في تبين موقف الموحدين من حسبة السوق ، فلو وصلتنا رسائل كتبت في العصر الموحدى لا يمكن المقابلة والاستنتاج . ومن الجائز ان هناك رسائل كانت تتداول بين الناس عن الحسبة ربما نفس رسائل العصر المرابطي وربما غيرها . يقول المقرئ فيما نقله عن ابن سعيد المغربي ان لاهل الاندلس " في اوضاع الاحتساب قوانين يتداولونها ويتدارسونها كما تتدارس احكام الفقه لانها عندهم تدخل في جميع المبتعات (١) " وابن سعيد عاش في اواخر العصر الموحدى ولم نجد ما يفيد ان هذه القوانين هي القوانين ذاتها التي كانت سائدة قبل الموحدين .

الشرطة :

عرف الموحدون خطة الشرطة وسماها صاحبها " صاحب الشرطة " وقد يسمى في افريقية " الحاكم " (٢) وفي الاندلس " صاحب المدينة " او " صاحب الليل " (٣) . واول اشارة الى صاحب الشرطة في مراكش في المصادر التي بين ايدينا كانت في ايام المنصور (٤) ويبدو ان صاحب الشرطة اصبح ذا اهمية خاصة في دور الانحلال لما كثرت الفتن والثورات ففي هذا الدور تردد ذكره في المصادر كثيرا (٥) . ويقول ابن خلدون ان الشرطة كان لها حظ عظيم عند الموحدين ولم

(١) نفتح (ط . الرفاعي) ج ٢ ص ١٠٣ .

(٢) العبير ج ١ ص ٤٥٠ .

(٣) نفتح (ط . الرفاعي) ج ٢ ص ١٠٢ .

(٤) المعجب ص ٢٨٥ .

(٥) راجع البيان المغرب ج ٣ ص ٢٨٣ ، ٢٩٩ ، ٣٢٨ .

يجعلها الموحدون عامة ولا يليها الا رجالات الموحدين^(١) . ومما يؤكد قوله هذا اننا لم نجد في مراكش صاحب شرطة الا من الموحدين الذين ينتمون للقبائل التي قام عليها الامر في اول العهد . وأما في الولايات فقد ذكرنا ان الشرطة كانت تابعة للقضاة وكان صاحب الشرطة مسؤولا عن تتبع الجرائم واقامة الحدود بعد استيفائها^(٢) فهو المنفذ لاحكام الخليفة او القاضي^(٣) .

الصلاة :

من خلال تراجم كثير من الرجال الذين تقلدوا الامامة والخطبة ومن الاشارات عن المؤننين واهل الحزب تبين لنا ان هذه الخطط كانت على حظ عظيم من التنظيم والترتيب في ايام الموحدين فلنلق ضوءا على كل خطة منها .

صاحب الصلاة :

كان متولي هذه الخطة تابعا للقاضي ولا يكون الا من الفقهاء وغالبا ما يتولاها أحد أهل البلد^(٤) غير انه من الجائز ان يتولاها احد الغرباء^(٥) ، وربما ينقل "صاحب الصلاة" من جامع الى آخر او يناوبه احد القضاة وقد يباشر التعليم في جامع ولايته^(٦) .

(١) العبر ج ١ ص ٤٥٠ .

(٢) المصدر ذاته ج ٢ ص ٤٥٠ .

(٣) المعجب ص ٢٨٥ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٤٥ .

(٤) صلة الصلة ص ١٠٧ ، الذيل والتكملة ج ٤ ص ١٢٥ ، ١٣٦ ، ٥٦٢ .

(٥) الذيل والتكملة ج ٤ ص ٥٦ ، ١٢٥ ، ١٣٦ .

(٦) الذيل والتكملة ج ٥ ص ٢٠٠ ، صلة الصلة ص ١٠٧ .

الانتصار على ثائر^(١) . وفي الخروج الى الغزو كان يخطب مذكرا بحقوق الله ويشحذ الهمم على القتال^(٢) . ويدلنا على ما علقه الموحدون من اهمية تربوية ودعائية للخطابة ان احد خطباء الخلافة كان يستعمل اللسان البربري ليفهم قبائل الموحدين التي لا تحسن فهم العربية ثم يعقب ذلك بالخطبة العربية^(٣) .

المؤذنون :

في صفة احوال الموحدين في اقامة الجمعة ايام الناصر قال المراكشي ان الخليفة عندما يدخل الجامع ويؤدى تحية المسجد "يقوم رئيس المؤذنين ومعه العصا التي يتوكأ عليها الخطيب فيقول : (قد فاء النبيؐ ياسيدنا امير المؤمنين والحمد لله رب العالمين) يريد بهذا القول استئذانه في صعود الخطيب المنبر . . . فاذا جلس الخطيب فوق المنبر اذن ثلاثة من المؤذنين مفترقين ، أصواتهم في نهاية الحسن قد انتخبوا لذلك من البلاد ، ثم يقوم الخطيب . . . (٤) وهذا النص الذي يكشف عن مهام رئيس المؤذنين يهمننا في امرين اولا : وجود رئيس للمؤذنين ثانيا : اختيار المؤذنين . والامر ان يدلان على ان عدد المؤذنين كان كبيرا واختيارهم كان يخضع لفحص وتدقيق مما يؤكد ان هذه الخطة كانت منظمة . والذي يرجح ان العدد كان كبيرا هو ما يرويه

(١) المن بالامامة ص ٥٤٤ .

(٢) المصدر ذاته ص ٥٠١ .

(٣) انظر المصدر ذاته ص ٤٢٠ ، ٥٠١ ، ٥٢٤ .

(٤) المعجب ص ٣٤٣ .

صاحب كتاب الانساب من أن عددا كبيرا من المؤننين كان يصحب الخليفة في السفر، وكانوا يقاتلون في صفوف الجيش في اثناء المعارك الى جانب عملهم كمؤننين، غير ان الناصر اسقط عنهم حمل السلاح ووقفهم على الاذان للصلاة في مواقيتها في حالات السفر (١).

أهل الحزب :

اهتم الموحدون بالقرآن والحديث اهتماما كبيرا وكونوا جماعة من خمسين رجلا سموهم "أهل الحزب" (٢). وهذه الجماعة كانت تلازم قراءة حزب من القرآن وشيئا من الحديث وعقائد ابن تومرت بالغدو والعشي وفي حالتها الإمامة والسفر (٣). ويحدثنا المراكشي ان هذه الجماعة كانت من طلبة الموحدين (٤)، وطلبة الموحدين تعني تنظيم الطلبة الذي كون منذ أيام ابن تومرت ولا تعني الحفاظ ولا طلبة الحضر يوما يوكد هذا الرأي ان المراكشي في روايته يقول انهم كانوا "يقرءون توالي ابن تومرت في العقائد بلسانهم وباللسان العربي" (٥). وقد كان تنظيم الطلبة الاول يضم الموحدين من المصامدة فقط وهناك ما يوكد هذا القول ان صاحب كتاب الانساب يقول ان أهل الحزب كانوا "من جميع قبائل الموحدين" (٦) وقبائل الموحدين كان مصطلحا يطلق على قبائل المصامدة التي وجدت في أيام ابن تومرت (٧).

(١) أخبار المهدي ص ٤٧ - ٤٨.

(٢) المصدر ذاته ص ٤٨.

(٣) المعجب ص ٣٤٢.

(٤) المعجب ص ٣٤٢.

(٥) المصدر ذاته ص ٣٤٢.

(٦) أخبار المهدي ص ٤٨.

(٧) المعجب ص ٣٣٩.

متولي الخزانة العلمية :

من الخطط التي يمكن ان نلحقها بالخطط الدينية خطة متولي الخزانة العلمية اذ كان بنوعيد المؤمن لا يولونها الا لعلية اهل العلم (١) . وقد تقلد هذه الخطة في خلافة يوسف بن عبد المؤمن أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن الصقر الذي كان قاضيا ايام المرابطين ثم الموحيدين . وقد كان جمع الكتب شغلة الشاغل (٢) . ومن تولها ابن شلبون معاصر ابن الابار فقد قدم مراكش واستعمل على الخزانة العلمية وكان فقيها راوية ذا حظ من الادب وقرض الشعر (٣) .

نتائج :

من دراسة الخطط الدينية عند الموحيدين نصل الى نتيجتين هامتين تؤكدان النتائج التي وصلنا اليها من دراسة النظم الموحدية^{التي} امرت معنا من قبل :

اولا : ان تركيز الموحيدين على القرآن والسنة كمصدرين أساسيين من مصادر الاحكام يدعم ما ذهبنا اليه من ان الحركة الموحدية وان كانت حركة سياسية ولبست اثوابا مختلفة للوصول الى غايتها الا ان جوهرها كان الرجوع الى الكتاب والسنة .

(١) الاحاطة ج ١ ص ١٩٠ ، الديباج ص ٠٤٩

(٢) ~~الاحاطة ج ١ ص ١٩٠ ، الديباج ص ٠٤٩~~ وقد وهم ابن

فرهون في اسم ابي يعقوب واخطأ صاحب روض القرطاس في اسم ابن الصقر وجاء

عنده " ابن الطغر وجعله متوليا للخزانة وبيوت الاموال (راجع روض القرطاس ص ١٦٠) .

(٣) الذيل والتكملة ج ٥ ص ٢٧٤ .

.../...

ثانيا : ان تولية اعداد كبيرة من فقهاء المالكيين في الخطط الدينية يوكد ما ذهبنا اليه من تغيير عبد المؤمن لمفهوم " التوحيد " من فكرة عقائدية الى اتجاه سياسي . ولولا هذا التحول لما تسنى للخلفاء الموحديين الاستعانة بفقهاء المالكية الذين أقرروا بسلطة الخلفاء السياسية ولم يظهروا عداً للفكرة التومرتية . ولكن توظيف غير الموحديين الاصيلين كان في الخطط التي لا يخشى منها على سلطة الموحديين السياسية فلماذا نجدهم لا يولون غير الموحديين الاصيلين في الشرطة في مراكش ، كما ان الاستعانة بالمالكية في أعلى مناصب القضاء يدل على محاولات توخي الكفاءة في بعض مناصب الدولة .

.../...

T
124A
pt.3

الفصل السابع

النظام العكسي

الفصل السابع

النظام العسكري

كان الجيش عماد الثورة الموحدية ، ثم تكون الاسطول فأصبح الجيش والاسطول أداتي التوسع والقضاء على الثورات الداخلية والتصدي للخطر الخارجي ، وعليه فان مظاهر القوة والضعف في النظام الموحدية خیرما تتجلى في نظام الموحدین العسكري .

الجيش :

عناصره :

تعددت عناصر الجيش الموحدی في دور ~~ال~~ ازدهار الدولة ، غير ان الجيش كان قاصرا على قبائل الموحدین في بداية الامر ، ولكن مع تبدل مفهوم التوحيد دخلت عناصر كثيرة في الجيش الموحدی . ومن المفيد أن نستعرض كل عنصر من عناصر الجيش ونبين متى دخل في الجيش وما هو الدور الذي قام به .

قبائل الموحدين :

في حياة ابن تومرت كانت قبائل المصامدة التي " وحدث " تمثل العنصر الاساسي للجيش الموحدی . وتتكون هذه المجموعة من هرقة وكدميوة وكثفيسة وقبائل أهل تينمسل وهنتاة . ومن " وحد " من غير هذه القبائل وكان ذا نبوغ ضم الى هرقة قبيل المهدي (١) .

(١) راجع أخبار المهدي ص ٣٧ - ٤٠ .

ويبدو ان غير هذا النوع المتميز من الافراد ضم الى كدامية وكثيفة^(٢) . و اضاف عبد المؤمن الى هذه القبائل هسكورة وصنهاجة وكومية^(٢) . والقبيلة الاخيرة زناتية وهي قبيلة عبد المؤمن . ويسمى عبد الواحد المراكشي هذه القبائل جميعها بقبائل الموحدين^(٣) . وقد اصاب في هذه التسمية لان اسم الموحدين او قبائل الموحدين ظل في تاريخ الدولة العسكرى يطلق على هذه القبائل المتميزة بالسبق في الدعوة والفضل في قيام الدولة ، والعناصر التي اضيفت اليها في خلافة عبد المؤمن . وظلت كلمة "موحدين" تتردد في الروايات عن العناصر المكونة لكل حملة عسكرية مع حرص المصادر على ذكر العناصر الاخرى دلالة على هذا المعنى الخاص لكلمة "موحدين"^(٤) .

القبائل البربرية الاخرى :

منذ ان خرج عبد المؤمن في حملته "الطويلة الاعوام" التي انتهت بفتح مراكش بدأت القبائل البربرية تدخل في الدعوة الموحدية . فقد "وحدت" زناتة^(٥) ثم مسوفة بعد ان

(١) راجع "اخبار المهدي" ص ٤٢ - ٤٣ .

(٢) راجع الفصل الثالث ص ٧٥ - ٧٦ .

(٣) المعجب ص ٣٣٩ .

(٤) راجع رسائل موحدية ص ٢٢١ ، ٢٥٤ ، المن بالامامة ص ١٦٣ ، ١٩٧ ، ٢٠٢ ،

٢١٥ ، ٤٠٠ ، ٤٠٥ ، ٤٣١ ، ٤٩١ ، المعجب ص ٢٤٨ ، البيان المغرب

ج ٣ ص ١٢٢ ، ١٣٢ ، روض القرطاس ص ١٣٢ ، ١٣٨ ، ١٤٠ .

(٥) اخبار المهدي ص ٩٤ - ٩٥ .

اختلفت مع لمتونة عقب وفاة علي بن يوسف^(٤) . وقد تكررت الاشارات عن اشتراك القبيلتين في الجيش الموحدى^(٢) . ويبدو أن من "يوحد" من البربر عامة والمرابطين خاصة كان يدخل في عناصر الجيش . وقد استمرت هذه السياسة حتى خلافة الناصر^(٣) .

ولقد وردت مصطلحات مختلفة في المصادر تشير الى قبائل البربر من غير الموحدين مثل :

"القبائل من الرعية"^(٤) و "القبائل"^(٥) ، و "قبائل المغرب"^(٦) و "أصناف البربر"^(٧)

وتستوقف الدارس لعناصر الجيش الموحدى ثلاثة مصطلحات يحيط بها الغموض ، وقد تكون

مرتبطة بالقبائل البربرية من غير الموحدين . والمصطلحات هي : "الحشم" و "الجند" و "عبيد

المخزن" .

(١) البيان المغرب ج ٣ ص ١٣ .

(٢) المن بالامامة ص ١٩٧ ، روض ١٢٩ ، ١٤٠ ، ١٤٦ .

(٣) المعجب ص ٣١٥ .

(٤) رسائل موحدية ص ٢٢١ .

(٥) المن بالامامة ص ١٩٧ .

(٦) روض القرطاس ص ١٤٦ .

(٧) المصدر ذاته ص ١٤٠ .

وقد وردت كلمة "الحشم" مرة واحدة • فقد ذكر ابن صاحب الصلاة أن الخليفة يوسف بن عبد المؤمن خرج لاستقبال عسكر افريقية وبجاية وتلمسان كما خرج الموحدون " وكذلك سائر الاجناد من الحشم والروم والعبيد " (١) • وقد لا تعني كلمة "الحشم" الا القبائل البربرية من غير الموحدين ويحدونا الى هذا القول ان المرابطين كانوا يطلقون على القبائل البربرية من غير المرابطين لفظة "الحشم" (٢) • هذا بالاضافة الى أن الموحدين كانوا يطلقون على المرابطين كلمة "الحشم" (٣) وربما توسع الموحدون في استعمال الكلمة فاطلقوها بعد سقوط دولة المرابطين على القبائل البربرية من غير قبائل الموحدين لاسيما وان كلمة الحشم قد تعني الاعوان والانصار من الاهل او العبید او الجيرة (٤) • ولكن يبدو ان استعمال الكلمة كان قليلا فلماذا لم ترد كثيرا في المصادر •

(١) المن بالامامة ص ٤٣١ •

(٢) الحلل الموشية ص ٢١ - ٢٢ Hopkins; pp. 74-75 ولتفسير آخر

لكلمة "الحشم" عند المرابطين راجع النظام السياسي ص ١٥٠ وما بعدها •

(٣) راجع الفصل الثاني

(٤) راجع مادة "حشم" في لسان العرب وتاج العروس •

وأما الجند فقد انفرد صاحب كتاب الانساب وعرفهم بأنهم "أهل آفمات من الحضرة" (١) .
فكأنه يريد أن يقصر استعمال الكلمة على سكان المدن من المرابطين . ولكن المراكشي يستعمل
الكلمة استعمالا مختلفا . فقد وردت عنده مرة بمعنى الجند من قبائل الموحيدين (٢) ، ومرة
ثانية بمعنى سائر الجند من غير الموحيدين (٣) . والراجح أن "الجند" لا تعني الموحيدين لأن
روايات "أصناف" الموحيدين جعلت الجند صنفا قائما بذاته في الوقت الذي ذكرت فيه قبائل
الموحيدين كأصناف مستقلة (٤) . كما أن الكلمة وردت في أحيان كثيرة مضافة الى عنصر (٥) او عناصر
متعددة (٦) من الجيش لم تكن قبائل الموحيدين من بينها . وليس هنالك ما يفيد أن الكلمة كانت
قاصرة في الاستعمال على قبائل المرابطين او البربر عامة .

ومما يتصل بالقبائل البربرية مصطلح "عبيد المخزن" ، وأغلب الظن أن هذا المصطلح لم يكن
يعني العبيد السودانيين او الاعلاج الاروبيين . والذي يدعونا الى هذا الرأي أن صاحب كتاب
الانساب ذكر ان لعبيد المخزن ثمانية افخاذ منها لمطة وكزولة واهل مراكش (٧) . وهذه مجموعات
بربرية كانت مرتبطة بالمرابطين ارتباطا وثيقا . وهذه الاشارة تبعث على القول بان "عبيد المخزن"

(١) اخبار المهدي ص ٤٧ .

(٢) المعجب ص ٣٣٩ .

(٣) المصدر ذاته ص ٣٤١ .

(٤) راجع الفصل الثالث .

(٥) راجع المن بالامامة ص ١٤٨ ، ١٩٣ ، ١٩٧ ، ٤٠٥ ، ٤٩١ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٣٢ .

(٦) المن بالامامة ص ٤٣١ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٢٦ . الحلل الموشية ص ١٢١ .

(٧) أخبار المهدي ص ٤٦ .

كانوا عناصر مرابطية وهو أمر غير مستبعد إذ إن هذه الفرقة تكونت في حياة المهدي من عبید
أزليم وتازاكورت^(١) ، وكلمة عبید هنا قد لا تعني إلا عبید الموحدين من المرابطين لأن المهدي
جوز للموحدين استرقاق محاربيهم من المسلمين . وربما كان عبید المخزن بريرا أو سودان أو اعلاجا
أو خليطا من كل هذه العناصر ولكنهم فوق كل شيء عناصر مرابطية سابقة^(٢) . ومما يدعم رأينا
هذا أن حفصي تونس ظلوا يطلقون على أهل الاسواق "عبید المخزن"^(٣) . وقد تردد ذكر
فرقة "عبید المخزن" في مختلف اطوار الدولة^(٤) .

الاندلسيون :

قبيل فتح مراكش بدأ المنتزون في نواحي الاندلس يدخلون في "التوحيد" ، وأقر عبد المؤمن
من "يوحد" على إدارة منطقته التي كان يسيطر عليها ، واحتفظ كل منتز بجيوشه التي كانت تحت
امره . ولكن بعد أن ثارت العناصر الاندلسية على الموحدين ، أرسل عبد المؤمن عناصر من الموحدين
لتقييم في الاندلس^(٥) . وهذا لا يعني أنه صرف الجنود الاندلسيين عن العمل العسكري فقد تركهم

(١) أخبار المهدي ص ٧٧ .

(٢) أنظر استنتاجا مخالفا عند هوبكنز Hopkins ; p. 78

(٣) صبح الاعشى ج ٦ ص ١٤٦

(٤) أخبار المهدي ص ١٠٣ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٢٤ ، ٣٨٦ ، الحلل الموشية ص ١١٤ ،

روض القرطاس ص ١٧٤ .

(٥) أخبار المهدي ص ١٢٥ - ١٢٧ وفي سنة جبل الفتح ترك جيوشا موحدية (راجع المعجب ص ٢٢٤) .

في الجيش ولكن في مراكز ثانوية ، وفي كل الحملات العسكرية في الاندلس نجد ذكرا للجنود الاندلسيين^(١) . ويبدو أن عبد المؤمن اراد الاستفادة منهم في قتال النصارى لأن الاندلسيين اعرف بمنطقتهم .

العرب :

عرف المغرب العرب كجنود منذ الفتح الاسلامي ، ثم ضعف دورهم . ويبدو ان المرابطين استخدموا عددا من العرب في جيوشهم^(٢) ، غير ان العرب لم يقوموا بدورا عسكريا كبيرا عددهم^(٣) . ومع الموحيدين بدأ العرب يلعبون دورا اكبر في الحياة العسكرية والسياسية . وكان هؤلاء العرب من عرب الزخفة الماليلية ، فمنذ ان فتح عبد المؤمن منطقة بجاية التي سيطر عليها العرب الماليلية على نواحيها شعر بخطرهم ، على الرغم من انه قد هزمهم عند سطيف (١٥٤٨ / ١١٥٣) ، واستقدم عددا من اشياخهم الى المغرب^(٤) ، غير انه لم يضمهم الى الجيش الموحيدي الا بعد فتح افريقية (تونس) سنة ١١٦٠ / ١١٥٥^(٥) ، مع انهم خدموا في جيش ولاية بجاية قبل هذا التاريخ^(٦) .

(١) المن بالامامة ص ١٤٨ ، ١٨٣ ، ١٩٣ ، ٢٠٢ ، ٤٠٠ ، روض القرطاس (راجع المعجب ص ٤٤٤)

ص ١٤٠ ، ١٤١ وقد ظلت الاسر الاندلسية في ههههه مدنها في المرتبة الثانية بعد

الموحيدين حتى انحلال الدولة وحينئذ ثارت راجع ما يورده الحميري الروض المعطار ص ١١٨ .

(٢) نظم الجمان ص ١٠ ، الحلل الموشية ص ١٠١ .

(٣) النظام السياسي ص ١٥٥ .

(٤) الاستقصا ج ٢ ص ١٢١ .

(٥) رسائل موحدية ص ١١١ - ١١٢ ، ١١٩ ، المن بالامامة ١٢٦ - ١٤٤ ، المعجب ص ٢٢٥ .

(٦) روض القرطاس ص ١٢٩ .

ما هي الدوافع الكامنة وراء استقدام عبد المؤمن للعرب من افريقية الى المغرب؟

نستطيع ان نجمل دوافع عبد المؤمن في امرين :

اولا : يبدو ان عبد المؤمن اراد ان يستخدم العرب في تقليص نفوذ اشياخ الموحدين اذ انه عقب فتح بجاية استفاد بمن استقدم من اشياخ العرب في استخلاف ابنه محمد ونقل الخلافة الى ملك وراثي (١) .

ثانيا : أراد ان يستفيد من طاقات العرب في قتال الروم في الاندلس (٢) ولا سيما وأن الفكرة

قد راودته بعد ان اشتد عدوان النصارى وحلفائهم من المسلمين على ولايات الموحدين الاندلسية (٣) . ان توجيه طاقات البدو في الحروب الخارجية يسعف على استتباب الامن في افريقية التي طالما عاثوا فيها خرابا ودمارا . والى هذا الهدف المزدوج يشير عبد المؤمن في احدى رسائله الى طلبة قرطبة حيث بين انه يرجو للعرب " أن يتلافوا زلهم ويستدركوا خطتهم بغزو في جزيرة الاندلس - حاطها الله - يكفر خطاياهم ويصلح عملهم والنظر في ذلك متوال ، والأخذ فيه متصل " (٤) .

وفي استنفار عبد المؤمن لعرب افريقية برهن عبد المؤمن على معرفة تامة بنفسية البدو فقد خاطبهم شعرا ، والى جانب تذكيرهم بحقوق الجهاد في سبيل الله ركز على ما سينالونه من من غنائم ومكاسب مادية ومما ورد في كتاب استنفارهم :

(١) راجع الفصل الثالث

(٢) الكامل ج ١١ ص ٢٤٦ ، نهاية الأرب ص ٢١١ .

(٣) المن بالامامة ص ١٣٤ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٣٨ .

(٤) رسائل موحديّة ص ١١١ - ١١٢ .

فما همنا الا صلاح جميعكم وتسريحكم في ظل أخضر هاطل
وتسويغكم نعمى ترف ظلالها عليكم بخير عاجل غير آجل
فلا تتوانوا فالبدار غنيمـة وللمدلج السارى صفاء المناهل (١)

واستجاب لنداء عبد المؤمن الجم الغفير من العرب • ففي عام جبل الفتح رتب بعضهم في نواحي قرطبة واشبيلية (٢) ، ونقل اعدادا الى المغرب (٣) وفي استعدادة لغزو نصارى الاندلس نقل الى المغرب ألفا من كل قبيل من قبائل جشم (٤) .
وسار يوسف على هدى أبيه مدفوعا بالدوافع ذاتها (٥) وقد لبث نداءه قبائل رباح (٦) .
وأما المنصور فقد استجلب العرب الى المغرب تغريبا لهم وقتا وعقابا جزاء تعاونهم مع الميورقيين والاغزاز فانزل بني هلال في بلاد الهبط وجشم في بلاد تامسنا (٧) .

وهكذا منذ اواخر خلافة عبد المؤمن بدأ العرب يدخلون الجيش الموحدى فقد اشترك في غزوة

(١) المعجب ص ٢٢٥ - ٢٢٦ .

(٢) المصدر ذاته ص ٢٢٦ .

(٣) المن بالامامة ص ١٧٢ - ١٧٣ .

(٤) روض القرطاس ص ١٣٠ .

(٥) رسائل موحدية ص ١٥٢ - ١٥٧ ، المن بالامامة ص ٤١١ - ٤١٢ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٢٦ ، ١١٣ .

(٦) البيان المغرب ج ٣ ص ١١٤ ، روض القرطاس ص ١٣٩ .

(٧) روض القرطاس ص ١٤٣ ، العبر ج ٦ ص ٥٨ ، الاستقصا ج ٢ ص ١٦٨ .

شنترين (٥٧٩ / ١١٨٤) اربعون الفا من فرسان العرب^(١) وفي ايام المراكشي كان بالاندلس خمسة آلاف فارس سوى الرجالة^(٢) ، وفي خلافة الرشيد كان عرب الخلط وحدهم في اثني عشر الفا سوى الرجالة والاتباع والحشود^(٣) . وكان العرب يكونون قسما هاما في الجيش الموحدى ، فالى جانب وجودهم في جيوش بجاية وافريقية^(٤) كانوا يمثلون الجناح الهام في جيوش الحضرة في غزوات الخلفاء في الاندلس^(٥) وافريقية^(٦) او في امداد الحضرة الى الولايات^(٧) .

الـاـغـزـاز :

ليس هناك ما يشير الى أن المغرب عرف الاغزاز قبل الموحدين الا اشارة واحدة وردت عند صاحب روض القرطاس تبين ان في الاغزاز ~~والخزرج~~ كانوا قسما في جيش المرابطين . وليس هنالك ما يؤكد مثل هذا القول في المصادر المعاصرة للفترة المرابطية ، هذا فضلا

-
- (١) الروض المعطار ص ١١٤ .
 - (٢) المعجب ص ٢٢٦ .
 - (٣) العبر ج ٦ ص ٥٣٣ - ٥٣٤ .
 - (٤) المعجب ص ٢٧٠ ، الكامل ج ١١ ص ٥٠٧ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٤٧ ، نهاية الارب ص ٢٢٢ .
 - (٥) رسائل موحدية ص ٢٢١ ، المن بالامامة ص ٢١٥ ، ٤١١ ، ٤١٨ ، ٤٩١ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٨٨ - ٨٩ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، روض القرطاس ص ١٣٢ ، ١٤٠ ، ١٤٦ ، نهاية الارب ص ٢١٩ .
 - (٦) رسائل موحدية ص ٢٥٣ - ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، روض القرطاس ص ١٢٩ ، غير ان المنصور وضع بعض القيود على اشتراك العرب في غزواته في افريقية (راجع البيان المغرب ج ٣ ص ١٥٨) .
 - (٧) المن بالامامة ص ١٩٣ ، ١٩٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٤٠٠ ، ٤٠٥ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٦٣ ، ١٠٤ .

وقتئذ (١) ، مما أغرى أغزازاً مصريين آخر بدخول المغرب بقيادة يوزيا (٢) . فأضطر المنصور الى الخروج الى افريقية بنفسه ف قضى على الفتن فيها في اواخر ٥٨٣ / ١١٨٧ واسترق من وجد من الاغزاز (٣) . وفي رجوعه الى المغرب كون كتبية من هؤلاء الاغزاز (٤) .

ويحدثنا المراكشي عن دخول الاغزاز المغرب في موضعين فيقول : " وفي أيام ابي يعقوب ورد علينا المغرب اول من وردها من الغز وذلك في آخر سنة ٧٤ ، وما زالوا يكثرون عندنا الى آخر أيام ابي يوسف (٥) " وفي موضع آخر يشير الى خلافة المنصور قائلاً " وفي أول ولايته - اما سنة ٨٣ أو ٨٢ [٥] - ورد علينا البلاد الغز من مصر ، وكان فيمن ورد علينا مملوك يسمى قراقش " (٦) . والاشارتان مضطربتان فالمراكشي كعادته لا يدقق في تواريخه ف بداية دخول الاغزاز ارض المغرب كان قبل التاريخ الذي يذكره حسب ما ذكرناه استنادا على ما ورد في الرسائل الرسمية ، كما ان وصولهم الى المغرب الاقصى في خلافة المنصور كان في عام ٥٨٤ / ١١٨٨ تاريخ دخول المنصور حضرته والاغزاز بمعيته . واما قراقوش فيحدد مصدر معاصر وصوله الى مراكش بسنة ٥٨٦ / ١١٩٠ (٧) .

وعلى هذا نستطيع القول بان الاغزاز وان دخلوا المغرب في خلافة يوسف بن عبد المؤمن

(١) المعجب ص ٢٧٢ ، رحلة ص ١٣٦ ، العبر ج ٦ ص ٣٩٥ - ٣٩٦ ، ٣٩٨ .

(٢) الروضتين ج ٢ ص ٧٠ ، مفرج الكروب ج ٢ ص ١٨٢ .

(٣) رسائل موحدية ص ١٨٩ - ٢٠٨ .

(٤) المصدر ذاته ص ٢١٤ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٦٤ .

(٥) المعجب ص ٢٥٦ .

(٦) المصدر ذاته ص ٢٨٩ .

(٧) الاستبصار ص ١١١ .

لم يدخلوا الجيش الا في خلافة المنصور . وتحول المنصور من استرقاقهم الى تجنيدهم يدل على ماتمتمع به هؤلاء الاغزاز من مزايا عسكرية اغرت المنصور بالاستفادة منهم في الجيش النظامي ولهذا لانستغرب ان يصدق عليهم المنصور الاموال ، ويعطيهم جامكية كل شهر بينما كانت جامكية الموحدين ثلاث مرات في العام ، ويقطع كبارهم الاراضي تألفا حتى كان اقطاع بعضهم كاقطاع الموحدين او اوسع (١) . وقد الاغزاز من اعمدة الجيش الموحدى في المغرب (٢) والاندلس (٣) وافريقية (٤) .

الروم (٥)

كان المسلمون في الاندلس يستخدمون الروم في جيوشهم منذ خلافة بني امية في قرطبة . وقلدهم خلفاءهم من ملوك الطوائف لاسيما بني هود (٦) ، وظل بنو مردنيش يستخدمون اولئك النصارى الى ان فتح الموحدون بلادهم (٧) . وفي المغرب استخدم المرابطون الروم منذ ايام يوسف بن تاشفين وكان المرابطون يحصلون عليهم اما بالشراء (٨) او بالاسر (٩) ، وفي احيان قليلة باستخدام الروم المعاهدين (١٠) . وقد اوكل المرابطون قيادة الروم الى رجل منهم . وقد ابلوا في الدفاع عن المرابطين بلاء حسنا (١١) . والى جانب عمل الروم العسكري كانوا يقومون بجباية

-
- (١) المعجب ص ٢٨٩ .
 - (٢) المصدر ذاته ص ٣١٥ - ٣١٦ .
 - (٣) البيان المغرب ج ٣ ص ١٨٠ .
 - (٤) رسائل موحدية ص ٢٥٤ ، ٢٥٦ .
 - (٥) وكلمة الروم كانت تطلق على نصارى اسبانيا الشمالية .
 - (٦) البيان المغرب (ط . دار الثقافة) ج ٤ ص ٥٣ - ٥٤ .
 - (٧) المعجب ص ٢٤٩ .
 - (٨) البيان المغرب (ط . دار الثقافة) ج ٤ ص ٢٣ ، الحلل الموشية ص ١٤ .
 - (٩) 9 - Hopkins ; p. 36 .
 - (١٠) النظام السياسي ص ١٥٣ .
 - (١١) راجع الفصل الثاني .

المغارم (١) . ومن هنا يخطيء صاحب روض القرطاس عندما يقول عن المامون الموحدى انه " اول من جوز الروم الى العدو وخدمهم بها " (٢) .

ومن الراجح ان الموحدين احتفظوا بالجند الرومي الذى انضم اليهم على اثر سقوط الدولة المرابطية ، لان كتيبة من هؤلاء الروم كانت ضمن الجيش الموحدى الذى ارسل لقتال الماسى بعد فتح مراكش مكة مباشرة (١١٤٧ / ٥٤١) (٣) . ويبدو ان يوسف بن عبد المؤمن كان يستكثر من الروم في جيشه ، فقد كانوا عنصرا من عناصر جيشه في مراكش (٤) ، ولما جاز كرنده الى مراكش جعله يوسف بن عبد المؤمن على كتيبة الروم في السوس وعددتها ثلاثة مائة وخمسون رجلا (٥) . ولكن وجود الروم في الجيش الموحدى اصبح كبيرا ولعب دورا خطيرا في دور الانحلال ~~بالسوس~~ لان كثيرا من الطامعين في الخلافة من بني عبد المؤمن اصبحوا يستعينون بالروم لانتزاع الحكم او تشبثه . فلما خلع عبد الله البياسي بيعة العادل استقدم القشتاليين وادخلهم بياسة وقبجاطة وغيرها واعتنق النصرانية (٦) . ولما كان نكت اشياخ الموحدين بيعة المامون استنصر بملك قشتالة الذى نصره لقاء شروط وقد اختلفت المصادر وتباينت في امر هذه الشروط .

-
- (١) الحلل الموشية ص ٦٩ .
 - (٢) روض القرطاس ص ١٦٧ .
 - (٣) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٦ ، الحلل الموشية ص ١٢١ .
 - (٤) المن بالامامة ص ٤٣١ .
 - (٥) اخبار المهدي ص ١٢٧ .
 - (٦) راجع البيان المغرب ج ٣ ص ٢٤٩ - ٢٥٠ ، روض القرطاس ص ١٦٤ ، العبر ج ٦ ص ٥٢٧ ، ٥٢٩ ، الروض المعطار ص ٥٧ - ٥٩ ، ٦٠ - ٦١ ، ١٦٥ ، ١٧٣ - ١٧٤ .

وحسب رواية ابن عذارى ان ملك قشتالة أمد المأمون بخمسة مائة فارس^(١) ، بينما يقول صاحب روض القرطاس باثني عشر ألفا^(٢) ، وتكتفي بعض المصادر بكلمة ~~ملك قشتالة~~ على "جمعا"^(٣) ، ويضيف صاحب الروض ان ذلك تم على شروط مزرية اذ اشترط ملك قشتالة على المأمون عشرة حصون يختارها وأن يبني كنيسة للروم ومن أسلم لا يقبل اسلامه ومن تنصريقبل^(٤) " وذاكر ابن خلدون أن هنالك شروطا ولكنه لم يبين ما هي تلك الشروط^(٥) ولم يذكر ابن عذارى^(٦) أو ابن الخطيب^(٧) شروطا .

وإذا كان صاحب روض القرطاس قد بالغ في روايته عددا وشروطا ، فاننا لا نستطيع ان نقبل رواية ابن عذارى التي تهمل ذكر الشروط ، فالعدد قد يكون مئات ، والشروط قد تكون مشتمة على الحصون وبناء الكنيسة ، لاسيما وأن المأمون قد بناها وخربها يحيى بن الناصر^(٨) ، وهكذا ابتداء من خلافة المأمون اصبح جلب الروم في الجيش الموحدى نتيجة اتفاق يتم مع ملوك النصارى في اسبانيا ، وقد حرص الرشيد على استخدام النصارى وتابعه السعيد^(٩) واستزاد منهم

(١) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٦٤ .

(٢) روض القرطاس ص ١٦٧ .

(٣) العبر ج ٦ ص ٥٣٠ ، الاحاطة ج ١ ص ٤١٩ .

(٤) روض القرطاس ص ١٦٧ .

(٥) البيان المغرب ج ٦ ص ٥٣٠ .

(٦) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٦٤ .

(٧) الاحاطة ج ١ ص ٤١٩ .

(٨) البيان المغرب ج ٣ ، روض القرطاس ص ١٦٩ .

(٩) المصدران ذاتهما ج ٣ ص ٣٥٩ ، - ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٣ .

المرتضى^(١) الذي كان على صلة وثيقة بالبابا^(٢) . وقد كان استخدام الروم والاعتماد عليهم من المآخذ الأساسية التي استغلها خصوم خلفاء دور الانحلال^(٣) .

ولم يكن استخدام الروم قاصرا على جيش الحضرة ، بل كان في كل ولاية ولا من ولايات المغرب الاقصى خاصة فاس^(٤) وسجلماسة^(٥) والسوس^(٦) ومكناسة^(٧) . واقتصر استخدام الروم على المغرب يوضح أن الموحدين قصدوا من تجنيد الروم حماية دولتهم من فتن القبائل البربرية ، والي شيء من هذا يشير ابن خلدون عندما يوضح السبب في اعتماد المسلمين على الجند الرومي فيقول أن النصارى معتادون على قتال الزحف واهل المغرب والعرب معتادون على قتال الكر والفر فلذلك استخدمهم المسلمون حتى لا تنكسر جيوشهم في قتال بني ملتهم ولا يستخدمونهم في قتال غير المسلمين .^(٨)

(١) البيان المغرب ج ٣ ص ٤٠٢ .

(٢) انظر عن المراسلات بينهما عنان ق ٢ ص ٥٣٦ - ٥٤٠ ، ٧٣٨ - ٧٤١ .

(٣) اختصار القديح ص ٤٤ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٢٦٢ .

(٤) البيان المغرب ج ٣ ص ٣٩٩ .

(٥) المصدر ذاته ج ٣ ص ٣١٤ ، ٣٦٥ ، ٤١٨ .

(٦) المصدر ذاته ج ٣ ص ٤٠٥ .

(٧) المصدر ذاته ج ٣ ص ٣٥٢ .

(٨) العبر ج ١ ص ٤٩٣ .

السودان :

عرف المغرب استخدام الزوج في الجيش قبل قيام الدولة الموحدية ، فقد كانوا عنصرا اساسيا في الجيش المرابطي (١) . وربما كان جل عبيد المخزن من السودان . وابتداء من خلافة يوسف بن عبد المؤمن نجد ان السودان كانوا يكونون فرقة قائمة بذاتها في الجيش الموحدى (٢) . وكانوا يقومون بروم خنادق المدن المحاصرة (٣) او هدم اسوارها بعد فتحها (٤) . ومن السودان كان حرس الخلفاء ويبدو وانهم كانوا يمضون بين يدي الخليفة خلال سير الجيش ويضربون دائرة حول قبة اثناء المعارك (٥) .

عدد ه :

من كل ما تقدم يتضح لنا ان عناصر الجيش الموحدى تعددت خلال دور ازدهار الدولة . فمن المتوقع - والحالة هذه - ان يبلغ عدد الجيش اكبر رقم له في هذا الدور . واما في دور تاسيس الدولة فيبدو انه من الصعب الحديث عن جيش نظامي ، اذ ان الروايات عن عناصر الجيش قبل فتح مراكش لا تذكر جندا نظاميا ثابتا . واغلب الظن ان الجيش خلال هذه الفترة التأسيسية كان يتكون على اساس النفير العام للقبائل الموحدية . وبعد فتح مراكش نجد اشارات واضحة تميز بين الجنود النظامي والمطوعة فمن الكلمات التي تستعمل لتدل على

(١) راجع نظم الجمان ص ١٠٩ ، البيان المغرب (ط . دار الثقافة) ج ٤ ص ٢٣ ، ٨٤ ،

الحلل الموشية ص ١٤ .

(٢) المن بالامامة ص ٤٣١ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٦١ ، ١٨٠ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، روض القرطاس

ص ١٤٠ ، ١٤٦ .

(٣) البيان المغرب ج ٣ ص ١٨٤ .

(٤) المصدر ذاته ص ١٨٥ .

(٥) روض القرطاس ص ١٥٩ .

الجند النظامي مثل "المستزقة" (١) و "المرتزقة" (٢) و "الاجناد المرسومون" (٣) وتحصر المصادر في اغلب الاحيان على التمييز بين المقاتلة النظاميين والمطوعة الذين يشتركون في حملة عسكرية (٤) .

وعلى الرغم من ان الدولة الموحدية كانت قد افردت ديوانا للجيش حفظ سجلات باسماء الجند الا ان شيئا من تلك السجلات لم يصلنا ، كما ان المصادر التي بين ايدينا لا تنبي عن استفادتها من تلك السجلات ، والاشارة الوحيدة عن الجند النظامي وصلتنا عن المراكشي اذ يقول : " وعدد المرتزقة الذين بمراكش من قبائل الموحيدين وسائر من ذكرنا من الاجناد على ما صح عندي تلخيصه (كذا) عشرة آلاف نفس ، وهؤلاء الذين بمراكش خارجا عما في سائر البلاد من الموحيدين واصناف الجند (٥) " . وهذه الرواية تمثل عدد الجيش في الحضرة في عساردهار الدولة ونحن لانعلم عدد الجند النظامي في الولايات والراجح ان عدده كان كبيرا اذ من المؤكد

(١) البيان المغرب ج ٣ ص ٣٣ ، ١٢٩ .

(٢) المن بالامامة ص ٤٣٦ ، ٥١٤ ، المعجب ٣٤١ ، روض القرطاس ص ١٣٢ .

(٣) المن بالامامة ص ١٩٣ ، ٢١٥ .

(٤) رسائل موحدية ص ٢٢١ ، المن بالامامة ص ٤٥١ ، الكامل ج ١١ ص ٢٤٢ ، البيان المغرب ج ٣

ص ٩٢ ، روض القرطاس ص ١٣٢ ، ١٣٨ ، ١٤٦ ، ١٥٩ - ١٦٠ .

(٥) المعجب ص ٣٤١ .

ان عبد المؤمن لما فتح المناطق كان يترك بها جندا من الموحدين وغيرهم من اصناف الجند .
وقد سار خلفاؤه على نهجه^(١) . وعليه لم يبق امامنا لتقدير عدد الجيش الموحدى الا الاشارات
التي وردت عن عدد الجند الذى اشترك في المعارك الكبرى وهنا تواجهنا عدة مسائل :
اولا : بعض الروايات تميل الى المبالغة في عدد الجيش المشترك في المعارك الكبرى وفي كثير
من الاحيان لا نملك غيرها فمثلا ثلث جيش فتح بجاية كان في ستين الف خيمة فيما رواه صاحب
الحلل^(٢) واذا علمنا ان الخيمة تسع عشرة فرسان^(٣) تبين لنا وجه المبالغة في الامر . ويجعل
صاحب الحلل جيش عبد المؤمن لفتح المهديّة خمسة وسبعين الف فارس ومن الرجالة خمسمائة الف^(٤) ،
بينما عند ابن الاثير مائة الف مقاتل ومثلهم سوقة واتباع^(٥) . وفي الوقت الذى يقدر ابن صاحب
الصلاة جيش عبد المؤمن استعداداً لغزو الاندلس بمائتي الف^(٦) ، يجعله صاحب روض القرطاس
نحو نصف مليون^(٧) . وعند المقرئ ان جيش الناصريوم العقاب بلغ ستمائة الف^(٨) .

-
- (١) اخبار المهدي ص ١٢٦ - ١٢٧ ، المن بالامامة ص ٢٠٢ ، المعجب ص ٢٠٦ - ٢٠٧ ، ٢٧٠ ،
٣١٨ ، روض القرطاس ص ١٢٦ ، نهاية الارب ص ٢٣٠ .
 - (٢) الحلل الموشية ص ١٢١ .
 - (٣) البيان المغرب ج ٣ ص ١٢٩ .
 - (٤) الحلل الموشية ص ١٢٧ .
 - (٥) الكامل ج ١١ ص ٢٤٢ ، نهاية الارب ص ٢١٠ .
 - (٦) المن بالامامة ص ٢١٨ .
 - (٧) روض القرطاس ص ١٣٢ .
 - (٨) نفع الطيب (ط . الرفاعي) ج ٤ ص ٧٤ .

ثانياً: لا تذكر الروايات عدد الجيش في جميع المعارك الهامة فموقعة الارك التي خلدت

الموحدين وجعلتهم رمزا لمجابهة نصارى اسبانيا لا تعرف عدد من اشترك فيها من الجند .

ثالثاً: في بعض الاحيان لا تفرق الروايات بين الجند النظامي والمطوعة^(١) .

رابعاً: ان عدد من يشترك في المواقع الكبرى لا يمثل عدد الجيش الموحدى لان بعض العناصر

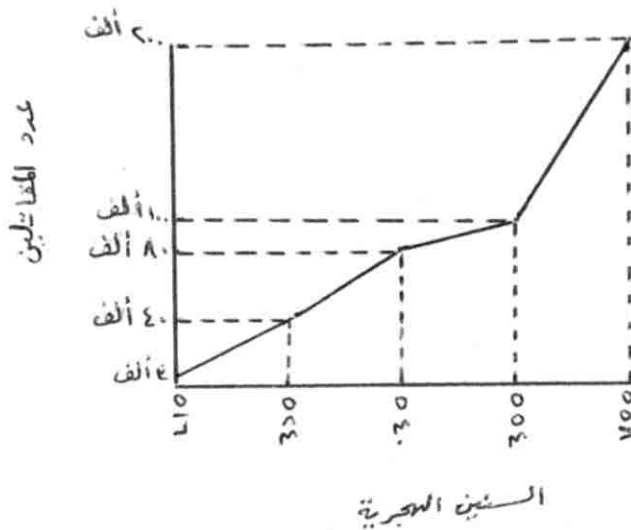
لا تشترك في جميع المواقع فالروم لا يبيرون في قتال نصارى الاندلس، والجند الاصطفي الاندلسي

لا يكون اشتراكه الا في معارك الاندلس، كما ان جند الولايات لا يتركون الولاية جميعهم للمسير في

حملة عسكرية .

ان عدد الجيش الموحدى كثر مع تعدد العناصر التي ازدادت مع اتساع رقعة الدولة

وتبدل مفهوم التوحيد ولتوضيح هذا القول اليك البيان الآتي^(٢) :



(١) المن بالامامة ص ٢١٨ ، ٤٩٧ .

(٢) اعتمدنا على استخراج هذا البيان من المن بالامامة ص ٢١٨ ، الكامل ج ١٠ ص ٥٧٧ ،

ج ١١ ص ٢٤٢ ، نظم الجمان ص ٨٨ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٩ ، الحلل الموشية ص ٩٤ ،

نهاية الارب ص ٢١٠ ، العبـرج ٦ ص ٤٧١ .

ومن الروايات المختلفة تبين لنا ان الجيش الموحدى في جميع المعارك الكبرى كان نحو
مائة الف مقاتل او اكثر^(١) الا في غزوة المنصور في افريقية حيث كان العدد عشرين الفا . وقد قصد
المنصور قلة العسكر لقلّة القوت^(٢) . وكانت السرايا او الامدادات التي تبعث من الحضرة تتراوح
بين عشرين الفا وثلاثين الفا^(٣) . ولم يتيسر للدولة في دور الانحلال المحافظة على هذا العدد .
واخيرا كان الموحدون يقومون بحروبهم على اساس ديني سواء في الاندلس او المغرب
فالنصارى اعداء الدين والشوار المحاربون هم " الاشقياء " المتمردون والكفرة المنخلعون من ثوب
الاسلام^(٤) . ولهذا كان المطوعة يمثلون قسما هاما في الجيوش الموحدية قد تساوى عدد الجيش
النظامي^(٥) ، ولكن في الاندلس قد تساوى اضعافه^(٦) نسبة لتوفر المؤن وقرب الاندلس من
الحضرة .

اقسامه :

كان الجيش الموحدى يعتمد اعتمادا كبيرا على الرجالة الذين الذين كانوا اغلبية الجند في كثير

- (١) المن بالامامة ص ٤٩٢ ، الروض المعطار ص ١١٤ ، نفع الطيب (ط . رفاعي) ج ٤ ص ٧٤ .
- (٢) الكامل ج ١١ ص ٥٢١ ، نهاية الارب ص ٢٢٢ .
- (٣) الكامل ج ١١ ص ١٨٦ ، ٢٤٦ ، ٢٨٤ ، روض القرطاس ص ١٣٨ .
- (٤) رسائل موحدية ص ١٨٤ .
- (٥) الكامل ج ١١ ص ٢٤٢ ، روض القرطاس ص ١٣٢ ، ١٣٨ ، نهاية الارب ص ٢١٠ .
- (٦) روض القرطاس ص ١٥٩ - ١٦٠ ، نفع الطيب (ط . رفاعي) ج ٤ ص ٧٤ .

من المعارك^(١) . غير ان الفرسان وان كانوا قلة في بداية الثورة^(٢) الا ان العدد اصبح كبيرا بعد قيام الدولة . وفي بعض الحملات العسكرية قد يساوى عدد الفرسان عدد الرجالة^(٣) . واغلب الظن ان الفرسان كانوا القسم الاساسي الذي هزم العرب عند سطييف (٥٤٨ / ١١٥٣)^(٤) .

والى جانب هذين القسمين هناك الرماة ، ويبدو ان هؤلاء الرماة كانوا في بداية الامر من عبيد المخزن ثم اضيف اليهم عدد من قبائل الموحديين وعناصر الجيش الاخرى^(٥) والراجح ان الرماة هم الغزاة . فعلى الرغم من ان رواية اليسع في الحلل تجعل الصنف الثالث عشر من الموحديين هو "الغزاة والرماة"^(٦) كأنهما صنفان مختلفان فان رواية اليسع نفسها عند ابن القطان^(٧) تذكر "الغزاة"^(٨) فقط مما يوحي بان اللفظين يعنيان شيئا واحدا . ومما يؤيد الراى الاخير ان صاحب الحلل نفسه في موضع اخر ذكر "الغزاة" وعلق قائلا "يعني الرماة"^(٩) .

-
- (١) راجع مثلا نظم الجمان ص ٨٨ ، الحلل الموشية ص ١٢١ .
 - (٢) انظر المصدرين ذاتهما ونفس الصفحات والعبر ج ٦ ص ٤٧١ .
 - (٣) المن بالامامة ص ٢١٨ .
 - (٤) راجع الكامل ج ١١ ص ١٨٦ ، ٢٤٦ ، نهاية الارب ص ٢٠٧ ، ٢١٢ .
 - (٥) قابل بين روايتي صاحب كتاب الانساب في اخبار المهدي ص ٤٦ ، ٤٨ .
 - (٦) الحلل الموشية ص ٨٩ .
 - (٧) نظم الجمان ص ٢٨ .
 - (٨) قرا محققا اخبار المهدي والحلل الموشية الكلمة "الغزاة" بينما قرأها محقق نظم الجمان "الغزاة" . جمع غر بمعنى الصبي الصغير اعتمادا على شح ابن اليسع حيث يقول عنهم "وهم الاحداث الصغار الاميون" (راجع نظم الجمان ص ٢٨ ح ٣) وسبق ان وضحنا في هذا الفصل كيف ان صاحب روض القرطاس يخلط بين الاغزاز والغزاة .
 - (٩) الحلل الموشية ص ٩٤ .

وقد ترددت لفظة "الغزاة" في الرسائل الرسمية^(١) والمصادر المعاصرة^(٢) بمعنى الرماة .
ومن الجائز ان الغزاة (الرماة) كانوا في بداية الامر من الصغار الاميين كما يقول اليسع ،
واغلب الظن انهم كانوا من غير الموحديين ، ولكن فيما بعد اصبحوا من الموحديين وغير الموحديين
من عناصر الجيش^(٣) .

وتميز الجيش الموحدى بفرقة للطبالة لم يكن استعمالها وتفاعلها الاغراض العسكرية فحسب كما
سيجي^٤ . وقد كان افراد هذه الفرقة من بين عبيد المخزن على الارجح^(٤) . وترجع اوليات هذه
الفرقة الى حياة المهدي^(٥) ، ثم اتسع نطاقها حتى ان عدد الطبول التي كانت تستعمل في خلافة
يوسف بن عبد المؤمن قد بلغت مائة طبل^(٦) .

واستخدمت الطبول لاغراض حربية متعددة فهي تستعمل اعلانا عن بداية الرحيل او استئناف
المسير^(٧) ، او مناداة للتجمع للقتال^(٨) ، او ايدانا ببدايته^(٩) ، او اعلاما بخروج كمين^(١٠)

(١) راجع رسائل موحدية ص ٢٥ / ٢٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ .

(٢) انظر نظم الجمان ص ١٢١ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٨٩ ، ٢١٩ - ٢٢٠ .

(٣) راجع أخبار المهدي ص ٤٧ ، ٤٨ .

(٤) المصدر ذاته ص ٤٦ .

(٥) المصدر ذاته ص ٨٠ ، المن بالامامة ص ٤٣١ .

(٦) المن بالامامة ص ٤٩٣ ، ٤٩٥ ، ويجعلها المراكشي في خلافة عبد المؤمن (المعجب ص ٢٣٢)

(٧) المن بالامامة ص ٥٠٢ ، ٥٠٨ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٧٩ - ٨٠ ، ٢٠١ ، روض القرطاس ص ١٤١ .

(٨) البيان المغرب ج ٣ ص ١٣٦ .

(٩) المن بالامامة ص ٤٩٥ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٤٦٤ .

(١٠) نظم الجمان ص ٢٤٢ ، الحلل الموشية ص ١١٣ .

كما ارادوا بها صك اسماع العدو وساعة الصدام^(١) ، واستعملوا الطبول في احتفالاتهم استبشارا بنصر
عسكري^(٢) ، اوسرورا بنبأ هام^(٣) ، واستعملوها في مراسيمهم في استقبال قائد او قدوم جنود^(٤)
او في احتفاء بتعيين وال عظيم^(٥) ، او في ابتهاج بانجاز عمل عمراني كبير^(٦) .

ونسبة لتعدد الاغراض فقد تنوعت الطبول وتعددت ففي حالة الاستقبال يضرب طبل مربع يرجع
الى عهد المهدي^(٧) ، بينما في الرحيل " يضرب طبل كبير مستدير الشكل دوره خمسة عشر ذراعا
منشأ من خشب أخضر اللون مذهب فاذا ضرب فيه ثلاث ضربات علم أنه طبل الرحيل فيرحل الناس
وكان يسمع على مسيرة نصف يوم من مكان مرتفع ، في يوم لا يرح فيه " ^(٨) . وقد يسمى بالطبل الكبير^(٩)
او طبل الرحيل^(١٠) . وفي حالة تعيين وال تضرب اربعة طبول^(١١) .

(١) المن بالامامة ص ٢٨٢ ، العبر ج ١ ص ٤٦٢ .

(٢) المن بالامامة ص ٢٧٥ ، ٥٢٣ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٣ ، ٣١ ، ٤١ ، ٦٥ ، ٣٦٦ .

(٣) المصدران ذاتهما ص ٢٦٠ ، ج ٣ ص ٦٠ ، ٤٧٠ .

(٤) المن بالامامة ص ٢٨٩ ، ٤٣١ .

(٥) المصدر ذاته ص ٢٩٤ .

(٦) المصدر ذاته ص ٤٦٩ .

(٧) المصدر ذاته ص ٤٣١ .

(٨) الحلل الموشية ص ١٢٦ - ١٢٧ .

(٩) المن بالامامة ص ٥٠٢ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٩٧ .

(١٠) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٠١ .

(١١) المن بالامامة ص ٢٩٤ .

الوحيدة التي جمع الرماة فيها تحت امرة قائد واحد هي غزوة وبذة (١١٧٢ / ٥٦٢) (١) . وفيما عدا ذلك فقد قسم العرب والبربر الى وحدات قبلية تراعي في اثناء السير (٢) او القتال (٣) او في تلقي الاوامر او في صرف العطاء . اما جند الاندلس فقد كانوا وحدة عسكرية (٤) ولكنها قسمت الى فرق بحسب المناطق الادارية (٥) . وفي بعض المعارك كون جند بعض الولايات المغربية وحدة عسكرية اقليمية (٦) . وكان كل من العبيد (٧) والروم (٨) والاغزاز (٩) وحدات قائمة بذاتها . وكل وحدة من هذه الوحدات قسمت الى تشكيلات ^{عشرية} اوكل تشكيلات عليها نقيب او مزوار (١٠) وهو صلة الوصل بينها وبين القيادة . وقد روعي التقسيم العشري حتى في سكن الجند ، فقد خصص لكل عشرة فرسان خيمة في حالة خروج الجيش الى القتال (١١) .

(١) المن بالامامة ص ٤٩٢ .

(٢) البيان المغرب ج ٣ ص ١٣٦ .

(٣) رسائل موحدية ص ٢١٠ ، المن بالامامة ص ١٩٧ ، ١٩٤ ، ٥٠١ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٦٣ ، ١٦٨ ، ١٧٧ ، الحلل الموشية ص ١١٤ ، روض القرطاس ص ١٢٩ ، ١٤٠ ، ١٥٥ ، ١٥٨ .

(٤) البيان المغرب ج ٣ ص ٤٨ ، روض القرطاس ص ١٤١ ، ١٥٥ .

(٥) المن بالامامة ص ٤٩٩ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٣٥ ، ١٧٧ .

(٦) البيان المغرب ج ٣ ص ١٧٩ .

(٧) المن بالامامة ص ٤٣١ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٨٠ ، ١٨٥ ، روض القرطاس ص ١٥٨ - ١٥٩ .

(٨) المن بالامامة ص ٤٣١ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٢٦ ، ١٨٠ ، الحلل الموشية ص ١٢١ .

(٩) البيان المغرب ج ٣ ص ١٨٠ .

(١٠) نظم الجمان ص ٢٧ .

(١١) البيان المغرب ج ٣ ص ١٢٩ .

القيادة :

في الجيش الموحدى ثلاثة انواع من القيادات العسكرية : قيادة الوحدة وقيادة الولاية والقيادة العامة . ان قيادة الوحدات العسكرية قبلية^(١) واقليلية^(٢) وعنصرية^(٣) غالبا ما توكل الى قائد من اهل الوحدة على ان يكون من اهل ثقة الخليفة . ولكن منذ خلافة يوسف بن عبد المؤمن كثيرا ما نجد بعض "السادة" على راس تلك الوحدات في مسير الجيش الى غزوا واثناء القتال^(٤) . وهذا امر يتفق مع تحول الخلافة الى حكم وراثي . ونسبة لخطورة الجبهة الاندلسية ومعاركها الدائمة مع النصارى فقد اولى الموحدون تنظيم القيادات في الاندلس عناية خاصة وجعلوا على كل القيادات الاندلسية رجلا من اهل الاندلس يشرف على شئونهم ويقود وحداتهم . ونعرف من هؤلاء الرؤساء الاندلسيين اثنين هما ابن عزون صاحب شريس وابن صناديد . وكان الاول في خلافة ~~طرب~~ عبد المؤمن واختير لسبقه وثباته على الطاعة يوم انتفضت الاندلس على عبد المؤمن في اول حكمه^(٥) . واما الثاني فقد كان في خلافة المنصور واختياره كان نتيجة لمواهبه العسكرية^(٦) . وذكرنا في الفصل ~~الثالث~~ ان قيادة الولاية كانت من اختصاص الوالي الذي يشرك معه الطلبة والحفاظ^(٧) .

-
- (١) اخبار المهدي ص ٧٥ ، المن بالامامة ص ٥٠٣ ، ٥١٩ ، روض القرطاس ص ١٤٨ ، العبر (٤) ج ٦ ص ٥٢٦ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ .
(٢) المن بالامامة ص ٤٩٩ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٤٦ ، ١٩٩ ، روض القرطاس ص ١٤٨ .
(٣) المن بالامامة ص ٥١٩ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٢٧٦ ، ٢٨٤ ، ٣٠٧ ، ٣٩٩ ، ٤١٨ ، ٤٣٥ ، ٤٤٢ ، روض القرطاس ص ١٤٨ ، العبر ج ٦ ص ٥٢٧ ، ٥٣١ ، ٥٣٣ ، ٥٣٨ .
(٤) المن بالامامة ص ٤٩٤ ، ٥٠٣ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٣١ - ١٣٢ ، ١٦٣ ، ١٧٩ .
(٥) الكامل ج ١١ ص ١٥٠ - ١٥١ ، نهاية الارب ص ٢٠٣ ، العبر ج ٦ ص ٤٨٧ .
(٦) روض القرطاس ص ١٤٨ .
(٧) راجع ص ١١٤ .

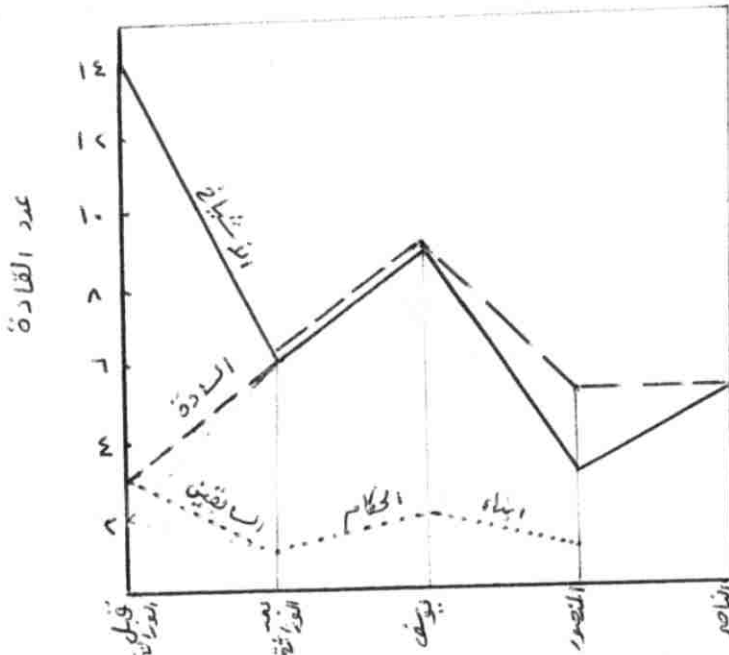
وأما القيادة العامة فقد كانت من اختصاص الخليفة وكان خلفاء دور الأزد هاريقودون الجيش بانفسهم في المعارك الكبرى في افريقية والاندلس^(١) ولكن في فترة تنفذ الاشياخ لم يعد الخلفاء هم القادة ~~للجيش بل ان منهم من لم يخرج في حركة قط~~^(٢) . ولما استرد الخلفاء سلطاتهم ابتداءً من خلافة المأمون استأنفوا^{قيادة} العمليات العسكرية^(٣) .

وكثيرا ما كان الخلفاء ينيبون عنهم غيرهم في قيادة حملات عسكرية . ففي حياة المهدي كانت قيادة مثل هذه الجيوش يقوم بها اهل الجماعة^(٤) ، ولكن منذ خلافة عبد المؤمن اختلف الحال من طوالي آخر ولنعطي فكرة عن تولوا القيادة العامة بتكليف من الخلفاء في دورى التأسيس والازدهار نقتار م البيبان

-
- (١) راجع عن عبد المؤمن العبير ج ٦ ص ٤٧٣ ، ٤٨٤ ، ٤٩٠ ، وعن يوسف : المن بالامامة ص ٣٠٩ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٧٠ ، العبر ج ٦ ص ٤٩٨ ، ٥٠٢ ، وعن المنصور : المعجب ص ٢٧٣ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٥٩ ، ١٦٣ ، العبر ج ٦ ص ٥١١ ، ٥١٢ ، وعن الناصر : البيان المغرب ج ٣ ص ٢٢٠ ، ٢٢٦ ، الرحلة ص ٣٥٧ ، روض القرطاس ص ١٢٣ ، العبر ج ٦ ص ٥١٩ ، ٥٢٢ .
- (٢) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٤٧ .
- (٣) راجع عن المأمون البيان المغرب ج ٣ ص ٢٨١ ، العبر ج ٦ ص ٥٣٠ - ٥٣١ ، وعن الرشيد : البيان المغرب ج ٣ ص ٢٩٠ ، ٣٢٣ ، العبر ج ٦ ص ٥٣٣ ، وعن السعيد البيان المغرب ج ٣ ص ٣٦٥ ، ٣٧١ ، ٣٨٦ ، العبر ج ٦ ص ٥٣٨ ، وما بعدها ، وعن المرتضى البيان المغرب ج ٣ ص ٤٠٣ ، ٤١٠ ، ٤٣٠ ، العبر ج ٦ ص ٥٤٣ ، وعن ابي دبوس : البيان المغرب ج ٣ ص ٤٥٨ ، ٤٦٠ ، وما بعدها .

(٤) انظر الفصل الثالث

الآتي (١) :



من هذا البيان يتضح ان القادة في دور التأسيس كانوا من اشياخ الموحدين ، ولكن في دور الازدهار ، وبعد ان اعلنت الوراثة في الحكم ، تساوت نسبة اشياخ الموحدين مع السادة بني عبد المؤمن . وكثرة السادة بين قادة الجيش يتمشى مع محاولات بني عبد المؤمن للسيطرة على مقدرات الدولة والاحتفاظ بمظاهر العظمة لانفسهم ، ولهذا لا يتورع بعض

(١) استخرجنا البيان من المصادر الآتية : رسائل موحدية ص ١٢٣ - ١٢٥ ، ٢٥٦ ، اخبار المهدي ص ١٢٤ ، المن بالامامة ص ١٨٢ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٣٠٨ ، ٣٧١ ، ٣٧٦ ، ٣٧٩ ، ٣٩٩ ، ٤٥٢ ، ٥١٩ ، ٥٢٥ ، المعجب ص ٢١٣ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٣١٤ ، الكامل ج ١٠ ص ٢٤٣ ، ج ١١ ص ١٥٠ ، ١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٨٦ ، ٢٤٦ ، ج ١٢ ص ١٤٧ ، البيان المغربي ج ٣ ص ٤٩ ، ٦٣ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٨٤ ، ٩٢ ، ٩٩ ، ١٠٤ ، ١١٧ ، ١٤٩ ، ١٥٣ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ٢١٤ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، الحلل الموشية ص ١٢٣ ، روض القرطاس ص ١٢٦ ، ١٣٧ ، ١٤٨ ، العبر ج ٦ ص ٤٧٥ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨٣ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٩١ ، ٤٩٤ ، ٤٩٧ ، ٥٠٤ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥١٥ ، ٥١٧ ، ٥١٩ ، ٥٢٨ ، اعمال (ليفي) ص ٢٦٥ .

ب
بذ

الخلفاء في نكبة قائد من الاشياخ ان ^{بذ} أحد ابناء الخليفة (١) . وهذا التنافس لم يكن بين السادة والاشياخ فحسب ولكنه وجد في داخل الاسرة الحاكمة ايضا (٢) . وقد كان جل القادة الاشياخ في دور الازدهار من اصهار بني عبد المؤمن .

ومن البيان يتضح ان ابناء الحكام السابقين كانوا قلة قليلة بين قادة الحملات العسكرية . وهذه القلة كان وجودها تألفا للزعماء السابقين وتقديرا للكفاءة من جهة اخرى . ولهذا كان جل هؤلاء القادة من مسوفة في خلافة عبد المؤمن (٣) ، وابناء مردنيش في خلافة يوسف .

وأما في دور الانحلال فقد كان اغلب القادة من المتنفذين من اشياخ الموحدين الذين ملكوا الخليفة بدالة (٤) لاسيما الوزراء من الاشياخ (٥) .

ونلاحظ عن كفاءة القواد أن الاشياخ من الموحدين كانوا قد كسبوا تجارب عملية من ممارسة الحرب الفعلية في قتال المرابطين ثم في عمليات التوسع . ويبدو ان عبد المؤمن عندما كان يفكر في تولية ابنائه القيادة كان يخشى من عدم الكفاءة فلهذا تلقى السادة في خلافته تدريبا عسكريا في المدرسة التي انشأها لتخريج الحفاظ (٦) . واغلب الظن انه كان يشعر ان المعرفة

(١) انظر موقف يوسف من ابي عبد الله ابن وانودين : البيان المغرب ج ٣ ص ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٥ - ١٢٥ ، ١٣٢ .

(٢) انظر سبب جواز يوسف لغزوة وبذة في المن بالامامة ص ٤٠٧ - ٤٠٩ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٨٨ .

(٣) العبر ج ٦ ص ٤٨٠ ، ٤٨٦ .

(٤) راجع البيان المغرب ج ٣ ص ٤١٥ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٤٣ ، العبر ج ٦ ص ٥٢٨ ،

٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ .

(٥) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٩٨ ، ٤٠٤ ، العبر ج ٦ ص ٥٣٤ ، ٥٣٥ .

(٦) راجع الفصل الثالث

النظرية لا تكفي في صنع قادة أكفاء فلماذا كان يبعث مع ابنائه عندما يجعلهم على قيادة حملات عسكرية بعض اشراف الموحدين ذوي الخبرة بالحروب مثل عمر الهنتاتي ويوسف بن سليمان . وعن الاخير منهما يقول ابن صاحب الصلاة " زعيم الموحدين وخالصة امير المؤمنين لتجربته بالحروب" (١) . ولهذا لم تضعف كفاية الجيش ومقدرته في خلافة عبد المؤمن ، بينما اهتز نظامه في خلافة يوسف حتى ان اعماله الحربية كانت اقرب الى التظاهرات الحربية ، فلم تنجح غزواته في الاندلس لان السادة استبدوا بالامور دون مشورة اولي الخبرة والتجربة . ولما اهتم المنصور بتولية اولي الكفاءة كانت انتصاراته في افريقية والاندلس . ويبدو ان المنصور كان مهتما بامر القيادة العامة في الولايات وفي المعارك الكبرى ، ففي افريقية موطن الثورات عين قائدا عاما للجيش في تونس مع وجود الوالي (٢) . وفي خلال معركة الارك مع ان المنصور كان على راس جيشه فقد عين قائدا عاما ليقود الجيش عمليا خلال المعركة (٣) . ويبدو ان هذا المنصب استمر بعد خلافته فهناك ما يفيد انه وجد في خلافة الرشيد (٤) . وربما كان ابن خلدون يشير اليه عندما يصف ويسمى السيد ابا العلا الملقب بابي دبوس والثائر على المرتضى بـ " قائد حروريه " (٥) .

ان السلطة الوحيدة التي كان يتمتع بها قادة الجيش الموحدي كانت سلطة تنفيذية فقد كان عليهم الاتصال الدائم بالحضرة واطارها بمتجدد الحال وتلقي التعليمات . والقائد الوحيد الذي حظي بسلطة ما هو السيد ابو حفص بن عبد المؤمن في خلافة اخيه يوسف فقد كان يولي على المناطق التي يفتحها (٦) . فالمركزية المستحكمة

(١) المن بالامامة ص ١٩٤ - ١٩٥ .

(٢) الكامل ج ١٢ ص ١٤٦ ، نهاية الارب ص ٢٢٧ .

(٣) روض القرطاس ص ١٤٨ ، العبير ج ٦ ص ٥١٢ .

(٤) البيان المغرب ج ٣ ص ٣٢٨ - ٣٢٩ .

(٥) العبير ج ٦ ص ٥٤٧ .

(٦) المن بالامامة ص ٤٠٥ .

التي تبينها في الفصول السابقة تظهر بوضوح في النظام العسكري الموحدى .

العــــــــــــد ة :

بدأت معدات الجيش الموحدى بسيطة وقليلة : ومع اتساع رقعة الدولة ومر الزمن تعقدت وتكاثرت . وخير ما يصور هذا التغير تطور استعمال الموحدين للمعسكرات والرايات والاسلحة واللباس .

لم نعثر على ما يوضح ان الموحدين اتخذوا معسكرات لجيوشهم في دور التأسيس ، ولكن في دور الازدهار نلاحظ ان الخلفاء كانوا يهتمون بسكن جيوشهم المقيمة والمسافرة . ففي سنة ١١٨٣ / ٥٢٩ وسع يوسف الحضرة حتى تسع هسكورة وصنهاجة الذين امرهم بالقدم اليها وسكنتها (١) .

ومن مظاهر اهتمام خلفاء دور الازدهار بسكن الجنود واماكن اقامتهم في حالة الخروج الى الحرب ما يرويه صاحب الاستبصار عن رباط سلا الذى كان مركز تجمع الجيوش الموحدية قبل ان تسير الى وجهتها . يقول صاحب الاستبصار عن رباط سلا ان فيه حمامات وفنادق وديارا كثيرة ومياه مطردة وسقايات ومنافع اعدت لورود المحلات عليها (٢) . وبنى المنصور خارج اشبيلية " حصن الفرج " ليكون منزلا للمجاهدين (٣) . وقد نزلته جيوشه لما خرجت الى غزوة الارك (٤) .

وكانت الدولة تقوم بكسوة العساكر المسترزقين والحشود (٥) . وكانت الكسوة التامة تتكون من عمام وفتاير وبرانس واكسية . ويحصل الفارس على غفارة وعمامة وكساء وقبطية وشقة . (٦)

(١) البيان المغرب ج ٣ ص ١٢٦ .

(٢) الاستبصار ص ١٤٠ - ١٤١ .

(٣) المعجب ص ٢٩٢ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٨٩ .

(٤) البيان المغرب ج ٣ ص ١٩٢ .

(٥) المن بالامامة ص ٢١٥ ، ٢٨٩ .

(٦) المن بالامامة ص ٢٩١ ، ٤٥٠ .

- واتخذ الجيش الموحدى منذ حياة المهدي راية بيضاء شعارا ، وسار الخلفاء على ذلك (١) .
غير ان ما يكتب على هذه الراية كان يختلف من خليفة الى آخر (٢) . والى جانب هذا العلم
المميز اتخذ الخلفاء سبعة اعلام لا تستخدم الا في الموكب الخلافي ويمشي حملة هذه الاعلام
في ساقه الخليفة (٣) .

واما قبائل الموحدين فلم تكن لهم اعلام في بداية الثورة حتى انهم في معاركهم الاولى ضد
المرابطين استخدموا اكسيتمهم واديتهم اعلاما (٤) . ثم جعل المهدي لكل قبيلة علما مميذا (٥) .
ولكن عبد المؤمن في حملته الطويلة الاعوام وزع البنود على سائر القبائل (٦) . وفي خلال دور
الازدهار استكثروا منها ، وجعلوا لكل وحدة علامة مميزة ، بما في ذلك المطوعة ، الذين كانوا
يحملون علما اخضر (٧) .

(١) المن بالامامة ص ٤٣٨ ، نظم الجمان ص ١٢٨ ، روض القرطاس ص ١٥٠ .

(٢) قارن بين نظم الجمان ص ١٢٨ و روض القرطاس ص ١٥٠ .

(٣) العبير ج ١ ص ٤٦٥ .

(٤) نظم الجمان ص ١٢٨ .

(٥) اخبار المهدي ص ٧٥ .

(٦) المصدر ذاته ص ٩٣ - ٩٤ .

(٧) روض القرطاس ص ١٤٨ .

وقد بلغت رايات الجيش الموحدى ثلاثمائة راية^(١) . ويظهر ان كثرة الرايات قصد بها ارهاب العدو وتثبيت نفوس المقاتلين^(٢) . كما ان علم الوحدة العسكرية يهدى المقاتل متى يثبت ومتى يقدم ومتى يتراجع^(٣) .

ومما تميز به الجيش الموحدى كثرة الاسلحة وتنوعها . ولم يكن للموحدين في فترة ايجيليز عدة لان الدفاع عملهم الحربي الاساسي^(٤) ، ولكن الاسلحة بدأت تكثر وتنوع بما يغنون من المرابطين^(٥) . فلما خرج عبد المؤمن في حملته الطويلة الاعوام كان سلاح الموحدين هو الدرق والوماح^(٦) ، بينما نلح ان القسي والنبال كانت بعد فتح مراكز مباشرة من اهم اسلحتهم وبها انتصروا على ثورة الماسي^(٧) . وفي عصر الازدهار نلاحظ ان الجيش الموحدى كان يسلاح بالسيوف والدروع والبيضات والرماح والدرق والقسي والسهام والتروس^(٨) ومن اشهر اسلحتهم السيوف الهندية والدرق اللطية والقسي الخطية^(٩) والرماح الطوال^(١٠) .

-
- (١) المعجب ص ٢٣٢ .
 - (٢) نظم الجمان ص ١٢٨ ، العبر ج ١ ص ٤٦٣ .
 - (٣) البيان المغرب ج ٣ ص ١٢٧ .
 - (٤) نظم الجمان ص ٨٤ .
 - (٥) المصدر ذاته ص ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٩٩ .
 - (٦) المصدر ذاته ص ٢٤١ .
 - (٧) الحلل الموشية ص ١٢١ .
 - (٨) راجع المن بالامامة ص ٢٠١ - ٢٠٢ ، ٢١٥ ، ٤٣٠ ، ٤٩٣ .
 - (٩) البيان المغرب ج ٣ ص ١٣٣ وعن الدرق اللطية انظر الاستبصار ص ٢١٤ .
 - (١٠) المن بالامامة ص ٢١٥ ، ٤٩٣ .

وإذا ما اعتزم الخليفة حرباً يأمر بضرب السلاح في جميع طاعته^(١) أو قد يكتفي بالمناطق التي ستمر عليها العساكر في طريقها إلى مكان قتالها^(٢) . وكان يضرب لعبد المؤمن من سهام وحدها عشرة قناطير يومياً^(٣) . وإن كان في هذه الرواية مبالغة فيكفي أن تدل على اهتمام الخلفاء بضرب السلاح وانتشار دور الضرب . وإلى جانب السلاح كانت تعد الخيل^(٤) والمعدات من روايا وقرب وحياض^(٥) . ومتى تم الاستعداد وزعت الأسلحة على الجند وبدأ المسير^(٦) . والأسلحة لا توزع على العساكر في حالة الحرب وحسب فقد كانت تفرق في حالات استقبال جيش قادم على الحضرة للاشتراك في غزو مرتقب أو استقبال جيش عائد من قتال^(٧) .

وتفوق الموحدون على المرابطين في فنون الدفاع والحصار فعند بداية الثورة الموحدية كان الموحدون يحسنون فنوناً للدفاع يدل على اختيارهم جبل درن موطناً لثورتهم وهو ما هو حصانة^(٨) ، واتخاذهم إيجيليز ثم تينملل مركزاً لأعمالهم الحربية . وفوق حصانة الموضعين الطبيعية فقد حصنوا

-
- (١) المن بالامامة ص ٢١٥ ، روض القرطاس ص ١٣١ .
 - (٢) البيان المغرب ج ٣ ص ١٧٤ .
 - (٣) روض القرطاس ص ١٢٧ .
 - (٤) المن بالامامة ص ٢١٥ ، روض القرطاس ص ١٣١ .
 - (٥) الكامل ج ١١ ص ٢٤١ ، نهاية الأرب ص ٢١٠ .
 - (٦) المن بالامامة ص ٢١٥ ، ٤٣٠ .
 - (٧) المصدر ذاته ص ٢٨٩ .
 - (٨) انظر الحلل الموشية ص ٩٢ - ٩٣ .

الاولى (١) ، وسوروا الثانية (٢) ، وحفروا حولها خندقا (٣) ، وشيدوا برجاً للمراقبة (٤) . ولازمتهم هذه الميزة الدفاعية عندما تحولوا من الدفاع الى الهجوم ، ففي هجومهم الاول على مراكش عام البحيرة (١١٣٠ / ٥٢٤) بنوا سورا حول محلثهم (٥) . وفي حصار فاس عملوا سورا وحفروا خندقا حول خيمة خليفثهم (٦) . وغدا فعلهم هذا مثلاً احتذوه في مكناسة (٧) والمرية (٨) والمهدية (٩) . وفي هذه المدن الثلاث كانوا يشيدون الاسوار حولها مما يسرلهم حصار المدن مدة طويلة حتى تستسلم . وهذا الحصار الذي يدوم أمدا طويلا كان أحد وسائلهم الاساسية في حصار المدن (١٠) . ولم يكن الحصار وسيلتهم الوحيدة ، فقد بينون سدا على النهر الذي يدخل المدينة ثم يهدمون ذلك السد فتندفع المياه فتهدم اسوار المدينة مثل السد الذي فعلوه في حصار

-
- (١) نظم الجمان ص ٨٢ - ٨٣ ، البيان المغرب (ط . دار الثقافة) ج ٤ ص ٦٨ .
- (٢) عن حصانة تينملل والسور الذي بناه الموحدون راجع نظم الجمان ص ٩٥ ، الحلل الموشية ص ٩٢ ، Huici; v.1, p.p. 73-74
- (٣) نظم الجمان ص ٨٧ .
- (٤) أخبار المهدى ص ٨٠ .
- (٥) نظم الجمان ص ١١٧ .
- (٦) البيان المغرب ج ٣ ص ١٩ ، نهاية الارب ص ١٩٩ .
- (٧) الحلل الموشية ص ١١٢ .
- (٨) الكامل ج ١١ ص ٢٢٤ ، روض القرطاس ص ١٢٦ ، نهاية الارب ص ٢٠٩ .
- (٩) الكامل ج ١١ ص ٢٤٣ - ٢٤٥ ، نهاية الارب ص ٢١١ - ٢١٣ .
- (١٠) راجع فتح تلمسان ومراكش والفهدية في المعجب ص ٢٢٩ - ٢٣٠ ، الكامل ج ١٠ ص ٥٨٢ - ٥٨٤ ، ج ١١ ص ٢٤٣ - ٢٤٥ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٩ ، ٢٢ ، ٣٩ ، الحلل الموشية ص ١١١ ، ١١٣ - ١١٤ ، ١٢٨ ، روض القرطاس ص ١٢٩ ، نهاية الارب ص ١٩٩ - ٢٠١ ، ٢١١ - ٢١٣ .

فاس^(١) ، وقد يمنعون الماء عن المدينة المحاصرة^(٢) ، أو يحاصرونها اقتصاديا بتخريب ما حولها من زرع^(٣) ومنع التجارة معها^(٤) . وكثيرا ما يداخلون المحاصرين حتى تستسلم المدينة في أقصر وقت ممكن^(٥) .

وكل هذه الوسائل كانت مستعملة قبل فتح مراكش وظلت مستعملة بعد ذلك ولكن منذ حصار سلا ومراكش بدأ الموحدون يستخدمون آلات كثيرة لدك حصون اعدائهم . ومن الآلات التي اسهمت بنصيب كبير في فتح سلا ومراكش السلا^(٦) والتي ظلوا يستخدمونها فيما بعد^(٧) . وفي دور الازدهار تنوعت آلات الحصار وتعددت منها المجانيق والدبابات ذات الطوابق والتي تتحرك بالهز كما استخدموا كرات حديدية ملتهبة^(٨) . ومعرفتهم بهذه الكرات الحديدية الملهبة قد تبعث على الظن ان الموحدين عرفوا البارود واستخدموه ، وعلى الرغم من ان البارود عرف في المغرب بعد سقوط دولة بني عبد المؤمن مباشرة فمن المشكوك فيه ان الموحدين قد عرفوه^(٩) . ومن الآلات

-
- (١) الكامل ج ١٠ ص ٥٨١ ، ٥٨٢ ، الحلل الموشية ص ١١١ - ١١٢ ، روض القرطاس ص ١٢٣ .
 - (٢) المن بالامامة ص ٤٩٨ - ٥٠١ ، المعجب ص ٢٥٠ - ٢٥١ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٩٦ .
 - (٣) رسائل موحدية ص ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، المعجب ٢٨٣ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٩٩ ، ٢٠٣ .
 - (٤) رسائل موحدية ص ١٣ .
 - (٥) استخدموا الهداخلة في فتح فاس الكامل ج ١٠ ص ٥٨١ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٩ .
 - وسلا البيان المغرب ج ٣ ص ٢٠ (وجاية الحلل الموشية ص ١٢٣ ، روض القرطاس ص ١٢٦) وقلعة جابر في الاندلس المن بالامامة ص ١٨٤ .
 - (٦) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٠ ، ٢٣ ، الحلل الموشية ص ١١٤ .
 - (٧) راجع مثلا البيان المغرب ج ٣ ص ١٣٤ .
 - (٨) راجع رسائل موحدية ص ١٠٥ - ١٠٧ ، ١٦٦ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١١٤ ، ١٨٤ ، ٢٢٢ ، روض القرطاس ص ١٥٣ ، ١٥٦ .
 - (٩) أشياخ ص ٣٠٩ ، المنونسي ص ٢٦٥ .

التي كانوا يستخدمونها الكباش^(١) والعرادة^(٢) .

وادوات الحصار هذه قد تصنع في الحضرة ثم تحمل الى موطن الحصار^(٣) ، وربما يمكن صنعها عند موطن الحصار ، وقد كانت تنجز في وقت قصير ان الجيش كان ~~يطلب~~ ^{يطلب} عددا كبيرا من الصناع^(٤) . واذا ما فتحت المدينة المحاصرة او فشل حصارها احترقت تلك الآلات^(٥) . وفي اثناء الاستعداد للحصار وفي مدة الحصار كان الخليفة او القائد المنوط به الحصار يراقب الاعمال من برج عال يتخذ له يدعى المرقبة او الديدبان^(٦) . ولكيما يدخل الموحدون الرعب في قلوب المحاصرين كانت الرايات ترفع والطبول تفرع والتهليل والتكبير ^{يملأ} الجو ضجيجا^(٧) . والمدن او الحصون التي يستعصى فتحها مثل فاس^(٨) ، او التي يخشى ان تصبح موطن ثورة وفتنة مثل قفصة^(٩) ، او التي قد يستغلها عدوهم مجددا مثل شنتقروس وابلتانسية وطمار وقلماله في الاندلس^(١٠) كانوا يسوون اسوارها بالارض هدماء . غير ان ذلك لا يدعو الى الظن بأن الموحدين اهملوا أمر التحصينات ان خلفاءهم كثيرا ما شيدوا حصونا جديدة او اصلحوا اخرى

-
- (١) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٢٢ .
 - (٢) روض القرطاس ص ١٥٣ .
 - (٣) البيان المغرب ص ١٢٨ .
 - (٤) رسائل موحدية ص ١٠٥ ، الحلل الموشية ص ١٢٨ .
 - (٥) المن بالامامة ص ٥٠٢ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٦٨ .
 - (٦) الكامل ج ١٠ ص ٥٨٣ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٦٨ ، الحلل الموشية ص ١١٣ ، نهاية الارب ٢٠٠ .
 - (٧) البيان المغرب ج ٣ ص ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٦٦ ، ١٨٦ ، ٢٠٣ .
 - (٨) روض القرطاس ص ١٢٣ .
 - (٩) رسائل موحدية ص ٢٠٩ - ٢١٠ ، الاستبصار ص ١٥١ ، المعجب ص ٢٧٥ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٦٨ .
 - (١٠) رسائل موحدية ص ٢٣٢ - ٢٣٣ ، ٢٢٥ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٨٥ .

قديمة • ولما فتح عبد المؤمن تونس بنى بها ابراجا للمراقبة^(١) ولما فتح المهدي اصلى اسوارها على الرغم من حصانتها الطبيعية^(٢) • وقام المنصور بتسوير فاس التي هدمها جده واتم الناصر تسويرها^(٣) • كما أن المنصور اعتنى باسوار اشبيلية لما هدمتها السيول^(٤) • وقد طور الموحدون بناء الحصون فقد كانت تبني في المغرب من الحجر والتراب فادخل الموحدون البناء بالطابية^(٥) • ومرتبطة بالتحصينات العناية بالشغور وقد اولاهالموحدون عناية كبرى وكانوا يرسلون الى شغور الاندلس الاسلحة والرجال^(٦) ويمدونها بالاقوات مثل القمح والشعير والدقيق والزيت والملح فتخزن في مخازن اعدت لهذه الغاية تحسبا لاقوات الشدة ومحاصرة الاعداء^(٧) •

الجيش والحرب :

بعد ان بينا عناصر الجيش وعدده واقسامه وتشكيلته وقيادته وعدته وعتاده بقي علينا ان ندرس

-
- (١) الحلل الموشية ص ١٢٨ •
 - (٢) الكامل ج ١١ ص ٢٤٥ ، نهاية الارب ص ٢١٣ •
 - (٣) روض القرطاس ص ١٢٣ •
 - (٤) البيان المغرب ج ٣ ص ١٣٨ •
 - (٥) راجع دراسة د • سالم عن تحصينات الموحدين في مؤلفه المغرب الكبير ج ٢ ص ٨٥٨ - ٨٦٤ •
 - (٦) راجع في ذلك رسائل موحديّة ص ٢٣٩ - ٢٤٠ ، المن بالامامة ص ٢٠١ - ٢٠٢ ، ٢٠٦ ، ٣٩٧ - ٣٩٨ ، المعجب ص ١٨٣ ، الكامل ج ١٢ ص ١١٥ ، وفيات ج ٦ ص ٨ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٢٩ ، ٥٣ - ٥٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٨٦ ، نهاية الارب ص ٢٢٥ •
 - (٧) انظر المن بالامامة ص ٢٠١ - ٢٠٢ ، ٣٩٧ - ٣٩٨ ، ٤٦٢ - ٤٦٣ ، ٥٢٥ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٨٤ •

مسلك الجيش في الحرب فما هي الروح الموجهة للقتال ؟ وكيف يتم الاستعداد ؟ وهل للجيش نظام سير ثابت ؟ وكيف توضع خطته وما هي تلك الخطط ؟ وما هي طريقة القتال ؟

الدين والحرب :

قامت الدولة الموحدية نتيجة دعوة دينية تجديدية لغايات سياسية . وكان لهذه الدعوة

اثر في سائر النظم التي درسناها فما هو أثرها في النظام العسكري ؟

صاغ الموحدون حروبهم بالصيغة الدينية وجعلوا الروح الدينية هي الموجهة للجنود . وقد ظن الموحدون في انفسهم انهم اهل الايمان الحق وسواهم من المسلمين مجسمة كافرون ، لاسيما اولئك الذين لم يخضعوا لسلطان دولتهم . فاعداءهم - والحالة هذه - نصارى اسبانيا ، والمسلمون الذين يعيشون خارج حدود دولتهم ، واولئك الذين يعيشون داخل الدولة ويشورون عليها كل ما واتت الفرصة . فحروبهم جهاد لاعلاء كلمة الله كما فهموها . ونسبة لتداخل العامل الديني العام كما يتجلى في جهاد نصارى اسبانيا ، والديني المهدوي الخاص كما يتجلى في جهاد المسلمين من غير الموحدين فقد جاءت المظاهر الدينية في نشاطهم العسكري شاملة للمظهرين .

وتتجلى المظاهر الدينية في النظام العسكري نشاطة للمظهرين خيرا ما تتجلى في زيارة الخلفاء

الى قبر المهدي في تينمل قبل الخروج الى الغزو^(١) . وفي مسيرهم يقدمون على الموكب جملا يحمل

مصحف عثمان الذي احتفوا بتزينه وزخرفة اوعيته^(٢) ، ويليه بغل عليه مصحف ابن تومرت وبغل يحمل

(١) المن بالامامة ص ٢١٥ - ٢١٦ ، المعجب ٣١٤ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٥٧ ، ٤٠٣ ، ٤١٠ .

(٢) راجع عن مصحف عثمان المن بالامامة ص ٤٣٩ - ٤٤٠ ، ٤٤٥ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٢٩ - ١٣٠ ،

٤٧١ - ٤٧٢ ، المعجب ص ٢٥٢ - ٢٥٣ ، الحلل الموشية ص ١٢٧ ، نفح الطيب (ط . الرفاعي)

ج ٥ ص ٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٥٨ ، ١٧٥ ، ١٨٤ ، المنوني ص ٢٦٢ - ٢٦٣ ، ٢٦٨ - ٢٦٩ .

بربعة مربعة تحتوى على كتب الحديث الصحاح^(١) . ويدلنا على اهتمام الموحدين بالمظهر الديني لحروبهم جمعهم لاحاديث الجهاد ، واملأوها على الموحدين قبل خروجهم للقتال^(٢) . ولما كانت القبائل التي تكون عصب الجيش تواقه للكسب المادى ، فقد حرص الموحدون على ربط التذكير بفضل الجهاد بما يمكن ان يناله الحاجج المجاهدون من نعيم بما يغنون^(٣) . ومن مظاهر هذا الاهتمام تكوين فرقة لقراءة حزب من القرآن وشيء من الحديث وعقائد ابن تومرت بالغدو والعشى في حالتى الاقامة والسفر^(٤) . والحرص على اداء الصلوات في المسير واثناء القتال^(٥) . والتقيد بتقاليد السلف الصالح في اداب الحرب من انذار العدو واعذاره^(٦) ، وتجنب خراب الزرع^(٧) ، واستصحاب الفقهاء والصلحاء والقضاة^(٨) .

وتنبه الموحدون الى اهمية العامل الديني في ازكاء الحماسة في نفوس المقاتلين ، فكانوا لا يشتركون في معركة الا بعد ان يعظوا الناس . وكان المهدي يذكر بنفسه^(٩) ، واما عبد المؤمن فقد كان يعظ في احيان قليلة^(١٠) ، فلهذا كان القائد يقوم بوعظ جنده^(١١) الى جانب خطبة خطيب الخلافة . ويدلنا على ما علقه الموحدون من اهمية على عملية التذكير هذه أنهم كانوا يستعملون البربرية لا الى جانب العريضة^(١٢) .

-
- (١) ابن شريفة ص ١٢٠ نقلا عن رسائل ابن عميرة المخطوطة .
 - (٢) المعجب ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .
 - (٣) رسائل موحديّة ص ٢ ، نظم الجمان ص ٨٢ - ٨٣ ، ٨٤ .
 - (٤) الفصل السادس ص ٢٤٧ - ٢٥٠ .
 - (٥) نظم الجمان ص ٨٩ .
 - (٦) رسائل موحديّة ص ١٢ ، ١٠٢ ، ١٤٩ ، ١٨٥ ، ٢٠٢ ، المعجب ص ١٩٢ ، المن بالامامة ص ٣١٢ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٤٦ ، ١٦٢ .
 - (٧) نظم الجمان ص ١٢٨ .
 - (٨) روض القرطاس ص ١٤٦ .
 - (٩) نظم الجمان ص ٨٢ - ٨٣ ، (١٠) المصدر ذاته ص ١٩٣ - ١٩٤ (١١) المن بالامامة ص ١٩٢ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٢٤ ، ١٩٤ . (١٢) الفصل السادس ص ٢٤٦ .

ولعل خير ما يبين الترابط والتلازم بين الدين والروح العسكرية عند الموحدين الرموز التي اتخذوها دلالة على علو همتهم في الجهاد فقد كتبوا على باب القصة الشرقي بالرباط الآية " يا أيها الذين آمنوا هل اذلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله... الى آخر الآيات (١) . ونقشوا على احدى نوافذ صومعة حسان جهة البحر صورة سيفين مصلتين رأسيهما الى السماء (٢) .

وسنقصر بحثنا في الفقرات القادمة عن مسلك الجيش في دور الازدهار ثم نختم ذلك بالحديث عن دور الانحلال لان الجيش الموحدى في دور الانحلال فقد كل مميزاته واصبح من عوامل انهيار الدولة .

الاستعداد :

كان الخليفة عندما يفكر في عمل عسكري يشاور مجالسة الاستشارية (٣) واذ ما عزم على الخروج أخرج قبته الحمراء والمصحف وأمر بتجهيز الجند (٤) . ثم يبعث كتبه مستنفرًا الناس للجهاد (٥) . وأكد المنصور على الحشد الطوعي (٦) ، ولكن في ايام الناصر فرضت على كل قبيلة في المغرب حصة من الخيل والرجال (٧) ، مما يدعونا الى القول بان مبدأ الحشد الطوعي لم ينجح بعد المنصور . ومن الواضح ان الاستعداد للقتال في الجبهة الاندلسية كان ينال اهمية خاصة عند الموحدين فيرسلون

(١) سورة الصف (٦١) : آية ١٠ - ١٢ وانظر المنوني ص ١٣ نقلا عن مقدمة الفتح .

(٢) المهر = المنوني ص ١٣ نقلا عن مقدمة سوق المهر .

(٣) المن بالامامة ص ٥٠٢ ، نظم الجمال ص ٢٢٦ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١١٣ ، ١٣٠ ، الحلل الموشيقص ص ١١٨ .

(٤) روض القرطاس ص ١٤٥ .

(٥) المن بالامامة ص ١٩١ - ١٩٤ ، المعجب ص ٢٣٥ ، ٢٥٦ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٣٩ ، ٨٨ ، ٦٩٠ ، ١٢٨ - ١٣٠ .

(٦) البيان المغرب ج ٣ ص ١٧٤ .

(٧) روض القرطاس ص ١٥٤ .

الى ولاية الاندلس يأمر ونهم بالاستعداد بالمؤمن والرجال^(١) . وقد يرسلون ولاية جددا استعداد لغزوة حتى يطمئنون على حسن التجهيزات وكمالها^(٢) . ويستدعون ولاية المغرب وخاصة افريقية وبجاية وتلمسان لإبجندهم وقادتهم ومؤتمهم واسلحتهم^(٣) . فبينما يشترك جند افريقية في قتال الجبهة الاندلسية لا يشترك جند الاندلس في قتال الجبهة الافريقية .

وفي الوقت الذي تتجمع الحشود من كافة اطراف الدولة تكون الاسلحة قد جهزت سواء تلك التي فرضت على القبائل والولايات او التي صنعت في الحضرة . وفي الوقت ذاته يتكامل جمع المؤمن وتخزينها . والدارس لمعارك الموحدين يلاحظ التلازم بين دقة التموين والنجاح العسكري ، وانفراط عقد التموين والفشل الحربي في التاريخ الموحدي . وكان عبد المؤمن شديد الاهتمام بأمر تموين جيشه . ففي استعداده لغزوة افريقية امر العمال بنقل الغلات الى المنازل التي سيتزلها الجيش مدة ثلاث سنين^(٤) . ولما عزم على غزو الاندلس (١١٦٢ / ٥٥٢) أخذ في اعداد القمح والشعير والعلوفات وقد عاينها ابن صاحب الصلاة مكذسة "كأمثال الجبال"^(٥) . وقد كانت مثل هذه الاستعدادات من عوامل انتصاراته .

ولم يستطع يوسف المحافظة على تلك الدرجة من كمال الاستعداد فقد كان نقص الموقع من اهم اسباب فشل اعماله الحربية في الاندلس^(٦) . اما المنصور فقد حفل بموقع جيشه سواء في اعماله العسكرية في افريقية او الاندلس^(٧) . وعلق ابن عذارى عن استعداد المنصور لغزوة افريقية

(١) البيان المغرب ج ٣ ص ١٣٢ ، ٢٣٥ .

(٢) المصدر ذاته ج ٣ ص ١٧٤ ، ١٩٢ ، العبر ج ٦ ص ٥٠٣ - ٥٠٤ .

(٣) المن بالامامة ص ٤١١ - ٤١٩ ، وفيات ج ٦ ص ٥ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٨٨ - ٩٩ ، العبر

ج ٦ ص ٥٠٠ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ .

(٤) الكامل ج ١١ ص ٢٤١ ، نهاية الارب ص ٢١٠ .

(٥) المن بالامامة ص ٢١٤ .

(٦) المصدر ذاته ص ٥٠٠ - ٥٠١ .

(٧) لثلا انظر حملة شلب في رسائل موحدية ص ٢٢٦ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٧٤ .

فقال كان الناس "يمشون كأنهم في أحسن مساكنهم وينتقلون من الترفه والتمتع بما لم يعهدوه في معاشهم ولا اقتدروا عليه/أماكنهم" (١) . وكان المنصور يحدد لجيشه وفق ما جمع من مؤن (٢) . كما ان الخطط العسكرية كانت توضع مع مراعاة لموقف الجيش التمويني وتمشيا مع ذلك الموقف كان يقرر الهجوم او الانسحاب (٣) .

ولما جاء الناصر كان يعمل جاهدا للاهتمام بالمؤن في جميع المراحل التي ينزلها الجيش (٤) . ولكنه في مسيره الى العقاب اكتشف في فاس نقصا شديدا في المؤن فنكب العمال المكلفين (٥) . وقد كانت قلة المؤن من الاسباب لهزيمة الموحدين في العقاب ، تلك الهزيمة التي لم يقل جيشهم بعدها العثرة .

ومن كمال الاستعداد كان الخلفاء يأمرن بتمهيد المسالك التي يسلكها الجيش ، ويحضر الإبار في الطرقات (٦) ، ونصب الجسور في أماكنها (٧) . وشهدت الفترة الموحدية عمراننا واسعاً في سبيل دعم النظام العسكري من تشيد قناطر وبناء حصون في المنازل . فقد اقاموا جسر وادي ام الربيع (٨) ، وقنطرة تانسيفت (٩) واشبيلية (١٠) وسلا (١١) . وبنو حصونا تنزلها عساكرهم في طريقها الى القتال

-
- (١) البيان المغرب ج ٣ ص ١٥٨ .
 - (٢) الكامل ج ١١ ص ٥٢١ ، نهاية الارب ص ٢٢٢ .
 - (٣) رسائل موحدية ص ٢٢٢ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٨٠ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٩٨ ، ٢٠٢ .
 - (٤) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٣٥ .
 - (٥) المصدر ذاته ج ٣ ص ٢٣٧ ، روض القرطاس ص ١٥٥ .
 - (٦) الكامل ج ١١ ص ٢٤١ ، نهاية الارب ص ٢١٠ .
 - (٧) البيان المغرب ج ٣ ص ١٥٨ ، ٢٣٥ .
 - (٨) المن بالامامة ص ٤٤٣ .
 - (٩) المصدر ذاته ص ٤٤٩ - ٤٥٠ .
 - (١٠) المصدر ذاته ص ٢٣٤ - ٢٣٥ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٣٨ ، روض القرطاس ص ١٣٨ .
 - (١١) المن بالامامة ص ٤٥٠ ، الاستبصار ص ١٤١ .

مثل رباط سلا^(١) التي كانت مركزا لتجمع الجيوش الزاحفة نحو افريقية او الاندلس^(٢) ، ومثل جبل الفتح^(٣) .

السير :

ومتى اكتمل الاستعداد واراد الخليفة الخروج ضرب طبل الرحيل وعادة يبدأ مسير الجيش بعد اداء صلاة الصبح ، فينادى منادى " الاستعانة بالله والتوكل عليه " فيخرج الخليفة من خيمته راكبا وحوله اعيان القراة واشياخ الموحدين مشاة بين يديه خطوات كبيرة ، ثم يأمرهم بالركوب ، ويبسط يديه بالدعاء فاذا فرغ قرأ اهل الحزب حزبا من القرآن وشيئا من الحديث وعقائد ابن تومرت وهم في سير رفيق ، فاذا فرغوا وقف الخليفة ودعا^(٤) . وكان يخرج من مراکش من باب دكالة^(٥) . ويسير الجيش الى الغداة ثم ينزل ويستأنف المسير من صبح غد^(٦) . وفي حالتي النزول او استئناف المسير تتبع نفس المراسيم التي تتبع في بداية السير .

وللسير ترتيب لا يتبدل في الاحوال الطبيعية وهو ان يتقدم مائة فارس بمصحف عثمان^(٧) ، والعلم الابيض من ورائهم^(٨) ، وعلى بعد ربع ميل يسير الخليفة^(٩) ، فالقراة ، تتبعهم البنود والطبول

-
- (١) عن بناء رباط سلا راجع المن ص ٤٤٨ - ٤٤٩ ، الاستبصار ص ١٤٠ - ١٤١ ، المعجب ص ٢٦٦ ، الكامل ج ١٢ ص ١٤٥ ، وفيات ج ٦ ص ٩ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٨٨ ، نهاية الارب ص ٢٢٨ .
 - (٢) المن بالامامة ص ٢١٨ ، المعجب ص ٢٣٥ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٣٩ ، ١٣٠ ، ١٧٧ ، ٢٣٦ ، روض القرطاس ص ١٣٩ .
 - (٣) المعجب ص ٢١٢ ، روض القرطاس ص ١٣٠ .
 - (٤) المعجب ص ٣٤٢ ، ونداء الركوب عند ابن القطان هو " الاستخارة بالله والتوكل عليه (انظر نظم الجمان ص ١٢٧) .
 - (٥) المن بالامامة ص ٤١٨ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٩٢ ، ١٣٠ .
 - (٦) الحلل الموشية ص ١٢٧ .
 - (٧) المصدر ذاته ص ١٢٧ .
 - (٨) المن بالامامة ص ٤١٨ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٢٩ .
 - (٩) نظم الجمان ص ١٢٧ .

فالمدبرون لدولته ثم يتتابع الناس حسب قبائلهم ، ووفق سبقهم في الدعوة او الدخول في طاعة الدولة^(١) ولكل قبيلة ترتيب في المسير ومنزل في النزول لا تتعداهما^(٢) . وفي حالات قليلة يختلف ترتيب السير الذي شرحناه ففي الرجوع من الغزو تقدم الحمولة والاثقال ثم الناس ، وآخر خباء يقلع → هو خباء الخليفة . وربما يترك الخليفة ساقته في المؤخرة لدفع العدو عن الضعفاء من الناس^(٣) وفي الجواز تجوز العساكر اولا ثم الخليفة في ساقته^(٤) . ومخالفة نظام السير قد تأتي بنتائج وخيمة كالكارثة التي احدثت بالجيش الموحدى في سنتين عندما رحل الجند دون نظام وخطة^(٥) . وللجيش منازل معلومة ينزلها^(٦) ، ومسالك معينة يسلكها ، وكل شيء كان يتم على نسق مقرر ، حتى ان الجواز الى الاندلس انزلت العساكر **قصر** ممودة فالى طريف^(٧) ، وان نزلت سبته فالى جبل الفتح^(٨) . وكان الجيش يبطن في حركته^(٩) ، حتى ان عبد المؤمن قطع المسافة من سلا الى تونس في ستة اشهر بينما هي مسيرة سبعين يوما للمجد الراكب^(١٠) . وقطع يوسف المسافة من مراكش الى سلا في سبعة عشر يوما^(١١) . وهذا البطء في السير كان يحفظ على الجند قوتهم

-
- (١) المن بالامامة ص ٤١٨ ، نظم الجمان ص ١٢٧ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٩ ، ١٣٠ ، الحلل الموشية ص ١٢٧ - ١٢٨ .
 - (٢) الحلل الموشية ص ١٢٨ .
 - (٣) المن بالامامة ص ٥٠٢ - ٥٠٣ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٩٧ ، ١٣٦ .
 - (٤) المن بالامامة ج ٣ ص ٩٢ ، ١٣٠ ، ١٨٨ ، ٢٣٧ ، ٤٥٢ ، روض القرطاس ص ١٤٠ ، ١٤٦ .
 - (٥) راجع المعجب ص ٢٥٨ - ٢٥٩ .
 - (٦) انظر المنازل بين مراكش وسلا في المن بالامامة ص ٤٤١ - ٤٤٣ .
 - (٧) المن بالامامة ص ١٩٤ ، ٤٩٢ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٩٢ ، ١٩٢ ، روض القرطاس ص ١٥٤ ، ١٥٥ .
 - (٨) المن بالامامة ص ١٤٧ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٣٢ ، روض القرطاس ص ١٤٠ .
 - (٩) المن بالامامة ص ١٩٧ ، ٢١٧ ، ٢١٨ .
 - (١٠) الحلل الموشية ص ١٢٧ .
 - (١١) المن بالامامة ص ٤٣٨ .

- ويوفر عليهم طاقتهم للقاء العدو • وقد يسير الجيش في تعبئة وغالبا ما يكون ذلك في الاندلس (١) .
وانذا ما وصلوا قرب محلة العدو باتوا ثم استعدوا للقتال في اليوم الثاني (٢) .

الضبط والربط :

- ان سير الجيش وفق نظام خاص يمثل نوعا من انواع الانضباط العسكرية الذي حرص خلفاء
دور الازدهار على تشبيته في نفوس العساكر ، فلهذا كان الخليفة يميز (يعرض) (٣) جنده في كثير
من الاوقات • وفي بداية الحركة الموحدية ارتبط التمييز بتطهير صفوف الموحدين من المنافقين او الذين
يخشى عدم طاعتهم (٤) ، ولكنه ظل مستمرا منذ ايام المهدي وحتى نهاية الدولة كعمل عسكري
يعرض فيه الجند بسلاحهم التام (٥) .
والتمييز قد يكون في الحضرة (٦) او في اثناء المسير الى معركة (٧) او قبل المعركة (٨) او بعدها (٩) .
وانذا ما كان في الحضرة فانه يكون في رحبة قصر الخلافة بدار الحجر (١٠) • وربما كان الخليفة في
مكان مثل (١١) او طاف عليهم في صحبة الوزراء والكتاب والقرابة (١٢) • وكثيرا ما ميزت الجيوش في

(١) راجع المن بالامامة ص ١٩٤ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٣٣ .

(٢) البيان المغرب ج ٣ ص ١٦٢ - ١٦٣ .

(٣) التمييز بمعنى العرض استعملها ابن عذارى وصاحب الحلل في حديثهما عن الدولة والمرابطة
ولكننا لا نعرف هل استعمل المرابطون الكلمة مثلما استعملها الموحدون ؟

(٤) راجع الكامل ج ١٠ ص ٥٧٣ - ٥٧٦ ، نظم الجمان ص ١٠٢ - ١٠٤ ، ١١٤ ، وفيات ج ٤
ص ١٤٣ - ١٤٤

(٥) المعجب ص ٢٠١ ، ٢٩٧ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٩٣ .

(٦) المن بالامامة ص ٤٣٥ - ٤٣٧ ، نظم الجمان ص ٢٢٦ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٩١ ، ١٢٨ .

(٧) المن بالامامة ص ٥١٠ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٩ ، ١٣٣ .

(٨) المن بالامامة ص ٤٩٢ .

(٩) المصدر ذاته ص ٢٩٣ ، نظم الجمان ص ١٢٣ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٦٧ .

(١٠) البيان المغرب ج ٣ ص ٩١ - ٩٢ .

(١١) المعجب ص ٢٠١ .

(١٢) البيان المغرب ج ٣ ص ١٩٣ .

اشييلية قبل مواصلة السير . (١)

وكانت العناصر تعرض بحسب ترتيب خاص . وقد وصلتنا روايات متباينة ناقشناها في الفصل الثالث (٢) ، من تلك المناقشة تبين لنا ان ترتيب المجموعات مرتين مختلفتين : فترة المهدي ثم فترة عبد المؤمن . ففي حياة المهدي كان اول العناصر عرضا اهل الجماعة وعلى رأسهم عمسر اصباح (٣) فاهل خمسين فالطلبة فاهل الدار فقبائل الموحدين واولهم ~~هرفة~~ هرفة فاهل تينملل فكدمية فكفيسة فهنتاة فالقبائل فالجند فالغزاة . ولكن بعد ان نال عبد المؤمن الخلافة وحولها الى ملك وراثي ، وتغير مفهوم التوحيد وغدا سياسيا ، وتحالف عبد المؤمن مع عناصر معينة ، اختلف الترتيب الاول ولكنه احتفظ بمبدأ الاسبقية في التوحيد كمبدأ عام ، الا في تقديم كومية على كثير من قبائل الموحدين التي انبنى عليها الامر ، وتقديم هنتاة حتى احتلت المركز الثالث بين قبائل الموحدين ، وتقديم ابنائه على اشياخ الموحدين . ولما انضم العرب الى الجيش كانوا يعرضون على ترتيب توحيدهم ، وكانت زغبة اولهم عرضا (٤) .

ومن مظاهر الضبط والربط في الجيش الموحدى الحزم الذى اخذ به الجند فمن يعترك موضعه يعزرر بالسياط (٥) او تستصفى امواله (٦) ، ومن ~~يختك~~ يتخلف عن البيت بالمحلة يضرب تاديبا

(١) المعجب ص ٢٨٢ ، البيان المغرب^٣ ص ١٣٢ ، ١٩٨ .

(٢) راجع الفصل الثالث ص ٧٤-٧٤ ، والمعجب ص ٣٣٩ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ .

(٣) راجع نظم الجمان ص ١٢٣ .

(٤) المن بالامامة ص ٤٣٥ .

(٥) المصدر ذاته ص ٥٠٠ .

(٦) البيان المغرب ج ٣ ص ١٨١ .

وعقاباً^(١)، ومن يخالف قرارات القيادة قد يسجن^(٢)، ومن يتخلف عن حملة عسكرية يحرم العطاء حتى يتوب ويستغفر^(٣)، ومتى خولفت قواعد الضبط والسرير وقعت الكارثة مثل الذي حدث في سنتين^(٤)

الخطط الحربية :

من خطط الموحدين الحرية التلاحم الكامل بين الجند وقادتهم وقد ألمعنا الى ذلك في حديثنا في هذا الفصل عن اثر العامل الديني في نفسية الجيش الموحدى، ومن التلاحم الترابط بين قادة التشكيلات والوحدات مع القيادة العامة، وقد كان هذا الهدف يتم باستشارتهم في كل امور الحرب، فكان خلفاء دور الازدهار على تفاوت بينهم يشتمرون القيادات في الجهة التي يقصدون^(٥)، والخروج وميقاته^(٦)، واللقاء ووقته^(٧) وكيفيته^(٨)،

(١) البيان المغرب ج ٣ ص ١٣٢ - ١٣٣ .

(٢) المصدر ذاته ج ٣ ص ١٩٩ .

(٣) المصدر ذاته ج ٣ ص ١٢٥ .

(٤) راجع المعجب ص ٢٥٨ - ٢٥٩، البيان المغرب ج ٣ ص ١٣٤، ١٣٦، ١٣٧ .

روض القرطاس ص ١٤٠ .

(٥) نظم الجمان ص ٢٢٨، الحلل الموشية ص ١١٨، البيان المغرب ج ٣ ص ١٣٠ .

(٦) البيان المغرب ج ٣ ص ١١٣، العبر ج ٦ ص ٤٩٠، ٥١٨ .

(٧) المن بالامامة ص ٤٩٤، ٤٩٨، ٥٠٢، ٥٠٨، البيان المغرب ج ٣ ص ١٥١، ١٥٩ .

(٨) المن بالامامة ص ٢١٨ - ٢٢٠، البيان المغرب ج ٣ ص ١٩٨، روض القرطاس ص ١٤٦ -

ونتيجة المعركة انسحابا^(١) او شروطا تمليء على العدو^(٢) . وقد كان لاستشارة اشياخ الاندلس في امور القتال في الجبهة الاندلسية اهمية كبرى لمعرفةهم ببلادهم والعدو^(٣) . وقد جاءت هذه الاستشارة بنتائج ايجابية مثل ضم شرق الاندلس^(٤) والانتصار في الآرك^(٥) . ويقدر ما اتسعت دائرة المشورة والتزم الخلفاء بنتائج الاستشارة كان النجاح كبيرا ، مثل ايام عبد المؤمن والمنصور . وقد رما ذاق نطاق المشورة وقل الالتزام بنتائجها كان الفشل حليفها ، مثل اغلب اعمال يوسف والناصر . ولم تكن ليوسفا خطة واضحة عندما خرج الى الاندلس عام وبذء وشنترين فلهذا كان عمله فيهما مظاهرات حربية فاشلة^(٦) .

وكان الموحدون يعتمدون على المباغتة والمفاجأة . فالجيش يتحرك في سرية تامة الى الجهة

(١) المن بالامامة ص ٥٠٢ .

(٢) البيان المغرب ج ٣ ص ١٦٧ .

(٣) راجع المعجب ٢٢٩ ، نظم الجمان ص ١٣٨ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٨٥ ، روض القرطاس ص ١٤٦ - ١٤٧ .

(٤) المن بالامامة ص ٤٠٢ - ٤٠٣ ، ٤٨٩ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٨٥ - ٨٦ .

(٥) روض القرطاس ص ١٤٦ - ١٤٧ .

(٦) المن بالامامة ص ٤٧٣ ، ٥٠٢ ، المعجب ص ٢٥٨ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٣٠ ، ١٣٤ -

١٣٦ ، روض القرطاس ص ١٤٠ .

التي تحدد (١) وقد يعلن عن جهة غيرها (٢) ، ويسلك طرقاً لم تعهد في السير الى الجهة المقصودة (٣) . وقد كانت المفاجأة عاملاً حاسماً في عدد غير قليل من معاركهم (٤) . وربما تفشل المعركة اذا ما كشف امر الجيش ان لم يكن يعتمد الا على المباغتة (٥) . وتجلت المباغتة في اتسم صورها كخطة حربية في خلافتي عبد المؤمن والمنصور .

وللموحدين جيل حربية متعددة فيختلفون الرسائل (٦) ، وينصبون الكمائن ، ويتصنعون الفخار= الفرار استدراجاً لاعدائهم حتى يقودهم الى كمين اعد لهم (٧) . كما انهم كانوا يستخدمون الجواسيس (٨) .

ومن خططهم ان البلد التي تفتح صلحا يعاملونها معاملة كريمة (٩) ، وأما تلك التي تفتح عنوة فيستخدمون كل وسائل الشدة والعنف (١٠) . وكان لهذه السياسة اثر فعال في استسلام المدن لجيوشهم ولقد لعب الامان دورا بارزا في فتح شرق الاندلس من بني مردنيش (١١) .

-
- (١) نظم الجمان ص ٢٢٦ ، الحلل الموشية ص ١١٨ .
 - (٢) المعجب ص ٣١٤ ، الحلل الموشية ص ١٢٣ ، ١٢٥ ، الكامل ج ١١ ص ١٥٨ .
 - (٣) راجع رسائل موحدية ص ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٩٥ .
 - (٤) راجع المن بالامامة ص ١٩٨ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٥٢ .
 - (٥) انظر رسائل موحدية ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .
 - (٦) المن بالامامة ص ١١٧ - ١١٨ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٤٠ .
 - (٧) نظم الجمان ص ٢٤٢ ، الحلل الموشية ص ١١٣ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١١ ، ١٦ ، ٢٢ .
 - (٨) المن بالامامة ص ١١٨ ، ٤٠٢ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٥٠ .
 - (٩) الكامل ج ١١ ص ٥٩ ، نهاية الارب ص ٢٠٥ .
 - (١٠) المعجب ص ٢٧٤ .
 - (١١) المعجب ص ٣٥٠ .

طريقة القتال :

- عندما يقرر الموحدون الصدام مع عدوهم كانوا يبعثون مقدمة لتعلم قوة العدو وعدده (١) .
- وفي اغلب الاحيان كانت هذه الطليعة تقوم بالهجوم الاولي ، ثم يشترك الجيش النظامي في المعركة (٢) . ونحن لا نعلم ممن كانت تتكون المقدمة ، غير انه في الحالات التي لم تذكر فيها طليعة للجيش كان المطوعة يقومون بالهجوم الاولي (٣) .

وفي ميدان المعركة كان الجيش النظامي يصنع دائرة مربعة في جهاتها الاربع تصف الرجال بالقنا الطوال والطوارق المانعة ووراءهم اصحاب الدروق والحرايب ، ومن وراء هؤلاء اصحاب المخالي فيها الحجارة ووراءهم الرماة ، وفي وسط المربع الخيل التي تخرج من اماكن اعدت لها دون ان تخل بنظام الرجالة (٤) ، ومن وراء الجيش النظامي يجلس الخليفة في قبته الحمراء وحولها الحرس من العبيد ولا يتدخلون الا اذا فشل الجيش النظامي (٥) .

واتبعت طريقة المربع هذه في حروب عبد المؤمن ولم تذكرها المصادر في مغارك غيره من الخلفاء الآخرين . ويحدثنا صاحب روض القرطاس ان الجيش الموحدى في معركة الاركان اتبع

(١) المن بالامامة ص ٥١٩ - ٥٢٠ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٩ ، ١٣٣ .

(٢) راجع رسائل موحدية ص ٢٤ - ٢٥ ، ٢٨ ، المن بالامامة ص ١٩٧ ، ٤٩١ - ٤٩٢ ، الكامل ج ١١ ص ١٥٩ ، ٢٨٤ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٩٨ ، ١٩٩ ، نهاية الارب ص ٢٠٤ .

(٣) روض القرطاس ص ١٤٧ .

(٤) الحلل الموشية ص ١٠٨ .

(٥) الوين بالامامة ص ٤٩٣ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٣٣ ، ١٦٣ .

نظام التعبئة الخماسية • وشكل من مقدمة وميمنة وميسرة وقلب وساق • وينبئنا ان الجيش النظامي كان في ساقه الخليفة والطوعة كانوا في المقدمة بينما كان في الميمنة والميسرة والقلب حشود القبائل البربرية والعربية والجند الاندلسي (١) • ولا ندري هل وفق المنصور بين هذا النظام من التعبئة وطريقة المربع تلك ؟

الجيش في دور الانحلال :

من كل ما تقدم يتضح لنا ان دورى التأسيس والازدهار هما العصر الذهبي للجيش الموحدى ففيهما كثر اعداده وتعددت عناصره ، وتوفرت عدته ، وانتظمت مؤننه ووفقت خطاه ، وانضبط جنده على الرغم من الثغرات التي بدت في بعض الاحيان في تفكك القيادة ، وقلة تجربتها وانعدام المؤن او قلتها ، وفوضى الخطط ، لاسيما في خلافة يوسف بن عبد المؤمن • ولكن نقاط الضعف هذه لم تشر مشاكل خطيرة في دور الازدهار فقد غطت عليها الانتصارات العسكرية والحماسة الدينية • ولما جاء دور الانحلال كانت الفكرة قد فطنت ذبلت ، والخلاف قد قسم الموحديين الى احزاب متخصصة متحاربة ، بل ان الاسرة الحاكمة نفسها كانت ضحية انقسام داخلي دامي ، فتفتت قوة الجيش وضاعت فعاليتها •

والنقطة التي يستطيع الدارس ان يجعلها البداية الظاهرة لانحلال الجيش هي موقعة العقاب

(١) روى القرطاس ص ١٤٧ - ١٥٠

.... /

(١٢١٢ / ٦٠٩) فلم يلتزم الخليفة بمشورة^(١) ، واستبد الوزير بتصريف الامور من غير استشارة للقيادات^(٢) . فضعفت الصلة بين القيادة العامة والجند يد لنا عليها طرد الاندلسيين قبل المعركة^(٣) ، وتمرد الموحدين اثناء القتال^(٤) . اذف الى هذا ضعف الاستعداد الذي تجلى في قلة المؤن^(٥) ، وسوء التخطيط الذي وضح في سوء التوقيت^(٦) ، وعدم اليقظة والمبادرة حتى ان الجيش النصراني دهم الموحدين قبل ان يستعدوا للقاء^(٧) .

وكانت نتيجة المعركة كارثة على الجيش الموحدى ، اذ لم يستطع الخلفاء بعدها حشد جيش يجمع كل عناصر الجيش التي كانت في عصر الازدهار . كما ان الناس عذفوا عن التطوع . وتركت الاندلس تواجه مصيرها دون عون مرتجى من المغرب . وفشل الولاية في رد الخطر النصراني حتى عندما يصل

-
- (١) العبر ج ٦ ص ٥٢٢ .
(٢) روض القرطاس ص ١٥٧ - ١٥٨ .
(٣) روض القرطاس ص ١٥٨ ، الروض المعطار ص ١٣٧ ، الاستقصا ج ٢ ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .
(٤) المعجب ص ٣٢٢ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٢٤١ .
(٥) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٣٦ - ٢٣٧ .
(٦) المصدر ذاته ج ٣ ص ٢٣٩ ، الروض المعطار ص ١١٠ .
(٧) المعجب ص ٣٢١ .

.... / م .أ .

حواضر ولاياتهم على الرغم من ضغط العامة^(١) . واصبحت الجيوش تفر من الميدان قبل لقاء العدو^(٢) .

وتابع الجيش مسيرته الهابطة في المغرب وتكرس انحلاله . يدلنا على ذلك الهزائم المتكررة امام بني مرين^(٣) ، وفشل الحملات المتعددة في ردع ابن يدر الثائر في السوس^(٤) . وخير ما يجسد ما نقول انهزام الجيش الموحدى في موقعة بني بهلول (١٢٥٣ / ١٢٥٥) امام بني مرين دون قتال^(٥) . ولم يبق للخليفة سلطة الا في بعض المدن ولم يستطع المرتضى الخروج من حضرته^(٦) ، التي حفظها باتاوة يدفعها كل عام للمرينيين^(٧) .

وان كانت العقاب هي البداية الظاهرة للانحلال فان عوامل الانحلال ضاربة الجذور في دور الازدهار ، اذ ان ضعف الفكرة المهدية التي ارجعنا اليها السبب انما بدأ تدريجيا . ويدلنا على هذا الضعف في الجيش ان القتال في سبيل الفكرة والاستشهاد في سبيلها لم يعد هدف المقاتلين ، بل اصبح هدفهم استغلال الجيش لتحقيق المطامع الشخصية . وهي ظاهرة بدأت في عصر الازدهار ، واتسع نطاقها في عصر الانحلال . وساعد في ذلك عاملان :

-
- (١) الروض المعطار ص ١٢٨ - ١٢٩ ، ١٣٦ .
 - (٢) روض القرطاس ص ١٦١ ، الروض المعطار ص ١٦٢ .
 - (٣) راجع البيان المغرب ج ٣ ص ٣٩٢ - ٣٩٤ ، ٣٩٩ ، العبر ج ٦ ص ٥٣٧ ، ٥٤٢ .
 - (٤) البيان المغرب ج ٣ ص ٤٠٥ - ٤٠٧ ، ٤١٥ .
 - (٥) المصدر ذاته ج ٣ ص ٤١٠ - ٤١٤ ، روض القرطاس ص ١٧٣ ، العبر ج ٦ ص ٥٤٣ - ٥٤٤ .
 - (٦) البيان المغرب ج ٣ ص ٤٣٣ - ٤٣٤ ، العبر ج ٦ ص ٥٤٥ .
 - (٧) المصدران ذاتهما ج ٣ ص ٤٤٠ ، ج ٦ ص ٥٤٦ - ٥٤٧ .

اولا : تبدل هدف القادة من ردع للشوار المحاربيين ، وجهاد للاعداء الكافرين ، من روم
ومجسمين الى اتخاذ الجيش اداة سياسية للاستعلاء وفرض النفوذ لحساب اشخاصهم
اوغيرهم . فمن النسق الاول محمد بن عبد الكريم قائد الجيش بالمهدية ، الذي استقل
بها فترة من الزمن في اواخر خلافة المنصور وصدرا من ايام الناصر^(١) . وشديد متولي فاس
الذي استغل الجند الرومي في خلافة المرتضى لاستعباد الاهلين واستبزاز اموالهم^(٢) .
ومن النمط الثاني ما كان يرافق كل نزاع على الخلافة .
ثانيا : ازدياد عدد المرتزقة من عرب وروم . فقد كان ادخال العربان في الجيش كارثة على اهداف
الجيش ونظامه . اذ لاهم لهم الا السلب والنهب . فهم لا يعرفون نظاما ، ولا يتقيدون باوامر
فمنذ عصر الازدهار كانوا يتمردون^(٣) ، ويفرون من المعارك^(٤) ، غير ان خلفاء عصر الازدهار
كانوا يلاحقونهم بالعقاب في الحالين^(٥) . ولكن النزاع على الخلافة يسرلهم في دور الانحلال فرصة

-
- (١) الكامل ج ١٢ ص ١٤٦ - ١٤٧ ، نهاية الارب ص ٢٢٧ - ٢٢٩ .
 - (٢) البيان المغرب ج ٣ ص ٣٩٩ .
 - (٣) راجع المن بالامامة ص ٥٠٧ - ٥٠٨ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٩٩ .
 - (٤) الكامل ج ١١ ص ٥٠٧ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٤٧ ، ١٦٠ ، نهاية الارب ص ٢٢٢ .
 - (٥) المن بالامامة ص ٥٠٠ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٢٥ .

عظيمة وتجارة رابحة • فكان لهم دور بارز في كل فتنة تشبعت وحرب تندلع • فشايعوا هذا الحزب
او ذاك متوخين مصلحتهم المادية • فلم يتورعوا عن بيع محلة قائدهم لقاء جعل من المصائب
وهذا ما فعله الخلط مع الرشيد^(١) ثم السعيد^(٢) والمعقل مع يحيى^(٣) .

واما الروم الذين تكاثروا عددهم مع المأمون وكانوا عماد جيشه لما انقسم الموحدون على
أنفسهم ، فقد كان همهم المال • فكان الرشيد يرضيهم به^(٤) • وفي عهد المرزوق تعددت حوادث
عدم الطاعة في صفوفهم^(٥) • واصبحوا مثل العربان يتحلون لهم يدفع اكثر ولهذا تركوا
المرزوق لما عاجز عن طلباتهم ، وشايعوا الواثق ابا دبوس^(٦) .

الاسطوانة : _____

التكوين : _____

لم يهتم الموحدون بتكوين اسطول في دور تأسيس دولتهم ، لأن صراعهم مع المرابطين كان

(١) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٩٦ ، العبير ج ٦ ص ٥٣٥ .

(٢) البيان المغرب ج ٣ ص ٣٨٦ - ٣٨٨ ، روض القرطاس ص ١٧٢ ، العبير ج ٦ ص ٥٤١ .

(٣) روض القرطاس ص ١٦٦ ، العبير ج ٦ ص ٥٣٣ - ٥٣٤ .

(٤) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٨١ ، ٢٨٥ .

(٥) راجع المصدر ذاته ج ٣ ص ٤٣٥ ، العبير ج ٦ ص ٥٤٦ .

(٦) البيان المغرب ج ٣ ص ٤٤٢ - ٤٤٣ ، العبير ج ٦ ص ٥٤٨ .

حول المناطق الداخلية . اما الساحل فقد كان يمثل اطراف منطقة هذا الصراع ، ولم يجد الموحدون حاجة للاسطول في هجومهم على المدن والحصون الساحلية ، وخاصة وان المرابطين لم يستخدموا اسطولهم على الرغم من قوته للدفاع عن مدن المغرب الساحلية . ولم ترد في المصادر التي بين ايدينا الا اشارة واحدة عن الاسطول في صراع المرابطين مع الموحدين في المغرب . فقد جهز تاشفين بن علي قطعا من الاسطول عند مرسى وهران لا دعما للجيش المقاتل في تلمسان وانما ليهيئ طريقا للهروب اذا ما اضطر تاشفين الى ذلك^(١) .

وبعد معركة تلمسان و وهران لاح لأهل الاندلس ان نجم المرابطين آفل ولا ريب في ذلك ، فهرعوا الى عبد المؤمن وهو محاصر لفاس . وكان بين من وصل اليه علي بن عيسى بن ميمون ، وضم للموحدين قادم احدي مراكز الاسطول المرابطي الاساسية^(٢) . وتمثل اسرة بني ميمون القيادة الاساسية للاسطول المرابطي^(٣) . غير ان هذا القول يجب الا يبعث على الظن بان هذا الحدث يمثل تاريخ وراثة الموحدين للاسطول المرابطي ، لأن قاعدته الاولى وهي المرية^(٤) لم تفتح الا سنة ١١٥٢/٥٥٢ م . ويبدو ان عهد المؤمن لم يفكر في تكوين اسطول موحدى الا بعد فتح مراكز حينما بدأ يخطط لفتح المغربيين الاوسط والادنى والاندلس . فشرع في بناء السفن في سواحل دولته التي اتسع نطاقها في دور الازدهار مما جعل دور الصناعة تكثرت للموحدين بناء سفن كثيرة في وقت قصير .

(١) الكامل ج ١٠ ص ٥٧٩ - ٥٨٠ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٦ .

(٢) البيان المغرب ج ٦ ص ٤٨٥ ، العبر ج ٦ ص ٤٨٥ .

(٣) العبر ج ٦ ص ٤٥٢ .

(٤) النظام السياسي ص ٢٠٥ .

دور الصناعة :

على الرغم من ان الموحدون كانوا يجدون فيما يغنمون من سفن اعدائهم المرابطين^(١) ثم الصقليين^(٢) والميورقيين^(٣) والنصارى الاسبانيين^(٤) موردا لتنمية اسطولهم ، الا ان البناء كان هو المورد الاساسي في تكوين الاسطول الموحدى^(٥) . وما ساعدهم على بناء سفن كثيرة تعدد دور الصناعة في المغرب والاندلس منذ ايام اموى قرطبة وعبيدي افريقية ثم المرابطين ، فلما قامت دولة الموحدون كانت سيطرة المسلمين البحرية على غربي البحر الابيض المتوسط ما زالت قائمة بينما خضع شرقه لسيطرة الصليبيين^(٦) .

ويعرف مركز صناعة السفن الحربية بـ " دار الصناعة " ^(٧) او " دار الصنعة " ^(٨) ومن المراسي القديمة التي ظل الموحدون يستخدمونها في بناء سفنهم : طنجة وستة وبادس وبلاد الريف ومهدية بني عبيد وتونس ووهران وهنين وعنابة^(٩) وبجاية^(١٠) وقادس والمرية وهاتان كانتا مركزى الاسطول المرابطى - والجزيرة

-
- (١) رسائل موحدية ص ١٢ .
 - (٢) الحلل الموشية ص ١٢٩ .
 - (٣) رسائل موحدية ص ١٧٨ .
 - (٤) البيان المغرب ج ٣ ص ١١٨ .
 - (٥) راجع المن بالامامة ص ٢١٣ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١١٦ ، روض القرطاس ص ١٣١ .
 - (٦) العبير ج ١ ص ٤٥٦ .
 - (٧) المعجب ص ٢٢٩ .
 - (٨) الحلل الموشية ص ١٢٩ .
 - (٩) انظر روض القرطاس ص ١٣١ ، استقصا ج ٢ ص ١٤٣ ، المنوني ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .
 - (١٠) الاستبصار ص ١٣٠ ، نظم الجمان ص ١٤٨ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٥٧ .
- ٠٠٠ / ٠٠٠ م ١٠

الخضراء^(١) وشلب حيث يكثر العود^(٢) .

- ولم يكتف الموحدون بهذه الدور القديمة بل أنشأوا أخرى جديدة أو وسعوا الدور القديمة .
- فمن النوع الاول أنشأ عبد المؤمن المعمورة بحلق البحر على وادي سبوي مقربة من سلا مركزا أساسيا لصناعة سفن اسطوله^(٣) . وبنى يوسف دار صناعة في اشبيلية وكانت الاساطيل تخرج منها في مناسبات حربية متعددة^(٤) . ومن النوع الثاني سبتة التي وسع المنصور دار الصناعة فيها^(٥) .
- ومنذ خلافة عبد المؤمن كانت سبتة مركزا دائما للاسطول الموحدى^(٦) .
- وهناك دور اخرى لانشاء سفن النقل مثل قصر مصمودة والحبلات من أرض بني عبودة قرب ملتنقى وادي فاس وتميزت بصناعة السفن الصغيرة^(٧) .
- وفي الوقت الذي كان فيه جل اعتماد المرابطين في اسطولهم على الاندلس في بناء السفن ومركز القيادة والقادة ، كان الموحدون يعتمدون على المغرب ، حيث جعلوا قيادة الاسطول به .
- كما ان اكثر سفنهم كانت تبني في الشواطئ المغربية^(٨) .

العـبـد ة :

يقول ابن خلدون عن الاسطول الموحدى في خلافة يوسف بن عبد المؤمن * وانتهت اساطيل

-
- (١) الروض المعطار ص ٧٤ ، ٧٥ .
 - (٢) المصدر ذاته ص ١٠٦ .
 - (٣) راجع المن بالامامة ص ٢١٤ والمعمورة هي المهديّة اليوم .
 - (٤) انظر البيان المغرب ج ٣ ص ١١٧ - ١١٨ ، ١١٨ ، ١٣٢ ، روض القرطاس ص ١٣٠ ، العبر ج ٦ ص ٥٠٣ .
 - (٥) الحلل الموشية ص ١٢٣ .
 - (٦) انظر البيان المغرب ج ٣ ص ١١٣ ، ١١٧ - ١١٨ ، ٢١٨ ، اعلام (ط) . ليقبي ص ٢٧١ .
 - (٧) المنوني ص ٢٥٥ .
 - (٨) انظر ما يذكر عن استعداد عبد المؤمن لغزو الاندلس في المن بالامامة ص ٢١٤ ، روض القرطاس

- المسلمين على عهده في الكثرة والاستجادة الى ما لم تبلغه من قبل ولا بعد فيما عهدناه" (١) .
- ونحن لا نعلم عدد سفن الاسطول الموحدى ، ولكننا نعلم ان عبد المؤمن لما استعد لغزو الاندلس سنة ٥٥٧ هـ انشأ مائتي قطعة حسب رواية شاهد عيان (٢) . وكثيرا ما يدعم الجيش باسطول حربي يبلغ عدد سفنه سبعين قطعة (٣) . وتكون اسطول فتح ميورقة من ثلاثمائة جفن (٤) . ومن هذه الارقام نستطيع ان نتبين ما يمكن ان يكون عليه عدد قطع الاسطول الموحدى من كثة .
- وقد تعددت انواع السفن فاستخدم الموحدون الشيني والطريفة والشلندى (٥) والغراب والشخاتير (٦) والمراكب والمسطحات والحراريق والزوارق (٧) . وكان اغلب اجفانهم غزوانية (٨) .
- فالمراكب والشلنديات للنقل ، والشونات وهي مراكب كبيرة تنصب فيها ابراج للدفاع ، والحراقات التي تحمل المنجنيقات التي ترمي بالنقط المشتعل على العدو للهجوم ، والطرادات - وهي سفن صغيرة سريعة - والغراب والشخاتير والزوارق للحركة السريعة .
- ولا تختلف اسلحة الاسطول عن اسلحة الجيش (٩) . غير اننا نجهل لباس الجند البحرية .
- ولا نعرف هل اتخذوا لباسا متميزا عن لباس الجيش ؟

(١) العبير ج ١ ص ٤٥٧ .

(٢) المن بالامامة ص ٢١٤ وانقلبت في مصدر متأخر الى اربعمائة قطعة انظر روض القرطاس ص ١٣١ .

(٣) الكامل ج ١١ ص ٢٤٢ ، ج ١٢ ص ١٤٧ ، نهاية الارب ص ٢١٠ - ٢١١ ، ٢٢٩ .

(٤) الروض المعطار ص ١٨٩ .

(٥) الكامل ج ١١ ص ٢٤٢ ، نهاية الارب ص ٢١٠ - ٢١١ .

(٦) رسائل موحدية ص ١٢ .

(٧) المنونسي ص ٢٥٥ .

(٨) البيان المغرب ج ٣ ص ١٣٢ .

(٩) راجع ما يورده الحميرى عن اسلحة الاسطول في فتح ميورقة .

(الروض المعطار ص ١٨٩) .

القيادة :

من المفيد ان نقدم اليك هذا الجدول عن قادة الاسطول الموحد **بي** ثم نحلله حتى

يتضح لنا من اية عنصر من عناصر دولة الموحدين كان قادة الاسطول .

الفترة	القادة	السادة	الاشياخ	غير الموحدين	المجموع
عبد المؤمن	-	١	٢	٣	
يوسف	-	١	٣	٤	
المنصور	-	٤	١	٥	
الناصر	١	٤	١	٦	
خلفاء ورا الانحلال	-	٢	-	٢	
المجموع	١	١٢	٧	٢٠	

ويكشف هذا الجدول عن ثلاث ملاحظات اساسية :

اولا : يتزايد عدد القادة حتى يبلغ منتهاه في خلافة الناصر ثم يهبط هبوطا شديدا في دور

الانحلال . فالامر ^{الذي} يتبدل على الاتساع التدريجي في اعمال الاسطول في دور الازدهار ، ثم

تقلص هذا الدور في عهد الانحلال .

ثانيا : ان اكثر من نصف القادة كانوا من بين اشياخ الموحدين وثلاثهم من غير الموحدين بينما لانجد

الاسيدا واحدا . واذا اردنا ان نستنتج احكاما من هذه النسب علينا ان نضع عاملا آخر في اعتبارنا

الا وهوان العنصر الغالب في خلافة عبد المؤمن وابنه يوسف كان من غير الموحدين ، بينما كان في خلافة المنصور والناصر من اشيخ الموحدين . وفي هذه الفترة كان وجود السيد بين القادة . من هنا نستطيع القول بأن الموحدين الذين عاشوا في جبال درن بعيدا عن البحر لم تكن لهم خبرة بالعمل العسكري البحري فاسندوا في بداية الامر قيادة اسطولهم للعناصر التي عملت فيه قبل قيام دولتهم مثل بني ميمون الذين كانوا قادة الاسطول المرابطي^(١) ، وبني مردنيش مثل غانم وابي العلا^(٢) ، او عناصر كسبت خبرة خاصة فاستخدموها لكفاءتها مثل ابي العباس الصقلي الذي عمل في اسطول صقلية ردحا من الزمن ثم انضم للموحدين^(٣) .

وفي فترة غلبة العناصر من غير الموحدين على القيادة نجد قائدين من الموحدين أحدهم من اهل خمسين وهو عبد الله بن سليمان^(٤) . والثاني من ابناء اهل الدار وهو عبد الله بن اسحاق بن جامع^(٥) . ووجود هذين الشيخين يكشف عن سياسة الموحدين التي اتبعوها في سائر

-
- (١) عنهم انظر الحلل الموشية ص ١٢٩ ، نهاية الارب ص ٢٠٣ .
 - (٢) راجع البيان المغرب ج ٣ ص ١١٢ ، اعلام (ط . ليثي) ص ٢٧١ ، العبر ج ٦ ص ٥٠١ .
 - (٣) البيان المغرب ج ٣ ص ١١٢ ، ١٣٢ ، روض القرطاس ص ١٣٠ ، العبر ج ٦ ص ٥٠٣ .
 - (٤) رسائل موحدية ص ١١ ، نظم الجمان ص ١٤٨ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٥٧ .
 - (٥) البيان المغرب ج ٣ ص ١١٢ ، العبر ج ٦ ص ٥٠٣ .

النظم فعلى الرغم من جهل الموحدين باعمال البحر فمئذ البداية تركوا عددا من الاشياخ قادة
ليشرفوا على الاعمال العسكرية البحرية حتى لا يتركوا الاسطول خلوا من عناصرهم .
وفي خلال هذه الفترة بدأ الموحدون يكسبون تجربة واسعة في العمل العسكري البحري
فلما جاءت خلافة المنصور بدأ الاشياخ يكونون العنصر الغالب في قيادة الاسطول . مثل بني
جامع^(١) وبني ابراهيم الهزرجي^(٢) واشخاص من كومية مثل ابن عطوش^(٣) وابن عبد الله بن عبد
السلام^(٤) وعبد الله بن طاع الله^(٥) وابي زكريا بن مزاحم^(٦) . ولكن هذا لا يعني ان العناصر
من غير الموحدين قد ابعدت فقد ذكر من بين القادة احد بني ميمون^(٧) وابو العباس الصنقيلي^(٨) . وواضح

-
- (١) انظر عنهم رسائل موحديّة ص ١٧٧ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٧ ، العبير ج ٦ ص ٥٠٧ ، ٥١٦ ، ٥٢٦ .
 - (٢) راجع عنهم البيان المغرب ج ٣ ص ١٥٧ ، ٢١٥ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، العبير ج ٦ ص ٥١٦ ، ٥١٨ .
 - (٣) البيان المغرب ج ٣ ص ١٤٩ ، العبير ج ٦ ص ٥٠٧ .
 - (٤) البيان المغرب ج ٣ ص ٢١٨ .
 - (٥) العبير ج ٦ ص ٥١٦ .
 - (٦) البيان المغرب ج ٣ ص ٣٥٠ .
 - (٧) المصدر ذاته ج ٣ ص ٢١٥ - ٢١٦ ، العبير ج ٦ ص ٥١٦ ، الروض المعطار ص ١٨٩ .
 - (٨) البيان المغرب ج ٣ ص ١٤٩ ، ١٥٠ ، العبير ج ٦ ص ٥٠٧ .

من كل ما تقدم ان الموحدين ساروا سيرتهم التي اتبعوها في النظم الاخرى من تخطيط للسيطرة على المراكز العليا في كل خطة .

ثالثا: ان وجود سيد واحد فقط بين القادة - وهو السيد ابو العلاء ادريس بن يوسف بن عبد المؤمن وقد كان في خلافة الناصر^(١) - قد يبعث على الظن بان بني عبد المؤمن لم يجعلوا خطة الاسطول من الخطط الرئيسية فلو اعتبروا كذلك لظهر بين قادته عدد من "السادة" بعد اعلان الحكم الوراثي ومما يقوى هذا الظن اننا لا نجد واحدا من الخلفاء قد قاد اسطولا على الرغم من قيادتهم المتكررة للجيش . وليس هنالك ما يبرر مثل هذا الظن لان القادة من الاشياخ كانوا اما من قبيلة الخلفاء كومية ، او من الاسر الحظية مثل بني جامع والمزرجي ، وربما لم يظهر سادة بين قادة الاسطول خشية البحر ، اولان بني عبد المؤمن كانوا لا يخشون من الاسطول على ملكهم حتى ولو سيطر عليه اشياخ مثلما لو سيطر الاشياخ على الجيش ، او ربما عاد السبب الى العاملين معا .

ونلاحظ ان كل هؤلاء القادة الذين ذكرناهم كانوا من اصحاب القيادة العامة . وقد كان مركز القائد العام للاسطول هو سبته . ويسمى القائد العام قائد اساطيل البرين^(٢) بينما يسمى قائد المراسي الاخرى بـ "صاحب امارة البحر"^(٣) . وقائد اساطيل البرين لا يخضع لوالي سبته وانما اتصاله المباشر بالخليفة نفسه^(٤) . وانا ما اشترك الاسطول مع الجيش في عمل حربي في غيبة

(١) راجع عن اعماله المعجب ص ٣١٤ ، الكامل ج ١٢ ص ١٤٧ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٢١٦ ، ٢٣٤ ،

نهاية الاربع ص ٢٢٩ - وقد ورد عنده مرة اخرى باسم ابي زيد ص ٢٣٠ - العبر ص ٥١٧ ،

الروض المعطار ص ١٨٩ .

(٢) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٣٤ .

(٣) نظم الجمان ص ١٤٨ .

(٤) انظر البيان المغرب ج ٣ ص ١١٨ ، ١٤٥ .

- الخليفة فلا بد من ان يجتمع القائدان وينسقان اعمالهما^(١) .
- واما قيادة وحدات الاسطول فقد كانت من واجبات الطلبة الاساسية^(٢) . ونلاحظ انه منذ خلافة عبد المؤمن كان الحفاظ ينالون تربية خاصة منها التدريب العملي في شئون البحر من سباحة وتجديف . وقد اصبح قادة الاسطول من الحفاظ^(٣) . ويبدو ان الاهتمام بالتربية العملية لمن يقومون بعمل في الاسطول استمرت بعد خلافة عبد المؤمن ، يدلنا عليه ان المنشآت التي اقامها الموحدون اهتموا فيها اهتماما بالغا بالبرك الاصطناعية . كما بنو مدرسة في رباط الفتح لتعليم فنون الملاحة^(٤) .

دور الاسطول في عصر الازدهار :

- دعم الاسطول الجيش في دور الازدهار . فقد اسهم بنصيب كبير في عمليات التوسيع في المغرب في المغربين الاوسط والادنى^(٥) والاندلس^(٦) . وفي اواخر هذا الدور قام الاسطول منفردا بفتح جزر منورقة ويااسة^(٧) وميورقة^(٨) . وتم دعم الجيش اما بحمل الآلات والعدد والرجال^(٩) ، او بالاشتراك الفعلي في القتال لاسيما في المدن الساحلية^(١٠) .

(١) رسائل موحديّة ص ١٧٦ .

(٢) راجع الفصل الثالث .

(٣) راجع الفصل الثالث .

(٤) المنوفي ص ٢١ نقلا عن مقدمة الفتح .

(٥) المعجب ص ٢٢٩ ، الكامل ج ١١ ص ١٥٨ ، ٢٤٢ ، الحلل ص ١٢٩ ، نهاية الارب ص ٢٠٤ .

(٦) رسائل موحديّة ص ١١ - ١٣ ، الكامل ج ١١ ص ١١٥ ، ٢٢٣ - ٢٢٤ ، نهاية الارب ص ٢٠٣ .

(٧) البيان المغرب ج ٣ ص ٢١٥ - ٢١٦ .

(٨) المعجب ص ٣١٤ ، نهاية الارب ص ٢٣٠ ، العبر ج ٦ ص ٥١٦ ، الروض المعطار ص ١٨٩ .

(٩) البيان المغرب ج ٣ ص ٣٩ .

(١٠) المصدر ذاته ج ٣ ص ١٧٩ .

ولعب الاسطول دورا هاما في مجابهة نصارى اسبانيا بالاشتراك الفعلي في القتال . وقام بدور حاسم في سيطرة الموحدين على طبيرة^(١) وقصر أبي دانس^(٢) وشلب^(٣) . هذا الى جانب استخدامه كوسيلة نقل اساسية في حملات الموحدين في الاندلس من المغرب واليه^(٤) ، ونقل الموق إلى الحصون الاندلسية^(٥) . كما كان له القدح المعلى في استعادة السيطرة الموحدية على سواحل افريقية عقب كل سيطرة ميورقية في خلافتي المنصور^(٦) والناصر^(٧) .
وأما حراسة السواحل الموحدية من اية عدوان خارجي فقد كانت من مهمات الاسطول الاساسية^(٨)

(١) المن بالامامة ص ٣٦٧ - ٣٦٨ .

(٢) البيان المغرب ج ٣ ص ١٨٤ .

(٣) الكامل ج ١٢ ص ٥٧ ، وفيات ج ٦ ص ٥ ، نهاية الارب ص ٢٢٣ .

(٤) راجع كمثال حملة سنتين في البيان المغرب ج ٣ ص ١٣٢ - ١٣٣ ، روض القرطاس

ص ١٣٠ ، الروض المعطار ص ١١٤ ، ١٤٠ .

(٥) المن بالامامة ص ٢٠١ ، ٢٠٢ .

(٦) رسائل موحديّة ص ١٧٣ - ١٧٨ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٤٩ - ١٥٠ ، العبر ج ٦

ص ٥٠٧ .

(٧) الكامل ج ١٢ ص ١٤٧ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٢١٩ - ٢٢٠ ، نهاية الارب ص ٢٢٦ -

٢٢٧ ، العبر ج ٦ ص ٥١٧ - ٥١٨ .

(٨) انظر البيان المغرب ج ٣ ص ١١٣ ، ١١٧ - ١١٨ ، العبر ج ٦ ص ٥٠٧ .

ويبدو ان النجاح كان حليفه في هذه المهمة حتى ان اهل طرابلس طلبوا من الناصر
قطعة من الاسطول حماية لمدينتهم (١) .

ويدلنا على النجاح الذي اصابه الاسطول والسمعة التي حظي بها عند معاصري
الدولة الموحدين ان صلاح الدين الايوبي في نزاعه مع الصليبيين طلب من المنصور اسطولا
يرد به عادية الصليبيين عن المشرق وان استحال هذا فليقل بوغاز جبل طارق في وجه السفن
الصليبية التي تأتي من غرب اوروبا عن ذلك الطريق الى المشرق (٢) . كما ان جون ملك انجلترا
استنجد به سنة ١٢١٣ (٣) .

دور الانحلال :

لم يتردد ذكر الاسطول في المصادر التي بين ايدينا الا مرتين عابرتين في دور الانحلال
وقد المحنا الى ذلك في حديثنا عن القادة . ولم يكن للاسطول دور يذكر في هذا العصر .
فمتى بدأ الاسطول يفقد فعاليته ولماذا ؟ .

(١) رسائل موحدية ص ٢٥٥ .

(٢) راجع عن هذه السفارة الاستبصار ص ١٠٧ ، الروضتين ج ٢ ص ١٧٠ وما بعدها ،

وفيات ج ٦ ص ١٢ ، مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٦١ - ٣٦٢ ، البيان المغرب ج ٣

ص ١٨٣ ، صبح الاعشى ج ٦ ص ٥٢٧ - ٥٣٠ ، العبر ج ٦ ص ٢٤٦ .

(٣) اشياخ ص ٤٠١ .

يحدد ابن خلدون نهاية الاسطول الموحدى بوفاة المنصور واستملاك النصارى للجزائر التي في الجانب الغربي من البحر الرومي^(١) . والواقع ان هذا التاريخ ليس دقيقا فقد شهدنا في هذا الفصل كيف ان الاسطول قام بدور اساسي في القضاء على ثورات الميورقيين في افريقية في اول خلافة الناصر، كما انفرد بفتح ميورقة في الفترة نفسها . اضافة الى هذا ان استملاك النصارى للجزائر الغربية من البحر الابيض المتوسط نتيجة لضعف الاسطول بالدرجة الاولى وليست سببا له .

ويبدو لي ان بداية انهيار الاسطول الموحدى هو عام ١٢١١/٦٠٧ . ففي هذه السنة حطم البرجلوني الاسطول الموحدى عند برشلونة ، واستولى على حصون بلنسية^(٢) ، فلم نشهد الاسطول الموحدى بعدها في دور يذكر . ولما هزم الجيش الموحدى في العقاب وقبع ذلك انهيار الروح العسكرية فيه ، ولما توفي الناصر وسيطر الاشياخ وحدث النزاع على العرش لم يعد هنالك اهتمام بالنظم والمؤسسات فانهارت ، وكان الاسطول من بينها . وكان من نتائج الصراع على العرش ان تقلصت اراضي الدولة ففقد الموحدون الاندلس وافريقية ، فقلت دور الصناعة وجاءت الطامة الكبرى على الاسطول الموحدى لما خرجت سبته قاعدة الاسطول من ايدى خلفاء مراکش منذ ان ثار السيد ابو موسى اخو المأمون عليه سنة ١٢٣٢/٦٢٩ ، ولحققتها بجاية التي ضمها الحفصيون اليهم سنة ١٢٣٠/٦٢٧ . واغلب الظن ان ضعف السلطة المركزية كان العامل الحاسم في انهيار الاسطول لانه كان تابعا للخليفة رأسا . وحتى في دور الازدهار عندما يحدث اضطراب في المركز نجد صداه في الاسطول . وما كان فتح ^{بن} غلانية لبجاية الا في اعقاب وفاة يوسف

(١) العبير ج ١ ص ٤٥٨ .

(٢) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٣٤ .

ولاية المنصور حيث ظن بنو غانية ان خلافة المنصور ستغرق بني عبد المؤمن في مشاكل داخلية ،
فصدق حدسهم فدخلوا بجاية في يسر في غيبة اسطولها (١) .
ومن مظاهر ضعف الاسطول في هذا الدور ان الشواطيء المغربية اصبحت عرضة لهجمات
الاعداء دون ان يجدوا من يردعهم . فقد حصر الجنويون سبتة عام ١٢٣٢ / ١٢٣٥ ولم يقلعوا الا
في العام التالي بعد ان صالحهم اهلها على مال يدفع لهم (٢) . وطمع فهرديناند الثالث ملك
قشتالة في المغرب نفسه واحرز انتصارات كثيرة غير ان وفاته حالت دون اتمام مشروعه (٣) . وما
يدل على خلو المراسي من الاساطيل التي تدفع عنها عدوان الاعداء ان ابن وقار يسط زعيم
هسكورة ~~هسكورة~~ لما اختلف مع الرشيد الموحدى والتجأ الى ابن هود طلب من جفنين (١) ليدخل
سلا وقد كاد ان يحتلها لولا مقاومة الاهالي له (٤) . ويبدو ان الدولة الموحدية في عهد
السعيد فقدت اسطولها نهائيا حتى ان السعيد طلب من ملك صقلية في سنة ١٢٤٥ / ١٢٤٧
ان يمدده بالاساطيل متى وصل البلاد الافريقية لاستردادها من الحفصيين (٥) . وفي سنة ١٢٥٨
١٢٦٠ يدخل القشتاليون سلا ويخربونها ولا يخرجهم الا المرينيون (٦) .

(١) راجع عن هذا المعجب ص ٢٦٦ - ٢٦٧ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٤٨ ، العبر ج ٦ ص

٥٥٠٧ .

(٢) روض القرطاس ص ١٨٣ .

(٣) اشياخ ص ٤٤٥ .

(٤) البيان المغرب ج ٣ ص ٣٣٩ ، العيسر ج ٦ ص ٥٣٦ .

(٥) البيان المغرب ج ٣ ص ٣٨٥ - ٣٨٦ .

(٦) المصدر ذاته ج ٣ ص ٤٢٢ - ٤٢٨ ، الذخيرة السنية ص ١٠٣ .

الفصل الثامن

النظم الماليّة

الفصل الثامن

النظم المالية

الدخل :

ان الدارس للنظم المالية لدولة قامت على اساس الدين يجد نفسه مضطرا للتمييز بين ما هو شرعي وما هو محاولة لجعله شرعيا ، لان ذلك يعين في تفهم التغييرات التي طرأت على نظام الضرائب ، كما يلقي ضوءا على التبدل الذي حدث في نظرية الموحدين للمبادئ التي اعلنتها الحركة في البداية . وفي كلمات اخرها هي علاقة المبدأ بالتطبيق ؟ ويبدو انه من الصعب التفريق بين الشرعي وما هو محاولة لجعله شرعيا بالنسبة للموحدين لانهم وان اعتمدوا القرآن والسنة كمصدرين اساسيين للتشريع فقد جعلوا الامام هو المفسر لهما واجتهاده تشريعا لا ريب فيه . وعليه فلا بد من تتبع التطور العملي لتنظيم الضرائب عند الموحدين حتى يتضح لنا مدى تقيدهم بما اعلنوه من مبادئ .

لما قام ابن تومرت بحركته كان من بين ما هاجم به المرابطين هو انهم احدثوا المغارم وفرضوا المكوس واكلوا السحت والحرام وفرضوا على الناس ما لم يوجبه الشرع (١) . وتمسك عبد المؤمن بتعاليم امامه بعد تأسيس الدولة ، فلما بعث رسالة عام ١١٤٨ / ٥٤٣ الى الولايات شارحا سياسته ووضح ان من اهداف الدعوة الموحدية الاساسية رفع الظلم عن الناس وحذر من فرض المغارم والمكوس والقبالات عليهم ونهى عن تحجير المراشي . و اضاف ان من يقوم " بفعل شي " من هذا الفعل المستنكر لتعاقبه بمحو اثره عقابا يبقى عظة لمن اتعظ ، وغبرة لمن تبين لزاجر الحق واستيقظ .

(١) اعزما يطلب ص ٢٦١ .

ثم نهى عن التعرض للتجار ثم قال " وان وراء قولنا لتتبعنا يبحث عن ذلك ويمحص، ونظرا يفرق بين المشكل منه ويخلص" (١) . وظل عبد المؤمن ملتزما هذا الموقف . ففي غزوة بجاية (١١٥٢ / ٥٤٧) بعث رسالة لاهل قسنطينة معذرا ومنذرا ومحذرا ومرغبا وبين لهم ان الدولة الموحدية قامت لاستئصال مثل هذه المظالم فان دخلوا في الطاعة " فلا يطلبون الا بما توجهه السنة وتطلبه ، ولا يلزمون - ومعاذ الله - مكسا ولا مغرما ولا قبالة ولا سيما مما تسميه الظلمة باسمائها وتلقبه " (٢) .

ومما تقدم نستطيع ان نقول ان الموارد التي اعتبرتها الدولة شرعية هي الزكاة والعشور وأخماس المعادن والغنائم اما الجزية فلم تذكر لان الموحديين لم يقيموا ذمة لأحد في دولتهم .

(١) نظم الجمان ص ١٥٦ - ١٥٧ ، ١٥٨ ، فالمكوس والمغارم هي الضرائب التي خارج نطاق الشرع (راجع Dozy; V.2, pp209-210, 606) اما " القبالة "

فيرى دوزي انها كانت تطلق في الاستعمال الاندلسي على الضرائب التي كان يؤديها اهل الحرف او بائعو السلع الرئيسية (Dozy; V.2, pp.305-306) ووافقه

على هذا الرأي محمود علي مكي (راجع نظم الجمان ص ١٥٦ ت ٣) بينما يفسرها التازي بأنها نوع من الخراج (راجع المن بالامامة ص ٢٣٥ ت ١) ويبدو لنا ان كلمة " القبالة " كانت تستعمل استعمالا يختلف باختلاف المناطق والعصور ، فقد روى ابن صاحب الصلاة ان يوسف بن عبد المؤمن لما شيد قنطرة اشبيلية " سبلها على المسلمين للعبور عليها في مصالحهم دون قبالة ولا اجازة عمالة " (المن بالامامة ص ٢٣٥ ، ٤٦٣) فاطلق على ضريبة المرور على القنطرة اسم " قبالة " .

(٢) رسائل موحدية ص ٢١ - ٢٢ .

الزكاة :

ركز الموحدون على اخذ الزكاة من المسلمين **ووضعها** ووضعها في مواضعها^(١) واستمر العمل بذلك الى نهاية الدولة . يحدثنا ابن صاحب الصلاة عن يوسف بن عبد المؤمن فيقول : " واخذ الزكاة من الماشية والحرث على حكم الكتاب والسنة ووضعها في مواضع حقها " (٢) . ومما يؤكد ان الزكاة كانت من مصادر دخل الدولة الاساسية ان كتاب المخزن في الولايات كانوا يقيدها ضمن مصادر دخل الدولة^(٣) . ويبدو ان الامر لم يقتصر على تنظيم الزكاة فحسب فقد ذكر ان القضاة كانوا يشرفون على جمع زكاة الفطر وتوزيعها على مستحقيها^(٤) غير ان هذا النوع من الصدقات وان نظم فلم يكن يدخل في موارد الدولة .

العشور :

اشارت رسالة موحدية الى " الاعشار " كضريبة شرعية واجبة للدولة^(٥) . ولم تبين المصادر التي بين ايدينا ماهية هذه " الاعشار " اهي تلك التي تدفع على ارض المسلم ام التي تدفع على السفن الواردة الى المراسي ام الامران معا ؟ ولا نملك ما يوضح الحالة الاولى . اما بالنسبة الى الحالة الثانية فقد ذكرنا قبل قليل كيف ان عبد المؤمن نهى عن تحجير المراس غير ان ابن عذارى يشير في وضوح الى انه منذ خلافة عبد المؤمن كان امير البحر في بجاية يثقف اموال التجار الواصلين من الاسكندرية حتى يستعلم احوالهم^(٦) فهل كان هذا الثفاف

-
- (١) رسائل موحدية ص ٢١ .
 - (٢) المن بالامامة ص ٢٨٦ .
 - (٣) راجع المصدر ذاته ص ٢٠٤ .
 - (٤) انظر من هنا ص ٣٣٤ .
 - (٥) رسائل موحدية ص ٢١ .
 - (٦) البيان المغرب ج ٣ ص ٥٨ .

نتيجة اجراءات سياسية ام اقتصادية ؟ اننا لا نملك ما يسعف على الاجابة على هذا التساؤل .

اخماس المعادن :

كان للموحدين - على الاقل منذ خلافة يوسف بن عبد المؤمن - اهتمام كبير بعمليات التعدين واخذ الخمس عن انتاج المعادن . ففي سنة ١١٨٢ / ٥٧٨ استأثر اهل السوس بالمعدن الذي ظهر عندهم فخرج يوسف بنفسه الى السوس وبنى حصنا واسكنه جندا لتحصيل حق الخليفة من المعدن المذكور^(١) . ومن الراجح ان الخلفاء عيّنوا قضاة في مراكز التعدين ليؤكّدوا على تحصيل حقهم من المعادن . ذكر ابن البار ان ابا عبد الله محمد بن عبد الرحمن السرقسطي (ت ٥٩٨) ولي قضاء معدن عوام بمقرية من فاس^(٢) . والراجح ان هذا المورد كان يدر دخلا كبيرا على الدولة ، لان المعادن في المغرب والاندلس كانت كثيرة نذكر منها الحديد والكبريت والنحاس والتوتيا والزئبق والرصاص^(٣) .

الغنائم :

في بداية الحركة الموحدية وطوال طور التأسيس كانت الغنائم تشكل المورد الرئيسي من دخل الدولة ، لاسيما وان الحروب كانت كثيرة ومستمرة ، وخاصة ان الموحدين اعتبروا اعداءهم من المسلمين كفارا فاحلوا دماءهم واموالهم واسترقاق نساءهم واطفالهم . وكان الاسترقاق يتم في حالة اسرى المسلمين غير ان الاسرى من نصارى اسبانيا غالبا ما كانوا يقتلون^(٤) . واما

-
- (١) البيان المغرب ج ٣ ص ١٢٠ - ١٢٢ .
 - (٢) العلوم والآداب ص ٢٦٠ نقلا عن التكملة .
 - (٣) راجع جريدة المراكشي عن المعادن بالمغرب والاندلس في المعجب ص ٣٦٢ - ٣٦٣ وانظر ما اورد المنوفي في العلوم والآداب ص ٢٥٩ - ٢٦١ .
 - (٤) راجع المن بالامامة ص ٣٥٧ .

الاموال المنقولة فقد كانت تقسم بين المقاتلة بعد اخراج الخمس منها^(١) . واما الاراضي والمساكن فقد كان المهدي يوزعها على اصحابه^(٢) . وسار عبد المؤمن على هذه السياسة منذ فتح تلمسان^(٣) ، ولكنه لما فتح تونس ابقى اهلها في مساكنهم باجرة تؤخذ عن نصف تلك المساكن^(٤) . وكان هذا التغيير مرتبطا بتغيير كبير في سياسة عبد المؤمن المالية اذ اتبعه بفرض الخراج في جميع اقاليم المغرب الكبير وسنفضل ذلك بعد قليل .

وكان المهدي يقسم الغنائم على اصحابه بنفسه^(٥) ، واتبع عبد المؤمن سنته^(٦) ، وسار خلفاؤه على نهجه^(٧) ، وفي حالات قليلة تولى القادة تقسيم الغنائم دون الرجوع

-
- (١) انظر البيان المغرب ج ٣ ص ١١٧ .
 - (٢) نظم الجمان ص ٩٥ ، الكامل ج ١٠ ص ٥٧٢ - ٥٧٣ ، البيان المغرب (ط . دار الثقافة) ج ٤ ص ٦٩ ، نهاية الارب ص ١٩١ .
 - (٣) راجع البيان المغرب ج ٣ ص ١٨ ، ٢٥ ، الحلل الموشية ص ١١٨ - ١١٩ .
 - (٤) الكامل ج ١١ ص ٢٤٢ ، نهاية الارب ص ٢١١ .
 - (٥) الكامل ج ١٠ ص ٥٧٢ - ٥٧٣ ، نظم الجمان ص ٨٢ ، ٩٥ ، ٩٧ ، البيان المغرب (ط . دار الثقافة) ج ٤ ص ٦٩ ، نهاية الارب ص ١٩١ .
 - (٦) الكامل ج ١١ ص ١٨٦ ، نظم الجمان ص ٢٤١ ، ٢٤٣ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١١ ، ١٤ ، ٢١ و (ط . دار الثقافة) ج ٤ ص ١٠٠ ، نهاية الارب ص ٢٠٧ .
 - (٧) رسائل موحدية ص ١٨٩ - ١٩٠ ، ١٩٦ ، الكامل ج ١٢ ص ١١٥ ، وفيات الاعيان ج ٦ ص ٨ ، روض القرطاس ص ١٥١ ، نهاية الارب ص ٢٢٥ ، نفع (ط . رفاعي) ج ٤ ص ٦٨ ، ٦٩ .

الى الخليفة (١) .

الـخـراج :

المحفا في الفقرة الماضية الى ان المهدي اعتبر اراضي اعدائه المسلمين غنيمة وقسمها بين اصحابه ، وذكرنا ان عبد المؤمن اتبع خطاه ، ولكن في رجوع عبد المؤمن من غزوة تونس (١١٥٤ / ١١٥٩) فيما يرويها صاحب روض القرطاس - " امر ٠٠٠ بتكسير بلاد افريقية والمغرب وكسر بلاد افريقية من برقة الى بلاد نون من السوس الاقصى بالفراسخ والاميال طولا وعرضا فاسقط من التكسير الثلث في الجبال والشعاري والانهار والسبخات والطرقات والحزوق وما بقي سقط عليه الخراج والنزم كل قبيلة قسطنها من الزرع والورق فهو اول من احدث ذلك بالمغرب" (٢) .

وعلى الرغم من ان صاحب الروض ينفرد بهذه الرواية الا اننا نرجح ان جوهرها كان صحيحا وان اشتملت على مبالغة وغموض في بعض تفاصيلها ، والذي يرويه يدعوننا الى قبول هذه الرواية ثلاثة امور :

- اولا لم يرد ان الدولة - قبل فتح تونس - طلبت من رعاياها غير الزكاة والعشور .
- ثانيا لم يحاسب احد من الوزراء او العمال قبل فتح تونس الا عبد السلام الكومي الذي اتهم باحتجان غنائم قابس^(٣) مما يدل على ان الغنائم وحدها هي التي كانت تشكل المصدر الرئيسي للدخل وقتذاك . فلو كان الخراج مفروضا لشكل الدخل الاكبر .
- ثالثا لم يذكر الخراج قبل فتح تونس كمصدر لدخل الدولة بينما تردد ذكره في المصادر بعد ذلك كثيرا (٤) .

(١) راجع البيان المغرب ج ٣ ص ١٨ .
(٢) روض القرطاس ص ١٢٩ .
(٣) المن بالامامة ص ١٢٦ .
(٤) المن بالامامة ص ٣٥٣ ، المعجب ص ٢٥٣ ، ٢٥٥ - ٢٥٦ ، وفيات الاعيان ج ٦ ص ١٣٥ ، روض القرطاس ص ١٢٩ ، نهاية الارب ص ٢٢١ .

ويبدو ان عبد المؤمن شعر بقصور الزكاة والعشور والغنائم عن ^{محريل} تمويل مشاريعه التوسعية ولا سيما وانه كان يتهميا لفتح الاندلس بعد غزوته التونسية . وقد تشكى الجند من قلة الاموال ، فكان عليه ان يبحث عن مورد جديد ففرض الخراج (١) .

وهكذا ان ما التزمت به الحركة في بدايتها وحافظت عليه في طور تأسيس الدولة بدا يتعارض مع الحاجات العملية . فشرع الخليفة الامام يقبل عمل الصحابي وفتح الباب لمن جاء بعده من الخلفاء لينظروا في موارد جديدة فتعددت الموارد منها ما هو مجاني للمباديء التي اعلنت اول مرة وسنفضل القول فيها .

وهذا النص الذي بين ايدينا عن الخراج وفرضه غامض لا يوضح شيئا عن مقدار الخراج الخراج ، ولكنه يوضح امرا واحدا وهو ان عبد المؤمن اراد ان يفرض الخراج على الاراضي الصالحة للزراعة فلماذا اسقط الخراج عن ثلث الاراضي ، اى الاراضي غير الصالحة للزراعة . ولكن نلاحظ ان كل قبيلة الزمت حصتها ولكننا لا ندري هل اسقط الثلث عن ارض كل قبيلة ام ان طبيعة ارض كل قبيلة روعيت في تقرير الخراج الذي فرض عليها ووجد الراوية ان ما اسقط في كل المغرب كان يساوى ثلث الاراضي ؟ ولا ريب ان الفرق بين الحاليين عظيم ، لان بعض القبائل قد تكون في مناطق اكثرها غير صالح للزرع بينما تكون قبائل اخرى في مناطق اكثرها صالح للزرع فتعجز الاولى عن الدفع بينما يسهل الدفع على الثانية .

والراجع ان مقدار الخراج المتحصل كان كبيرا . فقد كان خراج ^{افريقيته} (تونس) في كل سنة

(١) انظر Huici; v.1, pp. 193, 216

وقرائة وخمسين بغلا من المال الصامت (١) .

وحسب رواية صاحب روض القرطاس هذه يظهر ان الخراج بهذه الصورة المضطربة التي ذكرناها كان قاصرا على المغرب الكبير - ويبالغ صاحب الروض ويجعل حدود دولة عبد المؤمن الشرقية هي برقة بينما وصلت الدولة اقصى توسعها الى طرابلس في خلافة يوسف - غير ان عبد المؤمن لم يكن اول من فرض الخراج على هذه المنطقة الواسعة كما تزعم الرواية (٢) . ومما يؤكده ان هذه السياسة المالية كانت قاصرة على المغرب الكبير ان صاحب الروض نفسه اورد رواية اخرى عن فتح شريسي صلحا وقال ان الموحدين حرروا اموال اهلها ولم تنزل اموالهم محررة حتى نهاية دولة الموحدين ، وليس في املكهم رباة بينما جميع بلاد الاندلس مربعة (٣) . واستنادا على هذا نستطيع ان نقول ان الضرائب على الاراضي كانت مختلفة في العدوتين .

(١) المعجب ص ٢٥٥ ، نهاية الارب ص ٢٢١ ويورد ابن خلكان الرواية ذاتها

نقلا عن مجموع العماد بن جبويل ولكنه يستبدل كلمة افريقية باشبيلية (راجع وفيات ج ٦ ص ١٣٥) ولكن ابن صاحب الصلاة يذكر هذه الرواية ولا يوضح ان كانت

تخص الخراج ام مجرد مساهمة من ولاية افريقية في استعداد يوسف بن عبد المؤمن لغزوة وبذة (راجع المن بالامامة ص ٤١٩) .

(٢) راجع مناقشة هوبكنز لنص صاحب روض القرطاس (Hopkins; pp.34-35)

(٣) راجع روض القرطاس ص ١٢٢ .

مصادر اخرى :

تقيد خلفاء دور الازدهار الى درجة كبيرة بمصادر الدخل التي ذكرناها ولم يكلفوا الناس

ضرائب غيرها ولكن هؤلاء الخلفاء اتبعوا طريقين اخرين لزيادة الدخل :

اولا : الاستثمار :

منذ خلافة عبد المؤمن شرعت الدولة في استصلاح الاراضي وزراعتها بالاشجار المثمرة ومن اشهر مزارع الدولة زيتون بحيرة مراكش الذي بلغ مبيوعه ٣٠٠٠٠ ر دينا رفي العام^(١) وزيتون بحيرة مكناسة الذي كان يباع ب ٣٥٠٠٠٠ دینار سنويا وزيتون بحيرة فاس وكان مبيعه السنوي ٥٠٠٠٠ ر دینار ونحوها^(٢) .

ومن مظاهر الاستثماران الدولة في خلافة يوسف بن عبد المؤمن بنت في اشبيلية حوانيت

واجرتها ويقول ابن صاحب الصلاة "ونما الخراج في ذلك نموا غاليا"^(٣) .

ثانيا : المصادر :

كانت اموال الثائرين على الدولة او المؤيدين للاعداء المحاربين تضم للمخزن^(٤) .

وشكلت مصادرة الاموال موردا دائما لاسيما من العمال المتهمين بالتقصير في واجباتهم او الخيانة في اعمالهم^(٥) . ولم يكن الدخل من المصادرات يسيرا . ففي سنة ٥٧٩ / ١١٨٣ قبض يوسف بن عبد المؤمن على عامل فاس وسائر العمال الذين خدموا في مدته واستأصل اموالهم ورد للمخزن ضياعهم

(١) الحلل الموشية ص ١٠٠ .

(٢) الاداب والعلوم ص ١٨ نقل عن الروض الممتون .

(٣) المن بالامامة ص ٤٨٥ - ٤٨٦ .

(٤) راجع المصدر ذاته ص ٢٠١ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١١٤ .

(٥) انظر البيان المغرب ج ٣ ص ١٢٧ - ١٢٨ ، اعمال (ليفي) ص ٢٦٤ ، عنان ق ١ ص ٣٢٠ .

والزمهم ان يدفعوا اربعمائة الف دينار وستين الفا فقسطوها على انفسهم وعين عليهم الرقبا حتى دفعوها (١) . واتسع نطاق المصادرة في عصر الانحلال حتى شمل من يخلع من الخلفاء (٢) .

ضرائب عصر الانحلال :

ان الاستقرار الذي شهده عصر الازدهار والامن الذي ساد فيه ومعرفة الخلفاء بالشعور المالية (٣) كانت كلها عوامل يسرت الجباية فانتشر الرخاء العام (٤) . ولكن في عهد الانحلال اضطرب جبل الامن وتقلصت اراضي الدولة وانتشرت الفتن ونزلت المجاعات بالناس وتناهى الغلاء (٥) فلجأ الخلفاء وعمال الولايات الى فرض ضرائب جديدة مخالفة للشرع لم تسعف المصادر على تبيانها ، حتى ان الواثق اخر خلفاء الموحدين في المغرب الاقصى عندما اراد الخلافة لنفسه كان من ابرز شعاراته رفع المغارم والكلف عن الناس الحاضر والبادي والاقتصاد على القروض الشرعية التي جرى عليها العمل في اول الدولة (٦) . ويبدو ان هذا العصر شهد فرض الضرائب على التجار كما ينيء ظهور المشرف في غير مدينة .

الانفاق :

نستطيع ان نحدد مظاهر الصرف في الاعمال الحربية والادارية والعمرانية والاجتماعية ولما كانت الدولة قامت لتبث فكرتها الدينية في الدنيا قاطبة فمن نافلة القول ان نذكر

-
- (١) البيان المغرب ج ٣ ص ١٣١ .
 - (٢) انظر ما جرى بين الواثق والمرضى (البيان المغرب ج ٣ ص ٤٥٠ - ٤٥١) .
 - (٣) راجع وفيات الاعيان ج ٢ ص ١٨ .
 - (٤) المن بالامامة ص ٢٨٦ ، ٣٥٣ .
 - (٥) انظر البيان المغرب ج ٣ ص ٣٠٧ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣٤٧ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، عنان ق ٢ ص ٦٢٦ .
 - (٦) البيان المغرب ج ٣ ص ٤٥٥ .

بان جميع اوجه الصرف هذه ترتبط بالوجه الاول الا وهو الاعمال الحربية . اذ الى هذا الصرف على حياة البلاط ولكننا لا نعلم شيئاً كثيراً عن حياة الخلفاء في قصورهم .

الجيش : _____

في الفصل السابع وضحنا ان الدولة كانت تتكفل بسكن عساكرها ومؤونتهم ولباسهم . وفوق هذا كله تنعم عليهم برواتب دائمة سوى العطاء في المناسبات . ويبدو ان الرواتب بدأت مع غزوة تادلا سنة ١١٣٦/٥٣٠ . يروي ابن القطان ان عبد المؤمن قسم " البركة " على جنده قبل المسير^(١) . وغدا فعله ذلك سابقة استمر عليها ثم دأب خلفاؤه على تنفيذها . فكانت البركة تخرج قبل المسير للغزو^(٢) او في اثنائه^(٣) او بعد المعركة^(٤) او بعد الرجوع منها^(٥) . وهذه " البركة " التي تصرف في حال الحرب يتساوى فيها الجند النظامي وغيره ، غير ان الجند النظامي كانت له " بركة " منتظمة تصرف في اوقات محددة . فبينما يقول ابن صاحب الصلاة انها كانت تدفع كل شهر^(٦) ، يقول المراكشي - ويسمياها جامكية^(٧) - انها كانت تدفع للموحدين ثلاث مرات في كل سنة فسي كل اربعة اشهر مرة ولا تدفع كل شهر

(١) نظم الجمان ص ٢٢٦ .

(٢) المعجب ص ٢٨٢ ، المن بالامامة ص ٤٣٦ ، ٤٨٣ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٦٩٢ ، ١٢٩ ، ١٤٩

(٣) البيان المغرب ج ٣ ص ٩٧ ، ١٣١ ، ١٧٩ .

(٤) المن بالامامة ص ٢٠١ ، ٢٧١ ، الكامل ج ١١ ص ٢٤٤ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٦٤ .

(٥) المن بالامامة ص ٥١٠ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٦٦ - ٦٧ .

(٦) المن بالامامة ص ٢٨٦ .

(٧) وجامكية مصطلح مملوكي ولا نعلم ان كان هذا الاصطلاح مستعملا في المغرب ام المراكشي استعمل مصطلحا وجده في المشرق قبل الفترة المملوكية .

.../...

الا للاغزاز^(١) وينبغي ان نوضح ان رواية ابن صاحب الصلاة جاءت عن خلافة يوسف بن عبد المؤمن بينما كانت رواية المراكشي عن خلافة المنصور، فهل مرد الاختلاف بين الروایتين راجع الى هذا الاختلاف الزمني ؟

ان مثل هذا الافتراض ربما يعني ان الموحدین كانوا يعطون " البركة " كل شهر ثم عدل المنصور هذا النظام . ولا نستطيع ان نذهب الى مثل هذا الرأي لانه لو حدث شيء من هذا القبيل فالراجح ان يتزك ردة فعل بين الموحدین فان خافوا بطش المنصور فسكتوا فمن المتوقع ان يثيروا القضية ايام ضعف الخلفاء لاسيما وان الموحدین كانوا يعزفون عن كل تغيير لنظمهم التي ورثوها وخاصة فيما يمس مصالحهم الشخصية . فلماذا امتنعوا عن القتال يوم العقاب لما اخر الناصر اعطياتهم ، وخرجوا على المأمون لما ابطل رسوم المهدي . ثم ان المنصور نفسه يعلم ان الاغزاز الذين ادخلهم الجيش لا مورد لهم الا هذه " البركة " بينما يملك الموحدون الاقطاع الواسع والاموال المتصلة^(٢) ، فمن هنا يبدو لنا ان البركة كانت تصرف في اوقات مختلفة ولكنها منتظمة وحددت اوقات الصرف بعد مراعاة ظروف كل عنصر من عناصر الجيش النظامي . ولهذا تجدنا نميل لقبول رواية المراكشي .

اما عن مقدار " البركة " فان المصاحف لم تزودنا بشيء عن " البركة " المنتظمة . وقد امدنا ابن صاحب الصلاة بمعلومات يسيرة عن " البركة " التي كانت تخرج في حالة الغزو . ففي غزوة الموحدین على شرق الاندلس سنة ٥٦١ / ١١٦٤ صرف للفارس عشرون دينارا ولكل شيخ من الموحدین او العرب مائة دينار^(٣) . واما في غزوة وبذة فقد اخرجت ثلاث مرات عند الاستعداد

(١) المعجب ص ٢٨٩ - ٢٩٠ .

(٢) المصدر ذاته ص ٢٨٩ .

(٣) المن بالامامة ص ٢٩١ - ٢٩٢ .

وفي اثناء الرجوع وعند تفرق الجموع^(١) . وما ناله الفارس في الثلاث مرات كان يساوى ما ناله الفارس في غزوة شرق الاندلس التي اشرنا اليها . ولكن في غزوة وبذة حدث تمييز بين الفارس والراجل فما اعطى للفارس كان ضعف الذى اخذه الراجل ، كما حدث تمييز بين العرب وغيرهم من الجند النظامي فقد نال الجندى من العرب ضعف ما ناله الجندى من الموحدين . وعندنا ان هذا التمييز يرجع للسياسة التي اتبعها الموحدون في تألف العرب حتى يستوعبهم في نظم الدولة كيلا يثيروا الفتن والثورات في افريقية .

والى جانب البركة " كان الجند يعطون علوفات لدوابهم وموئناً من شعير وقمح ويسمون ذلك " المواساة " ^(٢) . هذا فضلا عما تصرفه الدولة احتفاءً بقدم وعسكر من الولايات استعدادا للاشتراك في غزو مرتقب . فقد كان العسكر القادم على المقيم يطعم خمسة عشر يوما كمظهر من مظاهر التكريم ^(٣) .

واخيرا ينبغي ان نذكر ان الجندى الذى في الشغور كان يعطى " بركته " مشاهرة من قصة الولاية التي يكون فيها^(٤) ، عدا ما يناله مثل هذا الجندى من انعام اذا ما مر الخليفة بمنطقتهم^(٥) . ومع هذا الصنف الكبير على الجيش كان الغالب ان يقوم الناس بفداء اسراهم^(٦) . ويبدو ان الموحدين كانوا يخشون ان يتقوى عدوهم بمال الفداء ، فالحالات القليلة التي دفعت الدولة فيها بمواليها لهذه الغاية كانت تلك الاموال مزيفة^(٧) ، ويبدو ان الخلفاء كانوا على

(١) المن بالامامة ص ٤٣٧ ، ٥١٠ ، ٥١٤ .

(٢) رسائل موحديّة ص ١١٠ ، المن بالامامة ص ٢٠٢ ، ٢١٣ ، ٤١٤ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١١٣-١١٤ .

(٣) المن بالامامة ص ٢٩١ ، ٤٣٣ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٩١ .

(٤) البيان المغرب ج ٣ ص ١٨٥ .

(٥) المن بالامامة ص ٥٠٤ - ٥٠٦ .

(٦) راجع المصدر ذاته ص ٣٩٣ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١١٦ ، ١١٩ .

(٧) المعجب ص ٢٧٠ - ٢٧١ .

استعداد ان يردوا لمن يفدى نفسه المال الذي دفعه ان طلب ذلك (١) .

الموظفون :

تمشيا مع سياسة الموحدين للسيطرة على جميع مرافق الحياة في المجتمع فقد نظموا العطاء لكل ارباب الوظائف . كانت الرواتب المنظمة تصرف للوزراء والكتاب والقضاة وصاحب الاشغال والعمال والاطباء والمهندسين والشعراء (٢) ومتولي الخزانة العلمية (٣) واهل الخطط الدينية - من ائمة وخطباء ومؤذنين - (٤) والفعلة والبنائين والصناع (٥) والفقهاء والطلبة (٦) . والراجح ان الرواتب كانت مستمرة كل شهر (٧) . والظاهر ان الرواتب كانت تدفع نقدا على الرغم من ان الخليفة كان يقطع بعض الناس اراضي كهبات (٨) لكن لم يؤثر ان احدا اقطع ارضا كراتب له .

الهبات :

كان خلفاء الموحدين كثيرى البذل والعطاء . ففي كل مناسبة كانوا يفرقون الاموال على الناس كافة لاسيما الضعفاء والغرباء منهم حتى بلغ ما يناله الرجل في مثل هذه المناسبات ثلاثين

-
- (١) راجع المن بالامامة ص ٤٥١ .
 - (٢) المصدر ذاته ص ٤٢١ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، المعجب ص ٢٤٠ .
 - (٣) الاحاطة ج ١ ص ١٩١ .
 - (٤) راجع ما يرويه الغبريني عن طلب الامام الراتب بمسجد بلنسية الى الخليفة ليزيد راتبه (عنوان الدراية ص ١٧٢ - ١٧٣) .
 - (٥) المن بالامامة ص ١٧٠ - ١٧١ .
 - (٦) روض القرطاس ص ١٤٣ .
 - (٧) البيان المغرب ج ٣ ص ٦٩ .
 - (٨) راجع عن اقطع ارضا المعجب ص ٢٢٥ ، ٢٦٥ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، الحلل الموسية ص ١٢٤ ، روض القرطاس ص ١٢٦ ، الاحاطة ج ١ ص ٣١١ .

... / ...

دينارا^(١) . وقد بلغ ما اخرجهُ المنصور لما تولى الخلافة وفرقه على فقراء المغرب مائة الف دينار من الذهب^(٢) . وكان الخلفاء يستهدفون من هباتهم اغراضا سياسية . فمنذ خلافة عبدالمؤمن كان الخلفاء يشملون ابناء الحكام السابقين بالعطاء الكثير فيقطعونهم الاراضي ويعطونهم المنازل والمراكب واللباس والاموال تألفا لهم^(٣) . وسن المنصور الصرف على الاعمام والاخوة كيلا ينازعه الخلافة^(٤) . ورفييا للناس ليتبعوا افكار الخلفاء ويخلعوا آراءهم الماضية كانت الدولة تفرض الجعل السني لمن يتبع طريقها وقد كان المنصور يكرم من الصرف في هذا الباب ليمحو مذهب مالك^(٥) .

المنشآت العمرانية :

شهدت دولة الموحدين حركة عمرانية واسعة النطاق ، وكثير من المنشآت اقيم لاغراض عسكرية مثل القناطر واسوار المدن والحصون وقد فصلنا القول عنها في الفصل السابع . وبالإضافة الى ذلك فقد اسسوا الخلفاء مدنا جديدة مثل رباط الفتح ورباط تازا وجددوا مدنا اخرى مثل قرطبة

(١) المن بالامامة ص ٤٢١ ، وراجع امثلة اخرى في المعجب ص ٢٨٦ - ٢٨٧ .

(٢) روض القرطاس ص ١٤٣ .

(٣) انظر عن يحيى بن العزيز صاحب بجاية (المعجب ص ٢٠٧) وبنو مردانيش (المن بالامامة ص ٤٧٢ - ٤٧٣ ، المعجب ص ٢٥٣ - ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٩٧) والحسن بن علي

صاحب المهديّة (الكامل ج ١١ ص ٢٤٥ ، نهاية الارب ص ٢١٣) وزعماء العرب الهلالية

(الكامل ج ١١ ص ١٨٦ ، نهاية الارب ص ٢٠٧) وبنو غانية مع الناصر الموحدي (المعجب ص ٣١٨ ،

نهاية الارب ص ٢٣٠) .

(٤) المعجب ص ٢٦٥ .

(٥) المصدر ذاته ص ٢٧٩ - ٢٨٠ .

ومراكش كما جددوا رباط الفتح في خلافة المنصور، وأشادوا مساجد كثيرة مثل مسجد اشبيلية ومسجد حسان وقيسارية مسجد مراكش^(١) . وبنوا مساكن كثيرة لموظفي الدولة . ويقدر المقرئ دور الموظفين في قرطبة في ايام الموحدين بستة الاف وثلثمائة دار^(٢) . فان انفق بعض الخلفاء على المنشآت العمرانية من مالهم الخاص مثل الذي فعله يوسف بن عبد المؤمن^(٣) فان يوسف نفسه كثيرا ما انفق على البناء من مال المخزن^(٤) . وكان المنصور اكثر خلفاء الموحدين شغفا بالبناء^(٥) ولكن اكثر ما صرفه على اعماله كان من مال الدولة لاسيما من اخماس غنائم الروم يوم الارك^(٦) . وكان الخلفاء ينفقون على تعمير البلاد بعد خرابها في فتنة او ثورة فقد انفق الناصر ما قيمته " مائة وعشرون حملا من الذهب " في اصلاح ما افسده بنو غانية في افريقية^(٧) .

-
- (١) راجع العلوم والاداب ص ٢٤٢ وما بعدها .
 - (٢) نفح (ط . رفاعي) ج ٤ ص ٣١٥ .
 - (٣) المن بالامامة ص ٢٢٤
 - (٤) المصدر ذاته ص ٤٨٥
 - (٥) المعجب ص ٢٩٣
 - (٦) روض القرطاس ص ١٥٢ .
 - (٧) المعجب ص ٣١٨ ، نهاية الارب ص ٢٣٠ .

الاعمال الاجتماعية : —————

اظهرت الدولة الموحدية اهتماما بالغاً بالاعمال الاجتماعية لاسيما في خلافة المنصور الذي اهتم باحوال المرضى فشيّد مارستان دارالفرج في مراكش واجرى له ثلاثين ديناراً كل يوم برسوم الطعام خارجاً عما تكفله من اذوية وصيدلة واطباء وثياب ليل ونهار للصيف والشتاء للمرضى ومن كان فقيراً كان يعطى مالا يكفيه حتى يستقل^(١) . كما ان المنصور ربط جارياً للجذماء والعميان^(٢) .

ويظهر الاهتمام بالفقراء من الهبات التي كانت تعطى لهم في المناسبات . يضاف الى هذا انه في وقت المجاعات كانت ابواب المخازن تفتح لاطعام الفقراء بلائمن وللاقوياء بشمن^(٣) . هذا عدا عن المساعدات في الكوارث مثل بناء الاسواق اذا ما اصابها حريق^(٤) . ومن مظاهر الرعاية التي تكفلها الدولة الاهتمام بالطفولة ، فقد كان المنصور يأمر بختن اطفال مراكش ويجعل لكل منهم ديناراً من ذهب ودرهما من فضة وحبّة من فاكهة . وقد صرف في هذا المشروع ذات مرة الف الف دينار ودرهم^(٥) . ويبدو انه كان يبذل رعاية خاصة بالايتام منهم^(٦) .

ولم تكن المساعدات وقفاً على رعاية الدولة الموحدية ، فقد كان الصرف يشمل الغرباء لاسيما النابهين منهم فيرطب لهم العطاء وتكثر الهبات^(٧) .

(١) راجع الاستبصار ص ٢١٠ ، المعجب ص ٢٨٧ - ٢٨٨ .

(٢) روض القرطاس ص ١٤٣ .

(٣) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٤٤ - ٢٤٥ .

(٤) المصدر ذاته ج ٣ ص ٢٣٥ .

(٥) المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٠٥ .

(٦) المعجب ص ٢٨٧ .

(٧) نفع (ط . محي الدين) ج ٤ ص ١٠١ .

السكينة :

يقول ابن خلدون " لما جاءت دولة الموحدين سن المهدي اتخذ سكة الدرهم مربع الشكل ...
ولقد كان المهدي فيما ينقل ينعت قبل ظهوره بصاحب الدرهم المربعة ، نعته بذلك المتكلمون
بالحدثان من قبله المخبرون في ملاحظتهم عن دولتهم " (١) . ويرى بعض الدارسين انه ليس من
المؤكد ان المهدي ضرب سكة لانه ليس بخليفة او امير . (٢) ويذهب حسين مؤنس الى ان عبد المؤمن
ربما كان اول من ضرب عملة موحدية وربما كان ذلك في حياة المهدي بعد ان اختاره خليفة في حياته
واتخذ لقب امير المؤمنين (٣) .

وعلى الرغم من اننا لم نعثر بعد على عملة موحدية ترجع الى فترة المهدي فاننا لانستطيع ان
نفى ان عملة قد ضربت في حياة المهدي . اولا الحجج التي ذكرت لتنفى ذلك غير كافية بل لا تقوم
على اساس . فكون ان المهدي لم يكن خليفة او اميرا لا يكفي مبررا كيلا يسك عملة ولا سيما وانه كان يعتبر
نفسه اعلى مرتبة من ذلك . اذ الى هذا ان عبد المؤمن لم يبايع في حياة المهدي . ثانيا اذا
صدقت رواية ابن خلدون فمن الجائز ان المهدي ضرب دراهم مربعة ليثبت للعامة صدق دعوته
وخاصة ان المهدي كان كثيرا ما يعتمد في دعوته على النبوءات والمعجزات . وعليه فربما كان سك
العملة الموحدية يرجع الى حياة المهدي لاسيما وان العملة الموحدية لا يذكر فيها تاريخ الضرب .
ومما تردد في المصادر يظهر ان العملة الموحدية كانت تقوم اساسا على الدينسار
والدرهم . ويؤكد المراكشي ان الموحدين كانوا يضربون عملة صغرى اساسها الدرهم منها نصف درهم

(١) العبر ج ١ ص ٤٧٠ ، الاحاطة ج ١ ص ١٤٣ ، الدوحة المشتبكة ص ٥١ .

(٢) الدوحة المشتبكة ص ٥١ ت ١ والمصادر المذكورة في الخاشية .

(٣) المصدر ذاته ص ٥٣ ت ٣ .

وربح وثمان (١) • ونصف الدرهم هو القيراط (٢) • واصغر وحدة في الدرهم هي الخرابب •
وكان الموحدون يهدفون من ذلك الى تسهيل التعامل بين الناس (٣) •
كانت العملة قبل الموحدين كلها مدورة ولكن المهدي امر ان تكون دراهمه مركبة (٤) •
غير ان الدينار ظل مدورا ولكن الموحدين جعلوا في وسطه شكل مربع (٥) • ومما عثر عليه من نقود
موحدية ظهر ان الكتابة فيها قريبة المعنى ولا تكاد تختلف العبارات الا قليلا (٦) • ومن امثلة ما كانوا
يكتبونه انهم على احد الوجهين كانوا يرسمون " لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، الامركله لله ، لا قوة الا بالله " وكان
على الوجه الآخر في سطور ثلاثة " الله ربنا محمد رسولنا المهدي امامنا " (٧) •
غير ان المأمون اسقط عبارة " المهدي امامنا " لما اسقط رسوم المهدي وحلت مكانها عبارة " القرآن
امامنا " (٨) • ولاحظ حسن حسني عبد الوهاب ان مسكوكات الموحدين كانت غالبا لا تحمل تاريخ
الضرب ولا مكانه ، وفي احيان قليلة قد يرسم في آخر الكتابة وبحروف ضئيلة اسم المدينة (٩) وهذا
مغاير للطريقة التي اتبعتها النقود الاسلامية منذ ظهورها •

-
- (١) المعجب ص ٢٠٧ •
 - (٢) الاحاطة ج ١ ص ١٤٣ •
 - (٣) المعجب ص ٢٠٧ •
 - (٤) الاحاطة ج ١ ص ١٤٣ ، الدوحة المشتبكة ص ٥١ •
 - (٥) العبر ج ١ ص ٤٧٠ ، ورقات ق ١ ص ٤٥٤ •
 - (٦) ورقات ق ١ ص ٤٥٥ •
 - (٧) العلوم والآداب ص ٢٥٨ •
 - (٨) الدوحة المشتبكة ص ٨٥ ت ٣ •
 - (٩) ورقات ق ١ ص ٤٥٥ •

وكانت فاس - القرويين والاندلس - مكان سك العملة الموحدية وبكل منهما دار لذلك ثم نقلهما الناصر الى قسبة فاس سنة ستمائة هجرية حيث بنى دارا وجعلها "مودعا للاموال المندفعة ولطوابع سكها واتقن ثقافتها على ام حال ، وغالب ما يسبك فيها الذهب واما الدراهم فكانت ترد من جميع الاقاق مختلفة السكة والوزن" (١) ويذكر حسين مؤنس اعتمادا على الفرد بل ان دور السك لم تقصر على العاصمة او بلد واحد بل كانت في كثير من البلاد (٢) . ويبدو لنا من قول صاحب الدوحة الاتف الذكر ان قول الفرد بل ان جاز لا ينطبق على سك الدينار وانما هو وقف على الدراهم وحتى الدراهم وحد سكها في خلافة المنصور كما سيجي .

واختلف مقدار العملة الموحدية باختلاف الخلفاء فلماذا كانت العملة تنسب الى الخليفة الذي امر بسكها فيقال الدرهم المؤمني (٣) والدينار اليوسفي او اليعقوبي (٤) . وقد توصف اخر عملة سكت بالجديدة (٥) ومن هنا نستطيع ان نفهم اختلاف الروايات التي وصلتنا عن مقادير العملة الموحدية ولا سيما اذا لم يذكر المؤرخ الخليفة الذي سكت تلك العملة في عهده . وعند ابن الخطيب ان الاوقية تساوي سبعين درهما (٦) بينما يقول صاحب الدوحة ان الاوقية عشرون درهما (٧) ثم يقول ان الدينار كان وزنه ثابتا لانه يسبك

(١) الدوحة المشتبكة ص ٥١ .

(٢) المصدر ذاته ص ٨٨ ت ٤ نقلا عن مجلة Hesperis عدد ١٩٣٣ .

(٣) المعجب ص ٢٣٠ .

(٤) وفيات الاعيان ج ٦ ص ١٢ ، ١٣٠ .

(٥) المعجب ص ٢٨٧ .

(٦) الاحاطة ج ١ ص ١٤٣ .

(٧) الدوحة المشتبكة ص ٥١ .

في فاس اما الدراهم فقد كانت تضرب في جميع الاقاق ومختلفة السكة والوزن وكانوا يتعاملون بها الى ان صار التعامل بالدراهم اليعقوبية (١) .

والروايات التي وقفنا عليها والتي تبين قيمة العملة الموحدية قليلة جدا . ومنها يتضح

ان الدرهم المؤمني كان نصف درهم النصاب (٢) . واما الدينار فيقول ابو الحسن القطان فيما

يرويه عنه صاحب الدوحة انه وجد وزن الدينار اليعقوبي من حب الشعير الوسط اربعا وثمانين

حبة وانه وجد في درهم الموحدين وهو درهم السكة المربع ثمانين وعشرين حبة (٣) .

وعليه نستنتج ان الدينار اليعقوبي كان يساوي ثلاثة من تلك الدراهم وربما كانت تلك الدراهم

هي الدراهم اليعقوبية . ويرى احد الدارسين ان الدينار قبل الموحدين كان غرامين وخمسة

وثلاثين في المائة من الغرام واخرجه دار السكة بفاس اربعة غرامات وسبعين في المائة من

الغرام (٤) . وقد لا يكون الدينار الذي اشير اليه بانه دينار ما قبل الموحدين الا الدينار

الموحدى قبل خلافة المنصور ان يؤكد ابن عذارى ان المنصور في سنة ١١٨٥ / ٥٨١ ضاعف

وزن الدينار الموحدى (٥) . وعليه يكون الدينار المضاعف الذي اشير اليه انه من اخراج دار

السكة بفاس هو الدينار اليعقوبي ليس الا .

(١) الدوحة المشتبكة ص ٥١ .

(٢) المعجب ص ٢٣٠ .

(٣) الدوحة المشتبكة ص ٨٥ .

(٤) راجع الدوحة المشتبكة ص ٥١ ت ١ .

عنان ق ٢ ص ١٤٤ .

(٥) البيان المغرب ج ٣ ص ١٥٤ .

.../....

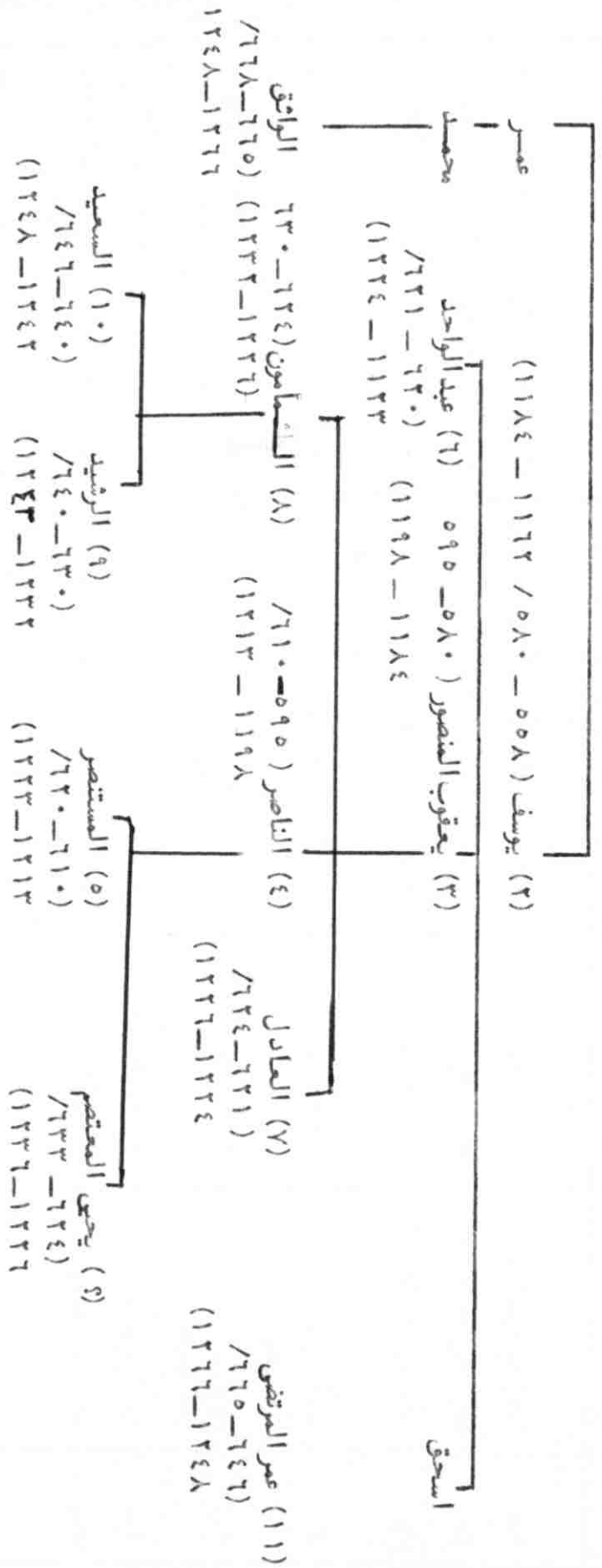
خاتمة :

من كل ما مر في هذا الفصل يتضح امران : اولا ان الاتجاه المركزي في الحكم الذي لمحناه في المظاهر التي عالجنها في الفصول السابقة واضح في النظم المالية اذ ان كل شيء كان في يد الخليفة . ثانيا ان المفارقة للمبادئ التي اعلنت اول مرة تتجلى خيرا ما تتجلى في تطور النظام الضرائبي .

(م ١٠٠)

الملا ————— ق

(أ) المهدية : محمد بن عبد الله تورث الهيرفي (٥١٥ - ٥١٢٤ / ١١٢١ - ١١٢٩)
 (ب) الخلفاء (١) عبد المؤمن بن علي الكوفي (٥٢٤ - ٥٥٨ / ١١٢٩ - ١١٦٢)



جدول الخلفاء الموحدية (1)

الخليفة	اسماء الوزراء	ملاحظات	التعليقات
عبد المؤمن	١- احمد بن عطية ٢- عبد السلام الكومي ٣- السيد عمر بن عبد المؤمن	كاتب مهابطي قربا عبد المؤمن ابن الخليفة	المن بالامامة ص ١٢٤ ، ١٣٦ ، ١٧٣ ، المعجب ١٩٨ - ٢٠٠ . الحلة السيرة ج ٢ ص ٢٣٨ - ٢٣٩ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٨٣ . روض القرطاس ص ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣٤ ، العبر ج ٦ ص ٤٩٣ ، ٤٩٦ .
يوسف	١- السيد عمر بن عبد المؤمن ٢- ادريس بن ابراهيم بن جامع ٣- السيد يعقوب بن يوسف	اخو الخليفة اشياخ الموحدين ابن الخليفة	المن بالامامة ص ٢٣٧ - ٢٣٨ ، المعجب ٢٤٤ الحلة السيرة ج ٢ ص ٢٣٩ - ٢٤١ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٥٨ - ٥٩ ، ٦٥ ، الحلل الموشية ص ١٣١ روض القرطاس ١٣٥ ، العبر ج ٩ ص ٥٠١ .
المنصور	١- السيد ابو عبد الله بن يوسف ٢- عمر بن زيد الهنتاتي ٣- ابو بكر بن عبد الله بن عمر الهنتاتي ٤- محمد بن ابي بكر بن عمر الهنتاتي ٥- عبد الرحمن بن موسى بن يوجان الهنتاتي	اخو الخليفة اشياخ الموحدين اشياخ الموحدين اشياخ الموحدين اشياخ الموحدين	يذكر ابن خلدون ويتابعه الزركشي ان المنصور اول مرة ولي وزارته الشيخ ابا محمد عبد الواحد الحفصي ولم نجد ما يؤكد ذلك (العبر ج ٦ ص ٥٠٤ ، تاريخ الدولتين ص ١٥) وعن وزراءه انظر المعجب ص ٢٦٢ - ٢٦٣ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٤١ ، الحلل الموشية ص ١٣٢ ، ويخطي صاحب روض القرطاس ان يقول بان وزراءه وزراء ابيه (ص ١٤٢) .
الناصر	١- عبد الرحمن بن موسى بن يوجان ٢- السيد ابراهيم بن المنصور ٣- محمد بن علي بن ابي عمران الضرير ٤- عثمان بن عبد الله بن ابراهيم بن جامع	اشياخ الموحدين اخو الخليفة قريب بني عبد المؤمن اشياخ الموحدين	المعجب ص ٣١٠ - ٣١١ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٢٣٠ ، الحلل الموشية ص ١٣٤ ، ويخلط صاحب روض القرطاس في الاسماء خلطا كبيرا راجع ص ١٥٣ ، ولا يذكر غير ابن خلدون (العبر ج ٦ ص ٥١٥) ويتابعه الزركشي (تاريخ الدولتين ص ١٧) ان الناصر استوزر ابا محمد عبد الواحد الحفصي بعد ابن يوجان .
الناصر المستنصر	١- عثمان بن عبد الله بن جامع ٢- زكريا بن يحيى بن ابي ابراهيم الهزرجي ٣- عثمان بن عبد الله بن جامع	اشياخ الموحدين قراة الخليفة اشياخ الموحدين	المعجب ص ٣٢٤ ، العبر ج ٦ ص ٥٢٤ غير ان صاحب الحلل الموشية لا يذكر غير عبد الله بن وانودين (الحلل الموشية ص ١٣٥) ولم نجد ما يوكد ذلك .

التعليقات	ملاحظات	اسماء الوزراء	الخليفة
	اشياخ الموحدين	ابن جامع	عبد الواحد
العبر ج ٦ ص ٥٢٦ وربما كان ابن جامع هذا هو ابو الحسن علي بن ابي العلاء ادريس بن ابراهيم بن جامع راجع الحلة السيرة ج ٢ ص ٢٩٣ .			
	اشياخ الموحدين	١- عبد الرحمن بن موسى بن يوجان ٢- ابوزيد بن ابي محمد الحفصي .	العاذل
العبر ج ٦ ص ٥٢٧ - ٥٢٨ ، الروض المعطار ص ٦٨ ويسميه صاحب روض القرطاس ابن بركان ص ١٦١ .			
	اشياخ الموحدين اشياخ الموحدين بني عبد المؤمن بني عبد المؤمن	١- ابو محمد بن وانودين وابو يحيى زكريا بن يجلد ٢- الحسن بن ابي علي بن ابي عبد الله . ٣- ابراهيم بن ابي علي	يحيى المعتصم
البيان المغرب ج ٣ ص ٣١٨ ، ٣١٩ ، العبر ج ٦ ص ٥٢٩ .			
	بني عبد المؤمن اشياخ الموحدين	١- ابو محمد عبد الله بن ابي سعد بن المنصور ابوزكريا بن ابي الغمر	المأمون
البيان المغرب ج ٣ ص ٢٨٣ .			
	اشياخ الموحدين بني عبد المؤمن اشياخ الموحدين بني عبد المؤمن اشياخ الموحدين اشياخ الموحدين بني عبد المؤمن اشياخ الموحدين	١- ابوزكريا بن ابي الغمر ٢- ابو محمد بن ابي سعد بن المنصور . ٣- ابوزكريا بن ابي الغمر ٤- ابو محمد بن ابي سعد ٥- ابو عبد الله محمد الجنفيسي ٦- ابو عبد الله بن ابي زكريا ٧- ابو علي بن ابي محمد ٨- ابو عبد الله الجنفيسي	الرشيد
البيان المغرب ج ٣ ص ٢٨٣ ، ٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ .			
	بني عبد المؤمن اشياخ الموحدين	١- ابواسحاق بن ابي ابراهيم ويحيى بن عطوش	السعيد
البيان المغرب ج ٣ ص ٣٥٨ ، العبر ج ٦ ص ٥٣٨ .			

الخليفة	اسماء الوزراء	ملاحظات	التعليقات
المرتضى	١- عبد اللمن يونس ٢- السيد ابواسحاق ابوعبد الله الجنيفي ابوزيد بن عزوز ابوزيد بن يخيت التملليسي ابوزيد بن عبد الكرم الجد ميوي ابويوسف بن تيجا الجد ميوي ابوموسى بن عزوز الهننتاتي ابوزيد بن يعلو الكومي ابومحمد بن اصناج	اشياخ الموحدين بني عبد المؤمن اشياخ الموحدين اشياخ الموحدين اشياخ الموحدين اشياخ الموحدين اشياخ الموحدين اشياخ الموحدين اشياخ الموحدين اشياخ الموحدين	البيان المغرب ج ٣ ص ٣٨٩، العبر ج ٦ ص ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٨ - ٥٤٩ ويؤكد ابن عذارى ان هو لا الوزراء لم يجتمعوا في وقت واحد .
الواثق	١- السيد ابوموسى بن ابي عمران السيد ابوزيد عبد الرحمن	اشياخ الموحدين بني عبد المؤمن بني عبد المؤمن	العبر ج ٦ ص ٥٤٩ . البيان المغرب ج ٣ ص ٤٥٥ .

تبيينه : الارقام المتسلسلة دلالة على تتابع الاشخاص في تولية الوزارة والواو قبل الاسم اشارة الى ان الشخص تولى الوزارة مع الشخص الذى سبقه في الترتيب، وفي الحالات التي لم نستطع ان نتبين فيها موضع الوزير هل اشترك مع آخر او اخرين ومن هو او هم ذكرنا الاسم دون رقم او واو المعية . واتبعنا الترتيب ذاته في جداول الكتاب والولاية .

الملحق (٤)
جدول كتاب الرسائل

الامام	الاسم	ملاحظات	التعليقات
ابن تومرت	ابو الربيع سليمان الحضري وملول بن ابراهيم الصنهاجي	من اهل الجماعة ممن آخى المهدي بينه وبين هرغة	اخبار المهدي ص ٣٣ اخبار المهدي ص ٣٩
عبد المؤمن	(١) ابو جعفر احمد بن عطية وعطية بن عطية (٢) عبد الرحمن القالمي وعياش بن عبد الملك بن عياش ميمون الهواري عبد الله بن جبل ابو علي الاشيري اخيل بن ادريس الرفدي ابو الحكم بن عبد العزيز المرخي	اندلسي الاصل مغربي الانشأة اندلسي الاصل مغربي الانشأة من بجاية اندلسي اندلسي من وهران من تلمسان اندلسي	راجع الملحق الثالث ثبت الوزراء المعجب ٢٠٠ المعجب ٢٠٠ ، نظم الجمان ١٧٦ ، المن بالامامة ٢٢٣-٢٢٤ عن بقية الكتاب راجع رسائل موحدية رقم ٢٠ ، المن بالامامة ٢٢٣-٢٢٨ نظم الجمان ١٧٥-١٧٦ ، الحلة السيرة ج ٢ ص ٢٤١ وما بعدها ، البيان المغرب ج ٣ ص ٥٦ ، روض القرطاس ص ١٣٤ ولكن ابن صاحب الصلاة يذكر ابن جبل بين خطباء الخلافة (المن بالامامة ص ١٥٠ ، ٢٣١) ويذكره المراكشي بين القضاة (المعجب ٢٠٠) وربما كان كاتباً في البداية ثم نقل الى السلكين الاخرين في اوقات مختلفة .
يوسف	(١) ابو محمد عياش بن عبد الملك (٢) وابو القاسم القالمي (٣) وابن محشرة	اندلسي من بجاية من بجاية	رسائل موحدية رقم ٢٦-٣٤ المعجب ٢٤٤ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٤٠ ، روض القرطاس ١٣٥ وعد الفبريني ابن محشرة في كتاب عبد المؤمن (عنوان الدراية ص ٣٠) وقد وهم في ذلك .
المنصور	(١) ابن محشرة ٢- ومحمد بن عبد الرحمن بن عياش	من بجاية اندلسي	المعجب ٢٦٣ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٤١

الامام	الاسم	ملاحظات	التعليقات
الناصر	(١) محمد بن عبد الرحمن بن عياش (٢) وابو الحسن علي بن عياش بن عبد الملك * (٣) ومحمد بن يخلفتن الغازي	اندلسي قرطبي الاصل مغربي	المعجب ص ٣٦٢ هـ ٣١١ - ٣١٢ وقد ذكره حيناً ابن عذاري كاتباً للناصر فذكره باسم ابي محمد الحسن وحيناً اخر باسم ابي محمد بن الحسن بن عبد العزيز (البيان المغرب ج ٣ ص ٢٣١) ولم نتحقق من الاسم *
المستنصر	(١) محمد بن عبد الرحمن بن عياش * وعلي بن عياش بن عبد الملك بن عياش * ٢- محمد بن يخلفتن الغازي واحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عياش *	اندلسي قرطبي الاصل مغربي اندلسي الاصل	المعجب ٢٦٣ ، ٣٢٥ *
عبد الواحد	؟ ؟		
العادل	؟ ؟		
يحيى المعتصم	ابو الحسن السرقسطي	اندلسي	البيان المغرب ج ٣ ص ٢٦٢ *
المأمون	ابوزكريا الغازي ابوعبد اللهب عياش ابو العباس بن عمران وغيرهم	مغربي اندلسي الاصل اندلسي	الاحاطة ج ١ ص ٤٢٥ وذكر معهم ابو المطرف ابن عميره وابنا الحسن الرعيني وقد نفى ابن شريفة كتابة ابن عميرة للمأمون (ص ٨٩ - ٩٠) ولم اتحقق من كتابة الرعيني له *

الخليفة	الاسم	ملاحظات	التعليقات
الرشيد	ابوزكرياء الفازازي ابوعبد الله القباجي ابوعبد الله الحسين بن عيسى ابي عشرة ابوعبد الله بن سليمان ابو العلاء بن حسان ابوعبد الله الفازازي ابوالمطرف بن عميرة ابو الحسن الرعيني ابو القاسم القباجي ابوعبد الله التلمساني ابن المؤمنانسي	مغربي مغربي مغربي اندلسي اندلسي تلمساني اندلسي	<u>البيان المغرب</u> ج ٣ ص ٢٨٣ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ وعلق ابن عذارى " ومنهم من كتب مدة يسيرة " <u>العبر</u> ج ٦ ص ٥٣٧ .
السعيد	ابو الحسن الرعيني ابوعبد الله التلمساني ابوبكر الفازازي وغيرهم	اندلسي تلمساني مغربي	<u>البيان المغرب</u> ج ٣ ص ٣٥٨ ، ٣٧١ .

البيان المغرب ج ٣ ص ٣٨٩ •	اندلسي تلمساني	ابوالحسن الرعيني ابوعبد الله التلمساني وغيرهما	المرضى
البيان المغرب ج ٣ ص ٤٥٥ •	اندلسي تلمساني	ابوالحسن الرعيني ابوعبد الله التلمساني وغيرهما	الواثق

الملحق (٥)

جدول الولاية (*)

١- خلافة عبد المؤمن قبل اعلان الحكم الوراثي :

الولاية	الولاية
فاس	ابو عبد الله محمد بن يحيى الكدميوي (١) .
تلمسان	يوسف بن وانوديين (٢) .
بجاية	السيد عبد الله بن عبد المؤمن (٣) .
سلا	عبد الواحد الشرقي (٤) ثم موسى بن زيري الهنتاتي (٥)
سبتة	يوسف بن مخلوف التينملي (٦) ثم عبد الله بن سليمان (٧)
مكناسة	ابوزكرياء بن يومور (٨)

(*)

سوف لا نذكر مراكش ضمن هذه الولايات لان المصادر التي بين ايدينا لا تذكر من تقلد ادارة اقليمها ، والولايات المذكورة في هذا الجدول لا تمثل الولايات في عهد الخليفة الذي نذكره على رأس كل قائمة وانما تمثل تلك الولايات التي توفرت لنا معلومات عن ولايتها . وهذا الجدول لا يطمح الى ادعاء الكمال وفيه ثغرات كثيرة نتيجة لعدم توفر المادة وعليه ربما ظهرت كتب مفقودة او اطلع غيري على اخرى مخطوطة تكمل النقص وتعديل النتائج الملحق التي استخلصتها من هذا الجدول .

الولاية	الولاية
اشبيلية وقرطبة	براز بن محمد المسوفي فيوسف بن سليمان ثم ابو زكريا يحيى بن يومور (٩)
ولاية الغرب	ابن قسي ثم ابن وزير (١٠)

٢- خلافة عبد المؤمن بعد اعلان الحكم الوراثة :

الولاية	الولاية
السوس	السيد ابوزيد عبد الرحمن بن عبد المؤمن (١١)
فاس	السيد ابو الحسن علي بن عبد المؤمن (١٢)
تلمسان	السيد ابو حفص بن عبد المؤمن (١٣)
بجاية	السيد ابو محمد عبد الله (١٤) بن عبد المؤمن
افريقية	السيد ابو اسحاق ابراهيم (١٥) بن عبد المؤمن
سبتة	السيد ابو سعيد (١٦) بن عبد المؤمن
تادلا	السيد ابو الربيع سليمان بن عبد المؤمن (١٧)

الولاية	الولاية
مالقة	السيد ابوسعيد بن عبد المؤمن ^(١٦)
اشبيلية	ابو محمد عبد الله بن ابي حفص بن علي التينطلي ^(١٧) ثم السيد يوسف بن عبد المؤمن منذ ١١٥٦/٥٥١ ^(١٨)
قرطبة	ابوزيد عبد الرحمن بن يكيث حتى استشهد في ١١٦٠/٥٥٥ ^(١٩) فاضيفت الى ولاية اشبيلية ^(٢٠) .
ولاية الغرب	المغرب اضيفت الى اشبيلية ^(٢١)
جيان	محمد بن علي الكوي الى سنة ١١٥٩/٥٥٤ ^(٢٢) .

٣- يوسف بن عبد المؤمن :

الولاية	الولاية
تلمسان	السيد موسى بن عبد المؤمن ، السيد ابو علي الحسن بن عمر بن عبد المؤمن ^(٢٣) ، السيد ابوزكرياء بن عمر بن عبد المؤمن ^(٢٤) .
بجاية	لما توفي السيد ابو عبد الله تولاها السيد يحيى بن عبد المؤمن ^(٢٥) ثم السيد سليمان بن عبد الله بن محمد الموح ^(٢٦) .

الولاية

الولاية

السيد عيسى بن عبد المؤمن والحسن بن عبد المؤمن (٢٧)	افريقية
عبد الله بن ابراهيم بن جامع (٢٨) ثم السيد ابو علي الحسن بن عبد المؤمن (٢٩)	سبتة
السيد ابو علي (٣) بن عبد المؤمن (٣٠) ثم السيد ابو العباس بن عبد المؤمن (٣١)	سجلماصة
ظل السيد ابو الربيع سليمان بن عبد المؤمن واليا (٣٢)	تادلا
السيد محمد بن عمر بن عبد المؤمن (٣٣) ، السيد ابو الحسن ابن ابي محمد عبد الله بن عبد المؤمن (٣٤)	مالقة
السيد ابو سعيد بن عبد المؤمن (٣٥) فالشيخ ابو عبد الله بن ابي ابراهيم (٣٦) فالسيد ابو سعيد ثانية (٣٧) فالسيد ابو زيد بن عمر بن عبد المؤمن (٣٨) ثم السيد ابو زيد بن يوسف (٣٩)	غرناطة
الشيخ ابو عبد الله بن ابي ابراهيم (٤٠) فالسيد ابو ابراهيم بن عبد المؤمن (٤١) فالسيد ابو علي الحسين بن عبد المؤمن (٤٢) ثم السيد ابو اسحاق بن يوسف (٤٣)	اشبيلية
السيد ابو سعيد بن عبد المؤمن (٤٤) فالسيد ابراهيم بن عبد المؤمن (٤٥) فالسيد ابو الحسين علي بن عبد المؤمن (٤٦) ثم السيد ابو يحيى بن يوسف (٤٧)	قرطبة
السيد يعقوب بن عبد المؤمن (٤٨) ثم السيد ابو عبد الله ابن يوسف (٤٩)	مرسية

الولاية	الولاية
بلنسية	ابو الحجاج يوسف بن مردنيش (٥٠)
ولاية الغرب	سيد راي بن وزير ، عمر بن تيمصليت ، عمر بن سخنون ثم عمر بن تيمصليت (٥١)
جيان	محمد بن صناديد (٥٢)

٤- المنصور :

الولاية	الولاية
فاس	السيد محمد بن عمر بن عبد المؤمن (٥٣)
تلمسان	السيد ابو الحسن بن عمر بن عبد المؤمن (٥٤) ثم اضيفت اليه بجاية فترة (٥٥)
بجاية	محمد بن ابي سعيد الجنيصي (٥٦) فالسيد ابو الحسن بن عمر بن عبد المؤمن (٥٧) فالسيد ابوزكرياء (٥٨)
افريقية	السيد انوزيد بن عمر بن عبد المؤمن (٥٩) ، ابو سعيد عثمان بن عمر الهنتاتي (٦٠)
سلا	عثمان بن عبد العزيز الكومي (٦١)
سجلماسة	السيد سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن (٦٢)
تادلا	السيد سليمان بن عبد المؤمن (في اول خلافة المنصور) (٦٣)

الولاية	الولاية
غرناطة	السيد اسحاق بن يوسف الى سنة ٦١١ (٦٤)
اشبيلية	السيد ابو يحيى بن يوسف بن عبد المؤمن (٦٥) فالسيد يعقوب بن عمر بن عبد المؤمن (٦٦) ثم السيد ابوزيد ابن الخليفة (٦٧) .
قرطبة	السيد محمد بن يوسف بن عبد المؤمن (٦٨) .
مرسية	السيد عمر بن يوسف بن عبد المؤمن (٦٩) .
ولاية الغرب	عيسى بن ابي حفص بن علي (٧٠) ، السيد محمد بن عمر بن عبد المؤمن (٧١) .
جيان	محمد بن صناديد ثم ابنه ابواسحاق ابراهيم (٧٢) .

— الناصر — :

الولاية	الولاية
فاس	السيد ابوزكرياء (٧٣)
تلمسان	السيد ابو الحسن فالسيد ابو عمران بن يوسف بن عبد المؤمن فالشيخ ابن يوجان (٧٤)
بجاية	السيد ابوزيد الحسن بن السيد ابي حفص (٧٥) .
افريقية	السيد ابوزيد بن عبد المؤمن (٧٦) ثم الشيخ ابو محمد بن عبد الواحد بن ابي حفص
	الهناتسي (٧٧) .

الولاية	الولاية
سجلماصة	السيد سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن ^(٧٨) ، السيد ابو زيد عبد الرحمن ^(٧٩) .
مالقة	ادريس بن المنصور ^(٨٠) .
غرناطة	السيد ابو ابراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن فالشيخ ابو عبد الله بن ابي يحيى بن ابي حفص ثم السيد ابو ابراهيم ثانية ^(٨١) .
اشبيلية	السيد ابو زيد بن عبد المؤمن فالسيد ابو محمد بن المنصور ^(٨٢) فالسيد ابو اسحق بن يوسف بن عبد المؤمن ^(٨٣) فالسيد ابو موسى ابن عبد المؤمن ^(٨٤) فالسيد ابو اسحق ابن المنصور ^(٨٥) فالسيد ابراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن ^(٨٦) .
مرسية	السيد ابو محمد بن المنصور ^(٨٧) فالشيخ ابو الحسن بن واجاج فالشيخ ابو عمران ابن ياسين الهنتاتي ^(٨٨) .
بلنسية	السيد ابو عبد الله بن عمر بن عبد المؤمن من ٦٠٧ منقولا من ميورقة ^(٨٩) .
ولاية الغرب	السيد عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن ^(٩٠) .
جيان	السيد ابو موسى ابن ابي حفص بن عبد المؤمن ثم السيد ابو زيد بعد ان اخرج عن سجلماصة ^(٩١)
ميورقة	عبد الله بن طاع الله الكومي فالسيد ابو زيد فالسيد ابو عبد الله بن ابي حفص بن عبد المؤمن الذي نقل ^{الى} بلنسية ثم ابو يحيى ابن علي بن ابي عمران التينملي ^(٩٢) .

٦ - يوسف المستنصر

الولاية	الولاية
فاس	السيد ابو ابراهيم اسحق بن يوسف بن عبد المؤمن ^(٩٣) ثم السيد سليمان بن عمر بن عبد المؤمن ^(٩٤) .
تلمسان	ابوزيد ابن يوجان ثم السيد ابو سعيد ابن المنصور ^(٩٥) .
افريقية	الشيخ ابو محمد عبد الواحد الحفصي حتى توفي ٦١٨ هـ ثم السيد ابو العلاء بن يوسف بن عبد المؤمن ^(٩٦) .
سجلماسة	السيد سليمان بن عمر بن عبد المؤمن ^(٩٧) .
غرناطة	السيد ابو محمد بن المنصور ^(٩٨) .
اشبيلية	السيد ابو اسحاق بن المنصور، السيد ابو العلاء ابن يوسف بن عبد المؤمن ^(٩٩) .
مرسية	السيد ابو محمد ابن المنصور نقل اليها من غرناطة ^(١٠٠) .
بلنسية	عثمان بن ابي حفص عمر الهنتاتي ^(١٠١) ، السيد ابوزيد البياسي ^(١٠٢) .
جيان	عثمان بن ابي حفص عمر الهنتاتي ثم نقل الى بلنسية ^(١٠٣) .

٧ - عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن :

الولاية	الولاية
مسبته	ابو اسحاق ابراهيم بن ادريس بن ابي اسحاق بن جامع (١٠٤)
افريقية	اقر السيد ابا العلاء فتوفي فقام ابنه السيد ابو زيد بالولاية (١٠٥) .
قرطبة	السيد ادريس بن المنصور (١٠٦)
غرناطة	السيد ابو الحسن ابن المنصور (١٠٧)
اشبيلية	السيد عبد الله البياسي (١٠٨)
مالقة	السيد ابو الحسن ابن المنصور (١٠٩)
مرسية	السيد ابو محمد ابن المنصور (١١٠) .
بلنسية	السيد ابو زيد بن ابي عبد الله (١١١) .
جيان	السيد ابو محمد بن ابي عبد الله البياسي ثم سليمان بن ابي حفص عمر بن عبد المؤمن (١١٢) .

٨ - العادل بن المنصور :

الولاية	الولاية
بجاية	ابن يغمور ثم يحيى بن الاطاس التينملي (١١٣)
افريقية	عبو بن ابي محمد ابن الشيخ ابي حفص الهنتاتي (١١٤) .

الولاية	الولاية
قرطبة	السيد عبدالله البياسي (١١٥) ثم ضمت للمأمون والي اشبيلية (١١٦) .
اشبيلية	السيد ابو العلاء ادريس المأمون (١١٢)
مرسية بلنسية	السيد عيسى بن ابي موسى بن عبد المؤمن (١١٨) . السيد ابوزيد بن ابي عبدالله البياسي (١١٩) .
جيان	عمر بن عيسى بن ابي حفص بن يحيى (١٢٠) .

٩ - يحيى المعتصم :

لا توجد معلومات سوى عن استخلافه على مراكش (انظر العبر ج ٦ ص ٥٣٢) .

١٠ - المأمون :

الولاية	الولاية
فاس	محمد بن ابي زيد بن يوجان (١٢١)
تلمسان	محمد بن ابي زيد بن يوجان (١٢١)

الولاية	الولاية
بجاية	السيد ابو عمران ابن ابي عبدالله الحرطاني (١٢٢) ، ابن الاطاس (١٢٣) .
سبتة	السيد ابو موسى بن المنصور (١٢٤) .
قرطبة	السيد ابو الربيع (١٢٥)
بلنسية	السيد ابو زيد البياسي (١٢٦) .
ميورقة	ابو يحيى محمد بن علي بن ابي عمران (الذيل والتكملة ج ٥ ص ١٨٣) .

١١ - الرشيد

الولاية	الولاية
فاس	ابو عبدالله ابن وانودين (١٢٧)
سلا	السيد ابو العلاء صهر الرشيد (١٢٨)
سجلماسة	ابو يعقوب يوسف بن علي بن يوسف (١٢٩) ، عبد الله بن زكرياء الهزرجي (١٣٠) .
سبتة	ابو علي ابن خلاص البلنسي (١٣١) .
السوس	السيد ابو محمد ابن ابي زكرياء ابن ابي ابراهيم (١٣٢) .
درعة	ابو محمد ابن وانودين (١٣٣) .

١٢- السعيد

الولاية	الولاية
تازا	السيد ابو علي ابن محمد بن عمر بن عبد المؤمن (١٣٤)
سلا	ابو حفص عمر (المرضى) (١٣٥)
ازمور	ابن ماكسن (١٣٦)
اغمات	ابو حفص عمر (المرضى) قبل سلا (١٣٧)
سجلماصة	عبد الله بن زكرياء الهزرجي ثم ابو زيد عبد الرحمن بن ابي زكرياء الجد ميوي (١٣٨)

١٣- المرضى :

الولاية	الولاية
تازا	السيد ابو علي بن محمد بن عمر بن عبد المؤمن (١٣٩)
سلا	محمد ابي بن ابي يعلى الكومي (١٤٠)
ازمور	ابن عطوش (١٤١)

الولاية	الولاية
السوس	ابن يدر (١٤٢) .
سجلماسة	ابو محمد عبد الحق الجنفيسي (١٤٣) .

١٤ - الواثق ق :

• لانعلم انه ولي واليا غير انه اقر من بايعه على ولايته .

تعليقات جدول التـولاة

- (١) هووالها لما فتحت (اخبار المهدي ص ١٠٢) وقد قيل ان والها كان ابراهيم بن جامع
(البيان المغرب ج ٣ ص ٢٠ ، العبر ج ٦ ص ٤٧٨) .
- (٢) ذكر البيهقي انه وليها عندما فتحت (اخبار المهدي ص ١٠٨) بينما يذكر ابن عذارى سليمان
ابن محمد بن وانودين الهنتاتي (البيان المغرب ج ٣ ص ١٨ ، وانظر ايضا العبر
ج ٦ ص ٤٧٨) .
- (٣) المعجب ص ٢٠٧ ، ٢٢٨ .
- (٤) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٠ .
- (٥) اخبار المهدي ص ١٠٧ .
- (٦) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٠ ، العبر ج ٦ ص ٤٧٩ .
- (٧) اخبار المهدي ص ١٠٨ ، ١١٥ .
- (٨) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٠ .
- (٩) المصدر ذاته ج ٣ ص ٢٩ ، العبر ج ٦ ص ٤٩٢ .
- (١٠) الحلة السيرة ج ٢ ص ٢٠٠ ، ٢١٧ .
- (١١) اخبار المهدي ص ١١٦ - ١١٧ .
- (١٢) اخبار المهدي ص ١١٦ ، الكامل ج ١١ ص ٢١١ ، الحلل الموشية ص ١٢٦ ، نهاية الارب
ص ٢٠٨ ، العبر ج ٦ ص ٤٩١ .
- (١٣) اخبار المهدي ص ١١٦ ، المن بالامامة ص ١٧٤ ، الكامل ج ١١ ص ٢١١ ، البيان المغرب
ج ٣ ص ٣٠ ، الحلل الموشية ص ١٢٦ ، روض القرطاس ص ١٢٦ ، نهاية الارب ص ٢٠٨ ،
العبر ج ٦ ص ٤٩١ .

- (٢٦) المعجب ص ٢٧٠ ، العبر ج ٦ ص ٥٠٧ ، ٥٢٠ واخطأ الزركشي وجعله السيد ابا عبد الله بن عبد المؤمن (راجع تاريخ الدولتين ص ١٥) .
- (٢٧) المعجب ص ٢٧١ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١١٠ ، العبر ج ٦ ص ٥٠٢ ، ٥٠٧ ، تاريخ الدولتين ص ١٤ .
- (٢٨) المعجب ص ٣١١ .
- (٢٩) المن بالامامة ص ٣٩٦ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٨٣ - ٨٤ .
- (٣٠) العبر ج ٦ ص ٥٠١ .
- (٣١) البيان المغرب ج ٣ ص ١١٢ .
- (٣٢) راجع التعليق رقم (٦٣) .
- (٣٣) العبر ج ٦ ص ٥٠١ ، Huici;V.2,p.617.
- (٣٤) البيان المغرب ج ٣ ص ١١٢ .
- (٣٥) العبر ج ٦ ص ٤٩٧ .
- (٣٦) المن بالامامة ص ٢٩٧ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٦٨ .
- (٣٧) المن بالامامة ص ٢٩٨ ، المعجب ٢٤٨ - ٢٤٩ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٠٩ ، العبر ج ٦ ص ٥٠١ .
- (٣٨) البيان المغرب ج ٣ ص ١١٢ ، العبر ج ٦ ص ٥٠١ .
- (٣٩) المصدران ذاتهما ج ٣ ص ١٢٩ ، ج ٦ ص ٥٠٤ .
- (٤٠) المن بالامامة ص ٢٩٣ - ٢٩٤ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٦٧ ، العبر ج ٦ ص ٤٩٧ .
- (٤١) البيان المغرب ج ٣ ص ٦٨ ، العبر ج ٦ ص ٤٩٧ .
- (٤٢) المصدران ذاتهما ج ٣ ص ١٠٧ ، ١١٢ ، ج ٦ ص ٥٠١ .

- (٤٣) البيان المغرب ج ٣ ص ١١٣، ١٢٩، العبير ج ٦ ص ٥٠٤ .
- (٤٤) المن بالامامة ص ٢٩٦، البيان المغرب ج ٣ ص ٦٨ .
- (٤٥) المصدران ذاتهما ص ٢٩٦، ٣٥٤، ج ٣ ص ٦٨، ٧٥، العبير ج ٦ ص ٤٩٧ .
- (٤٦) البيان المغرب ج ٣ ص ١١٠ وورد في العبير ج ٦ ص ٥٠١ "ابا الحسن" .
- (٤٧) البيان المغرب ج ٣ ص ١٢٩، العبير ج ٦ ص ٥٠٤ .
- (٤٨) البيان المغرب ج ٣ ص ١١٦، ١٢٩ .
- (٤٩) المصدر ذاته ج ٣ ص ١٢٩، العبير ج ٦ ص ٥٠٤ .
- (٥٠) المن بالامامة ص ٥١٥ - ٥١٦، البيان المغرب ج ٣ ص ٩٨، ١٥٩ .
- (٥١) البيان المغرب ج ٣ ص ١٠١ - ١٠٣، ١٠٥، ١٠٦ - ١٠٧ .
- (٥٢) الحلة السيرة ج ٢ ص ٢٩٩ .
- (٥٣) كان واليا في اواخر خلافة المنصور، انظر نفح (محي الدين) ج ٤ ص ١٠٧،
- Huici;V.2,p617
- (٥٤) البيان المغرب ج ٣ ص ١٧٤، العبير ج ٦ ص ٥٠٧ .
- (٥٥) نفح (محي الدين) ج ٤ ص ١٠٥ وانظر التعليق رقم (٥٠) .
- (٥٦) المعجب ص ٢٧٢ - ٢٧٣ .
- (٥٧) البيان المغرب ج ٣ ص ١٨٣، العبير ج ٦ ص ٥١٠ .
- (٥٨) البيان المغرب ج ٣ ص ١٩٠ .

- (٥٩) المصدر ذاته ج ٣ ص ١٦٩ ، ١٨٣ ، ١٨٧ ، العبر ج ٦ ص ٥١٠ ، تاريخ الدولتين
ص ١٦ ، Huici; v.2,p. 616
- (٦٠) الكامل ج ١٢ ص ١٤٦ ، نهاية الارب ص ٢٢٧ .
- (٦١) كان على قصة رباط الفتح في سنة ١١٨٨ / ٥٨٤ (البيان المغرب ج ٣ ص ١٧٣) .
- (٦٢) نسخ (محي الدين) ج ٤ ص ١٠٢ - ١٠٣ .
- (٦٣) المعجب ص ٢٧٦ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٧٢ ، العبر ج ٦ ص ٥١٠ .
- (٦٤) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٤٣ .
- (٦٥) المعجب ص ٢٨٠ وقابله بالبيان المغرب ج ٣ ص ١٨٧ .
- (٦٦) البيان المغرب ج ٣ ص ١٧٤ ، العبر ج ٦ ص ٥١١ .
- (٦٧) المصدران ذاتهما ج ٣ ص ٢٠٤ ، ج ٦ ص ٥١٣ .
- (٦٨) روض القرطاس ص ١٤٤ .
- (٦٩) المعجب ص ٢٧٦ ، البيان المغرب ج ٣ ص ١٧٢ ، العبر ج ٦ ص ٥١٠ .
- (٧٠) البيان المغرب ج ٣ ص ١٧٥ .
- (٧١) المصدر ذاته ج ٣ ص ٢٠٤ ، العبر ج ٦ ص ٥١٣ .
- (٧٢) الحلة السيرة ج ٢ ص ٢٩٩ .
- (٧٣) العبر ج ٦ ص ٥٢٠ .
- (٧٤) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٢٨ - ٢٢٩ ، العبر ج ٦ ص ٥٢٠ - ٥٢١ .
- (٧٥) المصدران ذاتهما ج ٣ ص ٢١٣ ، ج ٦ ص ٥١٥ .
- (٧٦) المعجب ص ٦١٤ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٢١٣ - ٢١٤ ، العبر ج ٦ ص ٥١٥ ، ٥١٧ .
- (٧٧) المعجب ص ٣١٣ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٢٢٥ ، روض القرطاس ص ١٥٤ ،
) نهاية الارب ص ٢٣٠ ، العبر ج ٦ ص ٥٢٠ ، تاريخ الدولتين ص ١٧ .
- (٧٨) العبر ج ٦ ص ٥٢٠ ولكن ابن خلدون يسميه صاحب سجل ماسة وتلمسان ولم اجد
ما يؤكد ذلك .

- (٧٩) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٣٤ .
- (٨٠) الاحاطة ج ١ ص ٤١٩ .
- (٨١) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٣٤ ، ٢٤٣ ، العبر ج ٦ ص ٥٢١ .
- (٨٢) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٠٤ .
- (٨٣) المصدر ذاته ج ٣ ص ٢١٨ .
- (٨٤) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٣٠ .
- (٨٥) المصدر ذاته ج ٣ ص ٢٣٤ ، العبر ج ٦ ص ٥٢١ .
- (٨٦) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٣٠ .
- (٨٧) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٣٣ ، العبر ج ٦ ص ٥٢١ .
- (٨٨) المصدر ذاته ج ٣ ص ٢٣٣ ، العبر ج ٦ ص ٥٢١ .
- (٨٩) المصدران ذاتهما ج ٣ ص ٢٣٣ ، ج ٦ ص ٥٢١ .
- (٩٠) البيان المغرب ج ٣ ص ٢١٨ ، ٢٣٤ .
- (٩١) المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٣٤ ، العبر ج ٦ ص ٥٢١ .
- (٩٢) العبر ج ٦ ص ٥١٦ وانظر ايضا عن بعضهم البيان المغرب ج ٣ ص ٢٣٣ .
- (٩٣) المعجب ص ٣٢٨ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٢٤٣ ، العبر ج ٦ ص ٥٢٤ .
- (٩٤) نقله عبد الواحد من فاس الى جيان فرما كانت ولايته لفاس في اخر خلافة المستنصر
- او في اول خلافة عبد الواحد (راجع العبر ج ٦ ص ٥٢٦ ، Huici; v.2, p617)

- (٩٥) العبيد ج ٦ ص ٥٢٤ .
- (٩٦) المصدر ذاته ج ٦ ص ٥٢٤ ، ٥٨٨ ، ٥٩٠ - ٥٩١ ، تاريخ الدولتين ص ٢٠ ،
ولآراء أخرى انظر الحلة السيرة ج ٢ ص ٢٨٠ ، روض القرطاس ص ١٦١ ، الاحاطة
ج ١ ص ٣٢٠ .
- (٩٧) المعجب ٣٢٨ ، وربما نقل في اواخر خلافة المستنصر الى فاس انظر تعليق رقم (٩٤) .
- (٩٨) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٤٧ ، العبيد ج ٦ ص ٥٢٥ .
- (٩٩) العبيد ج ٦ ص ٥٣٤ .
- (١٠٠) روض القرطاس ص ١٦١ ، العبيد ج ٦ ص ٥٢٥ ، الروض المعطار ص ٦٨ .
- (١٠١) المعجب ص ٣٣٨ .
- (١٠٢) انظر ابن شرفة ص ٩٠ .
- (١٠٣) المعجب ص ٣٣٨ .
- (١٠٤) الحلة السيرة ج ٢ ص ٢٩٣ .
- (١٠٥) العبيد ج ٦ ص ٥٢٥ ، ٥٩١ .
- (١٠٦) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٤٨ ، العبيد ج ٦ ص ٥٢٦ .
- (١٠٧) العبيد ج ٦ ص ٥٢٦ .
- (١٠٨) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٤٨ بينما يذكر ابن خلدون السيد عبد العزيز بن يوسف بن عبد
المؤمن (العبيد ج ٦ ص ٥٢٦) .
- (١٠٩) العبيد ج ٦ ص ٥٢٦ ولا نعرف هل جمعت ولايته لغرناطة ام لا ؟

.../...

- (١١٠) العبيـر ج ٦ ص ٥٢٥ .
- (١١١) المصدر ذاته ج ٦ ص ٥٢٦ .
- Huici;v.2,p.617 (١١٢) المصدر ذاته ج ٦ ص ٥٢٦ .
- (١١٣) العبر ج ٦ ص ٥٩١ .
- (١١٤) المصدر ذاته ج ٦ ص ٥٢٧ ، ٥٩١ .
- (١١٥) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٤٩ .
- (١١٦) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٥٢ .
- (١١٧) المصدر ذاته ج ٣ ص ٢٤٩ ، بينما يجعله صاحب روض القرطاس واليا عليها قبل خلافة العادل (روض القرطاس ص ١٦٢) .
- (١١٨) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٥٧ .
- (١١٩) المصدر ذاته ج ٣ ص ٢٥٧ ، روض القرطاس ص ١٦٣ .
- (١٢٠) الروض المعطار ص ٥٨ .
- (١٢١) العبيـر ج ٦ ص ٥٢٩ .
- (١٢٢) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٧٤ ، العبيـر ج ٦ ص ٥٣١ ، ٥٩٥ .
- (١٢٣) العبيـر ج ٦ ص ٥٢٩ .
- (١٢٤) المصدر ذاته ج ٦ ص ٥٢٩ .
- (١٢٥) المصدر ذاته ج ٦ ص ٥٣١ .
- (١٢٦) المصدر ذاته ج ٦ ص ٥٢٨ .
- (١٢٧) البيان المغرب ج ٣ ص ٣٥٠ ، العبيـر ج ٦ ص ٥٣٧ .

.../...م ٢٠٠

- (١٢٨) العبر ج ٦ ص ٥٣٦ .
- (١٢٩) البيان المغرب ج ٣ ص ٣٢٦ ، ٣٢٨ ، العبر ج ٦ ص ٥٣٩ .
- (١٣٠) البيان المغرب ج ٣ ص ٣٥٩ .
- (١٣١) المصدر ذاته ج ٣ ص ٣٤٣ ، ٣٥٠ ، العبر ج ٦ ص ٥٣٦ .
- (١٣٢) البيان المغرب ج ٣ ص ٣٤٣ ، الذيل والتكملة ج ٥ ص ٣٧٢ .
- (١٣٣) المصدر ذاته ج ٣ ص ٣٣١ ، العبر ج ٦ ص ٥٣٥ .
- (١٣٤) العبر ج ٦ ص ٥٤٢ .
- (١٣٥) البيان المغرب ج ٣ ص ٣٨٩ ، العبر ج ٦ ص ٥٤٠ .
- (١٣٦) البيان المغرب ج ٣ ص ٣٧٢ .
- (١٣٧) المصدر ذاته ج ٣ ص ٣٧١ .
- (١٣٨) المصدر ذاته ج ٣ ص ٣٦٥ ، العبر ج ٦ ص ٥٣٨ - ٥٣٩ .
- (١٣٩) المصدران ذاتهما ج ٣ ص ٣٩٣ ، ج ٦ ص ٥٤٢ .
- (١٤٠) البيان المغرب ج ٣ ص ٤٠٢ ، ٤٢١ .
- (١٤١) روض القرطاس ص ١٧٥ .
- (١٤٢) البيان المغرب ج ٣ ص ٤٠٥ ، العبر ج ٦ ص ٥٤٣ .
- (١٤٣) المصدران ذاتهما ج ٣ ص ٤١٥ ، ج ٦ ص ٥٤٤ .

الملحق (٦)
قضاة الجماعة *

الخليفة	القضاة	المصادر
عبد المؤمن	(١) ابو عمران موسى (٢) حجاج بن يوسف	المن بالامامة ص ٢٢٤ ، <u>نظم الجمان</u> ص ١٧٥ ، <u>البيان المغرب</u> ج ٣ ص ٥٦ . <u>روض القرطاس</u> ص ١٣٤ ويرد فيه بعدهما ابو بكر بن ميمون القرظبي بينما يذكر المراكش ابن جبل وعبد الله العالقي (<u>المعجب</u> ص ٢٠٠) والراجع انهما من خطباء الخلافة (راجع المن بالامامة ص ٢٢٦ ، ٢٣١) .
يوسف	(١) حجاج بن يوسف (٢) ابو موسى عيسى التازي (٣) ابو جعفر احمد بن مضاء	<u>البيان المغرب</u> ج ٣ ص ١٤٠ ، <u>روض القرطاس</u> ص ١٣٥ ، وللمراكشي اختلاف في بعضهم (راجع <u>المعجب</u> ٢٤٥/٢٤٧) .
المنصور	(١) ابو جعفر احمد بن مضاء (٢) ابو عبد الله محمد بن مروان (٣) ابو القاسم احمد بن بقي	<u>المعجب</u> ص ٢٦٤ - ٢٦٥ ، <u>البيان المغرب</u> ج ٣ ص ١٤١ ، ويختلف صاحب الروض (راجع <u>روض القرطاس</u> ص ١٤٢) .
الناصر	(١) ابو القاسم احمد بن بقي (٢) ابو عبد الله محمد بن مروان (٣) محمد بن عبد الله بن طاهر (٤) ابو عمران موسى بن عيسى التازي	<u>المعجب</u> ص ٣١٢ - ٣١٣ .

* يلاحظ اننا لم نذكر بعض الخلفاء في هذا الجدول ولم نجد ما يفيد عن قضاتهم .

الخلافة	القضاة	المصادر
المستنصر	(١) ابو عمران موسى التازي (٢) ابو محمد عبد الحق بن عبد الله	<u>المعجب</u> ص ٣١٣ ، ٣٢٥ <u>البيان المغرب</u> ج ٣ ص ٢٤٣ ، <u>نيل</u> <u>الابتهاج</u> ص ١٨٤ .
المأمون	ابو زيد المكيدى	<u>البيان المغرب</u> ج ٣ ص ٢٦٥ .
الرشيد	ابو محمد عبد الحق بن عبد الله ابو زيد المكادي	<u>البيان المغرب</u> ج ٣ ص ٢٨٤ وجاءت عبد الحق بدلا عن عبد الله والتصحيح عن <u>نيل الابتهاج</u> ص ١٨٤ وعن ابي زيد انظر <u>البيان المغرب</u> ج ٣ ص ٣٢٨ ، ويبدو لنا ان المكادي اصح من المكيدى التي وردت اولاً في قضاة المأمون ولعله منسوب الى مكادة بالاندلس .

*

ثبت المصادر والمراجع والدراسات

المصادر :

التاريخ العام :

- ١- ٠٠٠٠ رسائل موحدية من انشاء كتاب الدولة المؤمنية ، تحقيق ليقي برؤفنسال
رباط ، الفتح ، المطبعة الاقتصادية ، ١٩٤١ م .
- ٢- ابن تومرت ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٥٢٤ / ١١٣٠) : تعاليق ابن تومرت ،
تحقيق جولد تسهير ، الجزائر ، ١٩٠٣ م .
- ٣- البيذق ، أبو بكر على الصنهاجي (ت ٥٥٤ / ١١٥٩) : كتاب اخبار
المهدى وابتداء دولة الموحدين ، باعثناء ليقي برؤفنسال ، باريس ، ١٩٢٨ م .
- ٤- ابن صاحب الصلاة ، أبو مروان عبد الملك (ت ٥٩٤ / ١١٩٨) : المن بالامامة
على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين ، السفر الثاني ،
تحقيق عبد الهادي التازي ، بيروت ، دار الاندلس ، ١٩٦٤ م .
- ٥- المراكشي ، أبو محمد عبد الواحد بن علي (ألف في سنة ٦٢١ / ١٢٢٤) :
المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ضبطه محمد سعيد العريان ومحمد العلمي ،
القاهرة ، مطبعة الاستقامة ، ١٩٤٩ م .
- ٦- ابن الاثير ، أبو الحسن علي بن محمد (ت ٦٣٠ / ١٢٣٣) : الكامل في التاريخ ،
١٢ ج ، بيروت ، دار صادر ودار بيروت ، ١٩٦٧ م .
- ٧- أبو شامة ، أبو القاسم عبد الرحمن بن اسماعيل (ت ٦٦٥ / ١٢٦٧) : الروضتين في
اخبار الدولتين ، ٢ ج ، القاهرة ، مطبعة وادي النيل ، ١٢٨٧ - ١٢٨٨ هـ .

٨- ابن القطان الكتامي ، ابو علي الحسين ؟ (القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي) : كتاب نظم الجمان ، تحقيق محمود علي مكي ، تطوان ، المطبعة المهدية ، لا . ت .

٩- ابن عذارى المراكشي ، ابو عبد الله محمد (ت . ١٠ او اخر القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي) : البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب ، ٤ ج ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٧ م .

١٠٠٠٠ البيان المغرب (القسم الموحدى) ، ٣ ج تحقيق هوسي ميراندا ومشاركة محمد بن تاويت ومحمد ابراهيم الكتاني ، تطوان ، سلسلة معهد مولاى الحسن ، ١٩٦٠ م .

١٠- ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم (ت ١٢٩٨ / ٦٩٧) : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، ٣ ج ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ، المطبعة الاميرية ، ١٩٥٣ - ١٩٥٧ م .

١١- مؤلف مجهول (ألف حوالي سنة ٧١٢ / ١٣١٢) : نبد تاريخية في اخبار البربر في القرون الوسطى منتخبة من مفاخر البربر ، نشر وتصحيح ليثي بروفنسال ، رباط الفتح ، المطبعة الجديدة ، ١٩٣٤ م .

١٢- ابن أبي زرع الفاسي ، ابو الحسن علي بن عبد الله ؟ (ت ٧٢٦ / ١٣٢٥) ، الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، ٢ ج ، باعتهاء كارل بوجن تورنبرغ ، أويسالة ، ١٨٤٣ - ١٨٤٦ م .

- ١٣- ابن الخطيب ، لسان الدين محمد بن عبد الله (ت ٧٧٦ / ١٣٧٥) ،
تاريخ اسبانيا الاسلامية او اعمال الاعلام في من بويغ قبل الاحتلام من
ملوك الاسلام ، تحقيق ليفي برؤنسال ، بيروت دار المكشوف ، ١٩٥٦ م .
- ١٤- تاريخ المغرب في العصر الوسيط القسم الثالث من كتاب اعمال
الاعلام ، تحقيق احمد مختار العبادي ومحمد ابراهيم الكتاني ، الدار البيضاء ،
دار الكتاب ، ١٩٦٤ م .
- ١٥- اللمحة البدرية في الدولة النصرية ، تصحيح محب الدين الخطيب ،
القاهرة ، المطبعة السلفية ، ١٣٤٧ م .
- ١٦- مؤلف مجهول (صنف سنة ٧٨٣ / ١٣٨١) : الحلل الموشية في ذكر الاخبار
المراكشية ، تحقيق علوش ، رباط الفتح ، ١٩٣٦ م .
- ١٧- ابن خلدون ، ابوزيد عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ / ١٤٠٦) : العبر
و ديوان المبتدأ والخبر ٧ ج ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٥٦ - ١٩٥٩ م .
- ١٨- مؤلف مجهول : الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ، الجزائر ، ١٩٢٠ م .
- ١٩- الزركشي ، ابو عبد الله محمد بن ابراهيم الموحدة اللؤلؤى (ت ٨٨٧ / ١٤٨٢) :
تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تحقيق محمد ماضور ، تونس ، المكتبة
العتيقة ، ١٩٦٦ م .

- ٢٠- ابن ابي دينار الرعيني ، ابو عبد الله محمد بن ابي القاسم (ت ١١١٠ / ١٦٩٨) ،
المؤنس في أخبار افريقية وتونس ، مطبعة الدولة التونسية ، ١٢٨٦ هـ .

التراجم والبرامج :

- ١- الخشني ، ابو عبد الله محمد بن حارث بن أسد القيرواني (ت ٣٦١ / ٩٧١) :
قضاة قرطبة ، القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦ م .
- ٢- مؤلف مجهول : الانساب في معرفة الاصحاب نشره ليفي بروفسال ضمن كتاب
البيدق : أخبار المهدي ابن تومرت ، باريز ، ١٩٢٨ م .
- ٣- ابن الزيات التادلسي ، ابو يعقوب يوسف بن يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن
(ت ٦٢٧ / ١٢٣٠) ، التشوف الى رجال التصوف ، باعتناء ادولف فور ، الرباط ،
١٩٥٨ م .
- ٤- ابن الآبار ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي (ت ٦٥٨ / ١٢٦٠) :
اعتساب الكتاب ، تحقيق صالح الاشر ، دمشق ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ،
١٩٦١ م .
- ٥- التكملة لكتاب الصلة ، ٢ ج ، تحقيق كوديرا ، مدريد ، ١٨٨٨ - ١٨٨٩ م .
- ٦- الحلة السيرة ، ٢ ج ، تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة ، الشركة العربية
للطباعة والنشر ، ١٩٦٣ م .

- ٧- الرعيني الاشبيلي ، ابو الحسن علي بن محمد بن علي (ت ١٢٦٧/٦٦٦) :
برنامج شيوخ الرعيني ، حققه ابراهيم شبوح ، دمشق ، ١٩٦٢ م .
- ٨- ابن خلكان ، شمس الدين ابو العباس احمد (ت ١٢٨٢/٦٨١) : وفيات الاعيان
وانباء انباء الزمان ، ٦ ج ، تحرير محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة
مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٤٨ - ١٩٤٩ م .
- ٩- ابن سعيد المغربي ، نور الدين ابو الحسن بن علي بن موسى (ت ١٢٨٦/٦٨٥) :
الغصون الياض في محاسن شعراء المائة السابعة : تحقيق ابراهيم الابياري ،
القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٤ م .
- ١٠- اختصار القدر المعلى في التاريخ المحلي ، اختصره ابو عبد الله محمد بن
عبد الله بن خليل ، حققه ابراهيم الابياري ، القاهرة ، الهيئة العامة لشئون المطابع
الاميرية ١٩٥٩ م .
- ١١- ابن عبد الملك المراكشي ، ابو عبد الله محمد بن محمد (ت ١٣٠٣ / ٧٠٣) :
الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، ٢ ج ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ،
دار الثقافة ، ١٩٦٤ - ١٩٦٥ م .
- ١٢- ابن الزبير ، ابو جعفر احمد بن ابراهيم (ت ١٣٠٨ / ٧٠٨) : القسم الاخير من
صلة الصلة ، تحقيق ليفي بروفسال ، الرباط ، المطبعة الاقتصادية ، ١٩٣٧ م .
- ١٣- الغبريني ، ابو العباس احمد بن احمد بن عبد الله (ت ١٣١٥ / ٧١٤) عنوان الدراية
فيمن عرف من علماء المائة السابعة في بجاية ، الجزائر ، المطبعة الثعالبية ١٣٢٨ هـ .

- ١٤- ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبدالله (ت ٧٧٦ / ١٣٧٥) الاحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، تحقيق محمد عبدالله عنان، القاهرة، دار المعارف
١٩٥٥ م.
- ١٥- ابن فرحون، برهان الدين ابراهيم بن علي اليعمرى (ت ٧٩٩ / ١٣٩٦) : الديباج المذهب في معرفة اعيان المذهب، القاهرة، مطبعة المعاهد، ١٣٥١ هـ.
- ١٦- بابا التنبكي، ابوالعباس احمد بن احمد بن عمر بن محمد آقيت (ت ٩٦٣ / ١٠٣٢) : نيل الابتهاج بتطريز الديباج، طبع بهامش الديباج المذهب، القاهرة، مطبعة المعاهد، ١٣٥١ هـ.
- ١٧- المقرئ التلمساني، ابوالعباس احمد بن محمد (ت ١٠٤١ / ١٦٣١) : نفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب، ج ٩، باشراف احمد فريد الرفاعي، القاهرة، مطبعة عيسى الباي الحلبي، لا. ت.
- وفي ١٠ ج، باعتناء محمد محي الدين عبد الحميد القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٤٩ م.

الجغرافية والرحلات :

- ١- الادريسي، ابو عبدالله محمد بن محمد (ت ٥٦٢ / ١١٦٦) : نزهة المشتاق : وصف افريقية الشمالية والصحراوية، نشر هـ. بيرسي، الجزائر، معهد الدروس العليا الاسلامية، ١٩٥٧ م.
- ٢- مؤلف مجهول (كتب حوالي عام ٥٨٧ / ١١٩١) : الاستبصار في عجائب الامصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، الاسكندرية، ١٩٥٨ م.

- ٣- التيجاني ، ابو جلال = عبد الله محمد بن محمد بن احمد (ت ٧١٧ / ٤١٣١٧) :
رحلة التيجاني ، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب ، تونس ، المطبعة الرسمية ،
١٩٥٨ م .
- ٤- ابن عبد المنعم الحميرى ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله (جمع كتابه سنة ٨٦٦ /
١٤٦٢) : صفة جزيرة الاندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار ،
باعثاء ليثي برؤنسال ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٧ م .

الموسوعات والنظم :

- ٢- الماوردى ، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠ / ١٠٥٨) : الاحكام
السلطانية والولايات الدينية ، القاهرة ، مطبعة مصطفى الله الباي الحلبي ،
١٩٦٦ / ١٣٨٦ م .
- ٢- النويرى ، ابو العباس شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب بن احمد البكرى
(ت ٧٣٢ / ٢٣٣٢) : نهاية الارب (القسم التاريخي المتعلق بشمال افريقية) ،
طبعة جسابار ريميرو ، غرانا ، ١٩١٩ م .
- ٣- ابن الحسن النباهي ، ابو الحسن علي بن عبد الله (ت اواخر القرن الثامن
الهجرى / الرابع عشر الميلادى) : تاريخ قضاة الاندلس ، بيروت المكتب التجارى
للطباعة والنشر ، لا . ت .
- ٤- ابن يوسف الحكيم ، ابو الحسن علي (ت . منتصف القرن الثامن الهجرى / الرابع
عشر الميلادى) : الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة ، تحقيق حسين مؤنس
مدير ، مطبعة معهد الدراسات الاسلامية ، ١٩٦٠ / ١٣٧٩ م .
- ٠٢٠ / ٠٠٠ م .

- ٥- القلقشندی : شهاب الدين ابو العباس احمد بن علي (ت ٨٢١ / ١٤١٨) :
صبح الاعشى في كتابة الانشا ، ١٤ ج ، القاهرة ، دار الكتب المصرية ، ١٩١٣ -
٠ م ١٩١٩

المراجع :

- ١- ابن سودة المرى ، عبد السلام بن عبد القادر : دليل مؤرخ المغرب الاقصى
٢ ج ، الدار البيضاء ، دار الكتاب ، ١٩٦٠ - ١٩٦٥ م .
- ٢- ابن منظور ، ابو الفضل محمد بن مكرم : لسان العرب ، ١٥ ج ، بيروت ،
دار صادر ، ١٩٥٥ م .
- ٣- الزيوي ، ابو الفيض محمد مرتضى ، تاج العروس من جواهر القاموس ،
١٠ ج ، القاهرة ، المطبعة الخيرية ، ١٣٠٦ - ١٣٠٧ هـ .
- ٤- اتحاف السادة المتقين بشرح اسرار احياء علوم الدين ، ١٠ ج ،
القاهرة ، المطبعة الميمنية ، ١٣١١ هـ .
- ٥- الكتاني ، محمد عبد الحي بن عبد الكبير : فهرس الفهارس والاثبات ومعجم
المعاجم والمشيخات والمسلسلات ، ٢ ج ، فاس المطبعة الجديدة ، ١٣٤٧ هـ .
- ٦- Dozy, R; Supplement aux Dictionnaires Arabes , 2v.,
Leyden, Brill, 1881.

الدراسات :

العربية :

- ١- ابن شريفة ، محمد ، ابوالمطرف احمد بن عميرة المخزومي ، الرباط ، ١٩٦٦ م .
- ٢- أشباح ، يوسف ، تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ج ٢ ، ترجمة محمد عبدالله عنان ، القاهرة ، ١٩٤٠ - ١٩٤١ م .
- ٣- بالنفيا ، أنخل جنثالث : تاريخ الفكر الاندلسي ، ترجمة حسين مؤنس ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٥ م .
- ٤- بلا فريج ، احمد وعبد الجليل خليفة : الادب الاندلسي ، ج ١ ، تطوان ، مطبعة الوحدة المغربية ، ١٩٤١ م .
- ٥- حركات ، ابراهيم : المغرب عبر التاريخ ، ج ١ ، الدار البيضاء ، دار السلمى ، ١٩٦٥ م .
- ٦- النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين ، الدار البيضاء ، منشورات مكتبة الوحدة العربية ، لا . ت .
- ٧- زيادة ، نقولا ، الحسبة والمحتسب في الاسلام ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٦٣ م .
- ٨- سالم ، السيد عبد العزيز : المغرب الكبير ج ٢ ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦ م .
- ٩- الصحراوي ، عبد القادر ، جولات في تاريخ المغرب ، الدار البيضاء ، دار الكتاب ، ١٩٦١ م .
- ١٠- عباس ، احسان : تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع

الهجرى ، بيروت ، ١٩٦٢ م

١١- عبد الوهاب ، حسن حسني : ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية ،

مكتبة تونس ، ١٩٦٤ - ١٩٦٦ م

١٢- العثمان ، عبد الكريم : سيرة الغزالي وأقوال المتقدمين فيه ، دمشق ،

دار الفكر ، لا . ت .

١٣- علام ، عبد الله علي : الدعوة الموحدية بالمغرب ، القاهرة دار المعرفة ،

١٩٦٤ م

١٤- عنان ، محمد عبد الله : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس ،

٢ ق ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٤ م

١٥- كنون ، عبد الله : النبوغ المغربي في الادب العربي ، ٣ ج ، بيروت ،

مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني ، ١٩٦١ م

١٦- ليفي بروفنسال : الاسلام في المغرب والاندلس ، ترجمة عبد العزيز سالم

ومحمد حلمي ، القاهرة ، مطبعة النهضة ، لا . ت .

١٧- المنوني ، محمد : العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين ، تطوان ،

المطبعة المهدية ، ١٣٦٩ / ١٩٥٠

١٨- الناصري ، ابو العباس احمد بن خالد : الاستقصا لأخبار دول الملوك المغرب

الاقصى ، ٩ ج ، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري ، الدار البيضاء ،

دار الكتاب ، ١٩٥٤ - ١٩٥٦ م

الاجنبية :

1. Hopkins, J.F.P.; Medieval Muslim Government In Barbary, London, 1958.
2. Huici Miranda, A; Historia Politica del Imperio Almohade, 2v., Tetuan, 1956-1957.
3. Julien, C.A.; Histoire de L'Afrique du Nord, 2v., Paris, 1956.
4. Terrasse, H.; Histoire du Maroc, 2v., Casablanca, 1949-1950.

المقالات :

- ١- العبيادي و احمد مختار : " دراسة حول كتاب الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية " ، تطوان ، ١٩٦٠ م ، العدد الخامس .
- ٢- عبد الحميد ، سعد زفلول و " العلاقة بين صلاح الدين الايوبي و أبي يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن الموحدى " . مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، ١٩٥٢ - ١٩٥٣ م ، المجلدان السادس والسابع .

٣- الفاسي ، محمد : " المؤرخان ابن ابي زرع وابن عبد الحلیم " ، تطوان ، ١٩٦٠م
العدد الخامس .

٤- كيون ، عبد الله : " عقيدة المرشدة للمهدى ابن تومرت " ، البحث العلمي المركز الجامعي
للبحث العلمي في الرباط ، ١٩٦٦م ، العدد التاسع .

٥- المنونسي ، محمد : " الامبراطورية الموحدية في دور الانحلال " ، دعوة الحق ،
الرباط ، وزارة الاوقاف ، ١٩٦٤م ، العدد الثاني .

٦- هويسسي ، ميراندا : " علي بن يوسف واعماله في الاندلس " ، تطوان ، ١٩٥٨ -
١٩٥٩م ، العدد الثالث والرابع .

=====